سيرة الإمام علي (عليه السلام)

تأليف : الشيخ نجاح الطائي

الجزء السادس

بسم الله الرَّحمن الرَّحِيم

الباب الأوّل
الإدارة عند أمير المؤمنين

الفصل الأوّل : نظرية الامام الادارية

إدارة الإمام (عليه السلام) لشؤون الناس

كان الإمام علي (عليه السلام)يدير الأُمور بحزم وبنفسه ولا يرضى بوكيل كما سترى :

عن علي (عليه السلام)أنّه قال لابدّ من إمارة ورزق للأمير ، ولابدّ من عريف [1267]ورزق للعريف ، ولابدّ من حاسب ورزق للحاسب ، ولابدّ من قاض ورزق للقاضي ، وكره أن يكون رزق القاضي على الناس الذين يقضي لهم ، ولكن من بيت المال . وعن علي (عليه السلام)أنّه كان يمشي في الأسواق وبيده درّة يضرب بها من وجد من مطفّف أو غاشّ في تجارة المسلمين .

قال الأصبغ [1268]: قلت له يوماً أنا أكفيك هذا ، ياأمير المؤمنين ، واجلس في بيتك ، قال : ما نصحتني ياأصبغ ، وكان يركب [1269]بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الشهباء ويطوف في الأسواق سوقاً سوقاً فأتى يوماً طاق اللحامين ، فقال : يامعشر القصّابين لا تعجلوا الأنفس قبل أن تزهق ، وإيّاكم والنفخ في اللحم ، ثمّ أتى إلى التمّارين فقال أظهروا من ردئ بيعكم ما تظهرون من جيّده . ثمّ أتى السمّاكين ، فقال : لا تبيعوا إلاّ طيّباً وإيّاكم وما طفا [1270]ثمّ أتى الكناسة [1271]، وفيها من أنواع التجارة من نخاس [1272]وقماط [1273]وبائع إبل وصيرفي ، وبزّاز ، وخيّاط ، فنادى بأعلى صوت : يامعشر التجّار ، إنّ أسواقكم هذه تحضرها الايمان فشوبوا [1274]أيمانكم بالصدقة ، وكفّوا عن الحلف ، فإنّ الله تبارك وتعالى لا يقدّس من حلف باسمه كاذباً . وعن أبي جعفر محمّد بن علي أنّه قال : إنّ الخصومة تمحق الدين وتدرسه وتحبط العمل وتورث النفاق . وعن أبي عبدالله جعفر بن محمّد (عليه السلام) أنّه أوصى رجلا فقال : ما استطعت من معروف تفعله فافعله ، وإيّاك أن تدخل بين اثنين في خصومة ، إنّي لك النذير ، إنّي لك النذير ، إنّي لك النذير .

قوانين السجن والحكم

عن علي (عليه السلام)أنّه قال : لا حبس في تهمة إلاّ في دم والحبس بعد معرفة الحقّ ظلم .

وعنه (عليه السلام)أنه قال : من خلّد في السجن رزق من بيت المال ، ولا يخلّد في السجن إلاّ ثلاثة : الذي يمسك على الموت ، والمرأة ترتدّ إلاّ أن [1275] تتوب ، والسارق بعد قطع اليد والرجل ، يعني إذا سرق بعد ذلك في الثالثة . وعنه (عليه السلام)أنّه قال : لا حبس على معسر في الدين . وعنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : إذا شهد شهود على رجل بحقّ في مال ، ولم يعرف القاضي عدالتهم ، وكان في بلد آخر قاض آخر يعرف ذلك ، فإن كانت الشهادة في طلاق أو حدّ ، لم يقبل فيه كتاب قاض إلى القاضي ولا شهادة على شهادة ولا يقبل كتاب قاض إلى قاض في حدّ .

وعن علي (عليه السلام)أنّه قال : لا ينفذ كتاب قاضي أهل البغي ولا يكاتب . وعنه (عليه السلام)أنّه قال : من وكّل وكيلا حكم على وكيله ، وتجوز الوكالة بغير محضر [1276]من الخصم . وعن الإمام جعفر بن محمّد (عليه السلام) أنّه سئل عمّن وجب عليه الحقّ فسأل التأخير

: فقال أمّا الرجل الواجد الذي عليه الحقّ إنّما يريد بذلك المطل ، فلا يؤخّر ، وأمّا الذي يريد أن يكسر ماله [1277] ويبيع فإنّه ينظر بقدر ذلك .

وعنه (عليه السلام)أنّه قال : من امتنع من دفع الحقّ وكان موسراً حاضراً عنده ما وجب عليه ، فامتنع من أدائه وأبى خصمه إلاّ أن يدفع إليه حقّه ، فإنّه يضرب حتّى يقضيه ، وإن كان الذي عليه لا يحضره إلاّ في عروض ، فإنّه يعطيه كفيلا أو يحبس له إن لم يجد الكفيل إلى مقدار ما يبيع ويقضي .

وعنه (عليه السلام)أنّه كان يرى الحكم على الغائب ويترك على حجّة إن كانت له حجّة ، فإن لم يوثق بالغريم المحكوم له أخذ عليه كفيلا بما يدفع إليه من مال الغائب ، فإن كانت له حجّة ردّ [1278]إليه .

وعنه (عليه السلام)أنّه قال : إذا ترافع إلى القاضي أهل الكتاب قضى بينهم بما أنزل الله كما قال الله : (وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ) .

وعن علي (عليه السلام)أنه خطب الناس بالكوفة ، فقال : يأيها الناس ، إنّ الله تبارك وتعالى جعل لي عليكم حقّاً بولايتي أمركم ومنزلتي التي أنزلني بها عزّوجلّ من بينكم . ولكم عليَّ النصيحة والعدل [1279].

فالإمام (عليه السلام)حدّد رزق القاضي على الدولة كي لا يقضي بالباطل لأجل الرشوة وكان الإمام (عليه السلام)يضرب اللصّ والغاش بنفسه لمنع الاضطراب في الأسواق وتحكيم الأمن فيها .

ورفض الإمام (عليه السلام)نصيحة الأصبغ بتعيين وكيل لهذه الأعمال ، فوظيفة الإمام حفظ النظام ورعاية الحقوق العامّة .

وعن السجون توجّه لها الإمام (عليه السلام) بعناية بالغة فرفض إيداع الناس في السجون على التهمة إلاّ في قضايا القتل وقبل الحكم .

وبعد الحكم الشرعي لا يجوز إيداع الناس في السجون في حين تمتلأ سجون الدنيا بمواطنين لم تثبت تهم في حقّهم !

ويضرب الغني الممتنع عن دفع أموال الناس حتّى يقضي ديونهم .

متابعة مظالم الناس

أوّل من أسّس ديوان متابعة المظالم هو الإمام علي (عليه السلام) فالإسلام جاء لرفع الظلم المتسلّط على رقاب المستضعفين وإعطائهم حقوقهم فحصل الناس على حقوقهم المهضومة في الجاهلية على أيدي طغاة الحزب القرشي وباقي أعراب جزيرة العرب.

فأينما حصل الإسلام وجد العدل المنافي للظلم والباطل لذا كان من خروج الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذان فرعان والفرع الأوّل من هذه الفروع الصلاة وهدف ديوان المظالم الذي أسّسه الإمام علي (عليه السلام) : النظر في الشكاوى التي يرفعها المواطنون ضدّ الولاة والحكّام إذا انحرفوا عن طريق الحقّ وجاروا على الرعية . وسلبوا حقوقهم المادّية والمعنوية .وطمس جور العمّال في جباية الأموال .

ومحاسبة كتّاب الدواوين لأنّهم الأُمناء على بيوت الأموال فيما يستوفونه ويوفّونه .

مراعاة إقامة الشعائر الدينية والعبادات كصلاة الجمع والأعياد والحجّ والجهاد .

النظر في مظالم الموظفين في الدولة .

ردّ ما غصبه الظالمون إلى المظلومين والمستضعفين .

إدارة الأوقاف العامّة والخاصّة .

تنفيذ الأحكام الصادرة من القضاة والمحتسبين ; لأنّ والي المظالم أقوى يداً وأنفذ أمراً من غيرهم .

محاسبة العمّال وغيرهم من كبار الموظّفين إذا شذّوا في سلوكهم ، ولم يؤدّوا واجباتهم [1280].

هذه أهمّ وظائف والي المظالم ، وقد أُهملت هذه الولاية التي هي من أهمّ المناصب وأخطرها ، فقد أُنيط بها تطبيق العدل وصيانة الحقوق وإقصاء الظلم عن الناس . واهمال هذا المنصب فيه ضياع لحقوق المسلمين .

الولاة والإدارة عند الإمام (عليه السلام)

السير على القانون أوّلا : أي تطبيق القانون الإسلامي على الجميع بحدّ سواء ولو كان النجاشي شاعر الإمام علي (عليه السلام) في صفّين .

لكن هذا الشاعر رفض هذا الأمر واستنكر اجراء الحدّ عليه لشربه الخمر فهرب إلى معاوية ومال إليه [1281].

وقال الامام (عليه السلام)لقومه عند البيعة : اعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب [1282].

ومراعاة الدين

رفض الإمام علي (عليه السلام)الدهاء لأنّه من أعمال الشيطان قائلا : لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس إلاّ إنّ لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ، ألا وإنّ الغدر والفجور والخيانة في النار [1283].

تحقيق الحقّ

قال الإمام (عليه السلام): والله لهما (نعلاي) أحبّ إليّ من أمركم هذا ، إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلا [1284].

وقال الإمام علي (عليه السلام)لمالك الأشتر : الزم الحقّ وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإنّ مغبّة ذلك محمودة [1285].

وقال الإمام علي (عليه السلام): من عمل بالحقّ مال إليه الخلق [1286].

وتنظيم الإدارة واستغلال الفرص : قائلا : إيّاكم وتأخير العمل ودفع الخير فإنّ ذلك الندم [1287].

وقول الإمام (عليه السلام)في وصيّته للحسن والحسين (عليهما السلام)مشهور : عليكم بتقوى الله ونظم أمركم [1288].

وقال الإمام (عليه السلام): آفة الأعمال عجز العمّال [1289].

وقال (عليه السلام): لا تتّكل في أُمورك على كسلان [1290].

وشرط الإمام علي (عليه السلام)على ولاته ارزاق عمّالهم قائلا : ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك ، وثلموا أمانتك [1291].

التحسين والتقبيح : أي تحسين أعمال الخيرين الطيّبة وتقبيح أفعالهم الخاطئة ، إذ قال الإمام (عليه السلام)للأشتر : ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة [1292].

مراقبة الولاة

مراقبة الولاة ومحاسبتهم أمر في غاية الأهمية في الدولة الإسلامية سنّه النبي (صلى الله عليه وآله)وسار عليه الإمام علي (عليه السلام) .

وأهميّته نابعة من منع الظلم والحيف وتحقيق العدالة والمحافظة على أموال المسلمين .

وقد سنّ ذلك ، ووضع منهاجه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، فكان يحاسب عمّاله على ما في أيديهم وعلى ما أنفقوه ، وقد

استعمل رجلا من الأزد على الصدقات فلمّا رجع حاسبه فقال الرجال :

هذا لكم ، وهذا أُهدي لي .

فأنكر النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك وقال :

« ما بال الرجل نستعمله على العمل ممّا ولاّنا الله ، فيقول : هذا لكم ، وهذا أُهدي لي ؟ أفلا قعد في بيت أُمّه وأبيه فنظر أيهدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده ! لا نستعمل رجلا على العمل ممّا ولاّنا الله فيغلّ منه شيئاً إلاّ جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رغاء ، وإن كانت بقرةً لها خوار ، وإن كانت شاة تمغر » .

ثمّ رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهمّ هل بلّغت » قالها مرّتين أو ثلاثاً [1293].

وسار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذا المنهج في دور حكومته فكان يراقب الولاة والعمّال ، ويمعن في محاسبتهم ، فإذا بدرت من أحدهم خيانة بادر إلى عزله ، ومصادرة ما اختلسه من الأموال ، وقد بلغه عن بعض عمّاله أنّه استأثر ببعض أموال المسلمين فكتب إليه :

«أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر ، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك ، وعصيت إمامك ... ، بلغني أنّك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك ، واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس [1294]».

وكتب إلى زياد بن أبيه ، وهو وال من قبل عامله على البصرة عبدالله بن عباس ، يحذّره من الخيانة ، وقد جاء فيما كتبه إليه :

«وإنّي أُقسم بالله قسماً صادقاً ، لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً ، لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر ، ثقيل الظهر ، ضئيل الأمر [1295]».

عزل من ثبتت خيانته من العمّال

الامام علي في القرآن هو الصراط المستقيم فكانت اعماله كذلك .

قال صاحب الاستيعاب : كان علي (عليه السلام) لا يخصّ بالولايات إلاّ أهل الديانات والأمانات ، وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه : «قد جاءتكم موعظة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين . بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ [1296]. إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا حتّى نبعث إليك من يتسلّمه منك »، ثمّ يرفع طرفه إلى السماء فيقول : اللهمّ إنّك تعلم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حقّك .

وخطبه ومواعظه ووصاياه لعمّاله إذ كان يخرجهم إلى أعماله كثيرة مشهورة لم أرض التعرّض لذكرها ، لئلاّ يطول الكتاب ، وهي حسان كلّها [1297].

وأحضر الإمام (عليه السلام)الأشعث بن قيس ، وكان عثمان استعمله على آذربيجان ، فأصاب مائة ألف درهم ، فبعض يقول : أقطعه عثمان إيّاها ، وبعض يقول : أصابها الأشعث في عمله .

فأمره علي (عليه السلام)بإحضارها فدافعه ، وقال : ياأمير المؤمنين ، لم أُصبها في عملك . قال : والله لئن أنت لم تحضرها بيت مال المسلمين ، لأضربنّك بسيفي هذا أصاب منك ما أصاب [1298].

فأحضرها وأخذها منه وصيّرها في بيت مال المسلمين ، وتتبّع عمّال عثمان ، فأخذ منهم كلّ ما أصابه قائماً في أيديهم ، وضمّنهم ما أتلفوا [1299].

محاسبة الولاة

ونقل عن سودة بنت عمارة الهمدانية أنّها قدمت على معاوية بعد موت علي (عليه السلام)، «فجعل معاوية يؤنّبها على تعريضها عليه في أيّام قتال صفّين ، ثمّ إنّه قال لها : ما حاجتك ؟ فقالت : إنّ الله تعالى مسائلك عن أمرنا وما فوّض إليك من أمرنا ، ولا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمقامك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ، ويدوسنا دوس الحرمل ، يسومنا الخسف ، ويذيقنا الحتف ، هذا بسر بن أرطاة قد قدم علينا ، فقتل رجالنا ، وأخذ أموالنا ، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة ، فإن عزلته عنّا شكرناك وإلاّ فإلى الله شكوناك .

فقال معاوية : إيّاي تعنين ولي تهدّدين ! لقد هممت ياسودة أن أحملك على قتب أشوس ، فأردّك إليه فينفذ حكمه فيك . فأطرقت ثمّ أنشأت تقول :

صلّى الإله على جسم تضمّنه *** قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلا *** فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاوية : من هذا ياسودة ؟ فقالت : هذا والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لقد جئته في رجل كان قد ولاّه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائماً يريد الصلاة ، فلمّا رآني انفتل ، ثمّ أقبل عليَّ بوجه طلق ، ورحمة ورفق ، وقال :ألك حاجة ؟ فقلت : نعم ، وأخبرته بالأمر فبكى ، ثمّ قال : اللهمّ أنت شاهد أنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقّك ، ثمّ أخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) [1300]

وإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتّى نقدم عليك من يقبضه . والسلام .

ثمّ دفع إليّ الرقعة ، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنّا معزولا .

فقال : اكتبوا لها بما تريد ، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية [1301].

ولمّا استدرك على ابن هرمة خيانة ، وكان على سوق الأهواز ، فكتب إلى رفاعة ـ : إذا قرأت كتابي فنحّ ابن هرمة عن السوق ، وأوقفه للناس ، واسجنه وناد عليه ، واكتب إلى أهل عملك تعلمهم رأيي فيه ، ولا تأخذك فيه غفلة ولا تفريط ، فتهلك عند الله ، وأعزلك أخبث عزلة ، وأُعيذك بالله من ذلك [1302]».

شرط الورع

شرط الإمام علي (عليه السلام)على ولاته انتخاب المؤمنين السابقين في الإسلام قائلا : فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة [1303].

في حين دعا عمر لاستخدام الفاجر الفاسق تحت عنوان القوي .

إذ كتب عمر لابن العاص : من عبد الله أمير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي [1304] .وقال عمر للمغيرة بن شعبة : صدقت فأنت القوي الفاجر [1305] .

فاعترف عمر بفجور المغيرة ! [1306]

وقال لابي هريرة في سرقته أموال المسلمين : استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه [1307] . واتهم عمر أبا هريرة بالكذب في الحديث قائلا : أكثرت من الحديث وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله [1308] .

ورغم ذلك استخدمه عمر واليا واعتمد عليه !

محاسبة الولاة والعمّال

كان الامام يحاسب الناس بنفسه :إذ قال الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر : استعملهم اختباراً ثمّ تفقّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم [1309].

بينما أعاث المغيرة الفساد في ولايته أيّام عمر .

اعطاء الرواتب للعمّال ومحاسبتهم

أوّل عامل دافع للسرقة والحيف والميل عدم إعطاء العمّال أرزاقهم فهي حجّة لهم لاغتصاب أموال بيت المال .

لذا قال الإمام علي (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر : ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق ; فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك [1310].

وقال (عليه السلام)في عهده إلى مالك الأشتر : ثمّ انظر في أُمور عمّالك فاستعملهم اختباراً ... ثمّ تفقّد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ; فإنّ تعاهدك في السرّ لأُمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة ، والرفق بالرعيّة ، وتحفّظ من الأعوان ; فإنّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثمّ نصبته بمقام المذلّة ، ووسمته بالخيانة ، وقلّدته عار التهمة [1311].

وقال الإمام علي (عليه السلام)في كتابه إلى مالك بن كعب : «أمّا بعد ; فاستخلف على عملك ، واخرج في طائفة من أصحابك حتّى تمرّ بأرض كورة السواد [1312]، فتسأل عن عمّالي ، وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب [1313]، ثمّ ارجع إلى البهقباذات [1314]فتولّ معونتها ، واعمل بطاعة الله فيما ولاّك منها .

واعلم أنّ كلّ عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزيّ به ، فاصنع خيراً صنع الله بنا وبك خيراً ، وأعلمني الصدق فيما صنعت . والسلام [1315]».

وقال (عليه السلام)في عهده إلى مالك الأشتر (في مراقبة الجنود) - : ثمّ لا تدع أن يكون لك عليهم عيون من أهل الأمانة والقول بالحقّ عند الناس ، فيثبتون بلاء كلّ ذي بلاء منهم ليثق أُولئك بعلمك ببلائهم [1316].

المحسن والمسيء في قاموس الإمام (عليه السلام)

قال الإمام علي (عليه السلام)في عهده إلى مالك الأشتر : ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ; فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة . وألزم كلاًّ منهم ما ألزم نفسه [1317].

وقال الإمام علي (عليه السلام)في عهده إلى مالك الأشتر : وليكن آثر رؤوس جنودك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم في بذله ممّن يسعهم ويسع من وراءهم من الخلوف [1318] من أهلهم ، حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدوّ .

ثمّ واتر إعلامهم ذات نفسك في إيثارهم والتكرمة لهم ، والإرصاد بالتوسعة . وحقّق ذلك بحسن الفعال والأثر والعطف ; فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك [1319].

تربية عمّاله

وكان الإمام علي (عليه السلام)مهتمّاً بتربية عمّاله تربية إسلامية بعيدة عن الاستبداد والحيف والسرقة والتكبّر لتحيى أرواحهم بالرأفة على الناس والعطف عليهم والشفقة على الضعفاء وأخذهم باللين والأخلاق .

إذ كتب علي (عليه السلام)إلى عمر بن مسلمة الأرحبي : أمّا بعد ، فإنّ دهاقين عملك شكوا غلظتك ، ونظرت في أمرهم فما رأيت خيراً ،

فلتكن منزلتك بين منزلتين : جلباب لين ، بطرف من الشدّة ، في غير ظلم ولا نقص ; فإنّهم أحيونا صاغرين ، فخذ ما لك عندهم وهم صاغرون ، ولا تتّخذ من دون الله وليّاً ، فقد قال الله عزّوجلّ : (لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالا) [1320] .

وقال جلّ وعزّ في أهل الكتاب : (لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) وقال تبارك وتعالى :

(وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) وقرّعهم بخراجهم ، وقابل في ورائهم ، وإيّاك ودماءهم . والسلام [1321].

وكتب الإمام علي (عليه السلام)إلى بعض عمّاله : أمّا بعد ، فإنّك ممّن استظهر به على إقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأثيم ، وأسدّ به لهاة الثغر المخوف . فاستعن بالله على ما أهمّك ، واخلط الشدّة بضغث من اللين ، وارفق ما كان الرفق أرفق ، واعتزم بالشدّة حين لا تغني عنك إلاّ الشدّة . واخفض للرعيّة جناحك ، وابسط لهم وجهك ، وألن لهم جانبك . وآس بينهم في اللحظة والنظرة ، والإشارة والتحيّة ; حتّى لا يطمع العظماء في حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك . والسلام [1322].

وأين هذه الرسائل الحضارية من نظرية عثمان في أخذ الناس إلى جبهات الحرب ليحتاروا بقملهم ووسخهم ، وهي النظرية التي اتّفق عليها عثمان مع عبدالله بن عامر الأموي ، لأنّ عثمان جاء ليحكم ويبقى في كرسي السلطنة دون رعاية للوسائل المستخدمة والأخلاق المطموسة .

فتنة الولاة من وراؤها ؟

ومشكلة الولاة والسلطنة أوجدها عمر بن الخطّاب كيف ؟

إذ كان والي عمر يحكم مدى الحياة فهو باق في السلطة بعد وفاة الخليفة .

بل إنّ عمر أوصى عثمان بإبقاء ولاته فأبقاهم فترة وعزلهم ، إذ عزل المغيرة والأشعري وابن العاص .

وبعدما عزلهم ثار عليه ابن العاص وضجر المغيرة والأشعري .

وأوجد عمرو بن العاص فتنة عظيمة في هذا المجال .

أمّا معاوية فلم يعزله عثمان فكان والياً في زمني حكم عمر وعثمان ومدّة حكمه قاربت العشرين سنة .

والأخطر من هذا لم يكن معاوية يعطي أموالا للحكومة المركزية بل كان ينفقها على جيشه وإدارته ويخزن الباقي له ، ممّا يعني تكدّس أموال عظيمة عنده .

وهذه الأُمور مع عقيدة معاوية الفاسدة دفعته للمطالبة بالبقاء في منصبه والتخطيط لنيل السلطة العامّة .

إذن كان عمر وعثمان هما اللذان هيّئا الأرضية لفتنة الجمل وصفّين .

ولو غيّر عمر وعثمان الولاة دورياً لما حصلت هذه الفوضى السياسية .

الفصل الثاني: الولاة

قدامة بن عجلان

وكتب الإمام علي (عليه السلام)إلى قدامة بن عجلان عامله على كسكر [1323]: أمّا بعد ، فاحمل ما قبلك من مال الله ; فإنّه فيء للمسلمين ، لست بأوفر حظّاً فيه من رجل منهم ، ولا تحسبنّ يابن أُمّ قدامة أنّ مال كسكر مباح لك كمال ورثته عن أبيك وأُمّك ، فعجّل حمله وأعجل في الإقبال إلينا ، إن شاء الله [1324].

مصقلة بن هبيرة الهارب

وكتب الإمام علي (عليه السلام)إلى مصقلة بن هبيرة : بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أتيت شيئاً إدّاً [1325]، بلغني أنّك تقسم فيء المسلمين فيمن اعتفاك وتغشّاك من أعراب بكر بن وائل !

فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، وأحاط بكلّ شيء علماً ، لئن كان ذلك حقّاً لتجدنّ بك عليّ هواناً ، فلا تستهين بحقّ ربّك ، ولا تصلحنّ دنياك بفساد دينك

ومحقه ; فتكون من (الأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) [1326]- [1327].

وكتب إلى مصقلة : أمّا بعد ، فإنّ من أعظم الخيانة خيانة الأُمّة ، وأعظم الغشّ على أهل المصر غشّ الإمام ، وعندك من حقّ المسلمين خمسمائة ألف ، فابعث بها إليّ ساعة يأتيك رسولي ، وإلاّ فأقبل حين تنظر في كتابي ; فإنّي قد تقدّمت إلى رسولي إليك ألاّ يدعك أن تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلاّ أن تبعث بالمال ، والسلام عليك [1328].

وعن ذهل بن الحارث : دعاني مصقلة إلى رحله ، فقدّم عشاءً فطعمنا منه ، ثمّ قال : والله إنّ أمير المؤمنين يسألني هذا المال ، ووالله لا أقدر عليه ، فقلت له : لو شئت لا يمضي عليك جمعة حتّى تجمع هذا المال . فقال : والله ما كنت لأُحمّلها قومي ، ولا أطلب فيها إلى أحد .

ثمّ قال : أما والله لو أنّ ابن هند يطالبني بها ، أو ابن عفّان لتركها ، ألم تر إلى ابن عفّان أطعم الأشعث بن قيس مائة الف درهم من خراج آذربيجان في كلّ سنة .

فقلت : إنّ هذا لا يرى ذلك الرأي ، وما هو بتارك لك شيئاً ، فسكت ساعة وسكت عنه ، فما مكث ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتّى لحق بمعاوية ، فبلغ ذلك علياً (عليه السلام)فقال : ما له ؟! ترحه [1329]الله ! فعل فعل السيّد وفرّ فرار العبد ، وخان خيانة الفاجر ! أما إنّه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه ; فإن وجدنا له شيئاً أخذناه ، وإن لم نقدر له على مال تركناه ، ثمّ سار إلى داره فهدمها [1330].

المنذر بن الجارود

وكان من الطالحين المخالفين للشريعة الإسلامية والمراعين لأهوائهم وكتب الإمام (عليه السلام)إلى المنذر بن الجارود ، وبلغه أنّه يبسط يده في المنال ، ويصل من أتاه ، وكان على اصطخر [1331]: إنّ صلاح أبيك غرّني منك ، وظننت أنّك تتبّع هديه وفعله ، فإذا أنت فيما رقّي إليّ عنك لا تدع الانقياد لهواك وإن أزرى ذلك بدينك ، ولا تصغي إلى الناصع وإن أخلص النصح لك ، بلغني أنّك تدع عملك كثيراً وتخرج لاهياً متنزّهاً متصيّداً ، وأنّك قد بسطت يدك في مال الله لمن أتاك من أعراب قومك ، كأنّه تراثك عن أبيك وأُمّك .

وإنّي أُقسم بالله لئن كان ذلك حقّاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك ، وأنّ اللعب واللهو لا يرضاهما الله ، وخيانة المسلمين وتضييع أعمالهم ممّا يسخط ربّك ، ومن كان كذلك فليس بأهل لأن يسدّ به الثغر ، ويجبى به الفيء ، ويؤتمن على مال المسلمين ، فأقبل حين يصل كتابي هذا إليك .

فقدم فشكاه قوم ورفعوا عليه أنّه أخذ ثلاثين ألفاً ، فسأله فجحد ، فاستحلفه فلم يحلف ، فحبسه مدّة [1332].

فكان المنذر مهتمّاً بالدنيا وأهواءها وغافلا عن الآخرة وامتحانها .

المسيء زياد بن أبيه

كتب الإمام علي (عليه السلام)إلى زياد بن أبيه : إنّي أُقسم بالله قسماً صادقاً ، لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً ، لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر ، ثقيل الظهر ، ضئيل الأمر . والسلام [1333].

ثمّ وجّه علي (عليه السلام)إلى زياد رسولا ليأخذه لحمل ما اجتمع عنده من المال ، فحمل زياد ما كان عنده وقال للرسول : إنّ الأكراد قد

كسروا من القضاء :

(وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) [1334] شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا [1335].

خيانة زياد

وخان زياد الامام فى المال وأخبر سفير الامام بذلك قائلا :

لا تُعلم أمير المؤمنين ذلك ، فيرى أنّه اعتلال منّي .

فقدم الرسول فأخبر علياً(عليه السلام) بما قال زياد ، فكتب إليه : قد بلّغني رسولي عنك ما أخبرته به عن الأكراد ، واستكتامك إيّاه ذلك ، وقد علمت أنّك لم تلق ذلك إليه إلاّ لتبلغني إيّاه ، وإنّي أُقسم بالله عزّوجلّ قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً ، لأشدّنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر [1336]، ثقيل الظهر . والسلام [1337].

وقال الإمام (عليه السلام)له أيضاً : أمّا بعد ، فإنّ رسولي أخبرني بعجب ، زعم أنّك قلت له فيما بينك وبينه : إنّ الأكراد هاجت بك ، فكسرت عليك كثيراً من الخراج ، وقلت له : لا تُعلم بذلك أمير المؤمنين .

يازياد ! وأقسم بالله إنّك لكاذب ، ولئن لم تبعث بخراجك لأشدّن عليك شدّة تدعك قليل الوفر ، ثقيل الظهر ، إلاّ أن تكون لما كسرت من الخراج محتملا [1338].

نسب زياد بن أبيه وأعماله فى البصرة

وهو زياد بن عبيد الرومي ابن سميّة الزانية ولد على فراش عبيد من عدّة من الرجال الزناة منهم أبو سفيان بشهادة أبي مريم الخمّار من سماسرة الفجور في الجاهلية ، لكن معاوية ادّعاه خلافاً للحديث النبوي :

الولد للفراش وللعاهر الحجر .

وكان ابن عباس قد عيّن زياد بن أبيه وكيلا عنه في البصرة وسار إلى الكوفة . وكان معاوية قد أرسل عبدالله الحضرمي لإيجاد الفتنة في البصرة باسم الطلب بدم عثمان فأجابه بعضهم مثلما حدث في فتنة عائشة سابقاً .

وسار عبدالله الحضرمى يطوي البيداء حتّى انتهى إلى البصرة وعرض على أهلها ما طلب منهم معاوية من التمرّد على الإمام (عليه السلام) ، فأجابه جمهور غفير منهم ، فخاف زياد منهم ، وكتب إلى ابن عباس يخبره بذلك ، وبادر ابن عباس فأحاط الإمام علماً بأنّ جلّ أهل البصرة قد خلعوا يد الطاعة وفارقوا الجماعة ، فندب الإمام أهل الكوفة لمناجزة ابن الحضرمي فتكاسلوا عن إجابته ، فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي ، فقال له : أنا أكفيك هذا الخطب ، فأمره بالشخوص إلى البصرة ، وزوّده بهذه الرسالة إلى زياد :

من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد ، سلام عليك .

أمّا بعد ، فإنّني بعثت أعين بن ضبيعة ليفرّق قومه عن ابن الحضرمي ، فارقب ما يكون منه ، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظنّ به وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش ، فهو ما نحبّ وإن ترامت الأُمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانبذ من أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم فإن ظهرت فهو ما ظننت عليك ، وإلاّ فطاولهم وماطلهم فكأنّ كتائب المسلمين قد أطلّت عليك ، فقتل الله المفسدين الظالمين ، ونصر المؤمنين المحقّين ، والسلام .

وانتهى أعين إلى البصرة ، وعرض رسالة الإمام على زياد ، فلمّا قرأها قال : إنّي لأرجو أن يكفيني هذا الأمر ، وبادر أعين إلى قومه فحذّرهم وخوّفهم ، فاستجابوا له ، فنهض بهم إلى ابن الحضرمي ، وجرت بينهم مناوشات ومجادلات كلامية ، وأراد زياد مناجزته إلاّ أنّه عدل عن ذلك ، ورفع إلى الإمام رسالة جاء فيها :

«أمّا بعد ياأمير المؤمنين ! فإنّ أعين قدم علينا بجدّ ومناصحة وصدق يقين ، فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثّهم على الطاعة ، وحذّرهم الخلاف ، ثمّ نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه ، فوافقهم عامّة النهار ، فهال أهل الخلاف تقدّمه ، وتصدّع عن ابن الحضرمي كثير ممّن كان يريد نصرته ، فكان كذلك حتّى أمسى فأتى رحله ، فبيّته نفر من هذه الخارجة المارقة فأُصيب رحمه الله تعالى فأردت أن أُناهض ابن الحضرمي فحدث أمر قد أمرت رسولي هذا أن يذكره لأمير المؤمنين ، وقد رأيت أنّ رأي أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جارية بن قدامة ، فإنّه نافذ البصيرة ومطاع في العشيرة ، شديد على عدوّ أمير المؤمنين ، فإن يقدم يفرق بينهم بإذن الله ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » .

ولمّا وردت الرسالة إلى الإمام دعا جارية بن قدامة ، وعرض عليه الأمر فاستجاب له ، ومضى يجدّ السير حتّى انتهى إلى البصرة ، فقام بما عهد إليه ، فاستجاب له خلق من الأزد ، وثابوا إلى الطاعة ونبذ الخلاف [1339].

كتابه (عليه السلام) إلى زياد

وكتب الإمام (عليه السلام)هذه الرسالة إلى زياد بعد ما بلغه أنّه يتكبّر على الناس ، ويكثر من الألوان المختلفة في طعامه ... وهذه رسالته :

أمّا بعد ، فإنّ سعداً ذكر أنّك شتمته ظلماً ، وهدّدته وجبهته [1340] تجبّراً وتكبّراً ، فما دعاك إلى التكبّر ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « الكبر رداء الله ، فمن نازع الله رداءه قصمه » .

وقد أخبرني أنّك تكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد ، وتدّهن كل يوم ، فما عليك لو صمت لله أيّاماً ، وتصدّقت ببعض ما عندك محتسباً ، وأكلت طعامك قفاراً [1341]، فإنّ ذلك شعار الصالحين .

أفتطمع وأنت متمرّغ في النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم أن يحسب لك أجر المتصدّقين .

وأخبرني أنّك تتكلّم بكلام الأبرار ، وتعمل عمل الخاطئين ، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت ، وعملك أحبطت ، فتب إلى ربّك يصلح لك عملك ، واقتصد في أمرك وقدّم إلى ربّك الفضل ليوم حاجتك ، وادّهن غبّاً ، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول : « ادّهنوا غبّاً ولا تدّهنوا رفهاً » [1342].

بيّنت هذه الرسالة الحادّة من الإمام علي (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه تسلّطه عليه ومراقبته له في أكله ولبسه وحديثه وأفعاله وخطبه وحركاته ممّا جعله محبساً في اصبع الإمام (عليه السلام) لا يخالفه في أمر ولا يعارضه في حكم .

فكان زياد سائراً على الحقّ ظاهراً خائفاً من سوط أمير المؤمنين .

ومن جهة أُخرى أرسل معاوية رسالة إلى زياد بن أبيه يهدّده ويتوعّده طالباً منه العمل معه ومخالفة أمير المؤمنين وجاء في رسالته :

أمّا بعد فإنّه غرّتك قلاع تأوي إليها ليلا كما تأوي الطير إلى وكرها وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان ذلك منّي ما قاله العبد الصالح :

(فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُود لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) [1343].

تنسى أباك وقد شالت نعامته إذ تخطب الناس والوالي عمر .

ولمّا ورد ذاك الكتاب إلى زياد خطب الناس قائلا : العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يهدّدني وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزوج سيّدة نساء العالمين وأبو السبطين وصاحب الولاية والأخاء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان أما والله لو تخطّى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدني فحشاً [1344]ضرّاباً بالسيف .

وكتب إلى الإمام (عليه السلام)يخبره برسالة معاوية إليه فبعث الإمام (عليه السلام) هذه الرسالة إليه :أمّا بعد ، فإنّي قد ولّيتك ما ولّيتك

وأنا أراك لذلك أهلا ، وإنّه قد كانت من أبي سفيان فلتة في أيّام عمر من أمانيّ التيه وكذب النفس ، لم تستوجب بها نسباً ، وإنّ معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فاحذره ثمّ أحذره ثمّ احذره ، والسلام [1345].

في هذه الرسالة الرائعة من أمير المؤمنين (عليه السلام) حذّر الإمام (عليه السلام)زياداً من أضاليل معاوية وخداعه ، فقد حاول أن يلحق زياداً بنسبه ، وذلك شبهة لزنا أبيه بسميّة أُمّ زياد ، والقصّة يندى له جبين الإنسانية فيها فضيحة لأبي سفيان وسميّة ، ولكن معاوية لم يحفل بالعار في سبيل تدعيم أغراضه السياسية ، وبناء سلطانه ، وأخيراً استجاب زياد لمعاوية بعد شهادة الامام (عليه السلام)، وصار من أقوى أعوانه وأخذ يتتبّع شيعة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان بهم عالماً ، فجعل يسمل أعينهم ويقطع ألسنتهم ، ويقتلهم على الظنّة والتهمة .

ومات زياد على هذا الباطل على نهج أُمّه سميّة وأبي سفيان !!

شريح القاضي

شريح القاضي شخصية متزلزلة خائفة عيّنه عمر قاضياً واستمرّ في عمله في زمن عمر وعثمان .وأبقاه الإمام علي (عليه السلام) في مكانه مع مراقبة كاملة لأعماله كي لا يفعل فعلا باطلا .

روي أنّ شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين (عليه السلام) اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً ، فبلغه ذلك فاستدعى شريحاً وقال له :

بلغني أنّك ابتعت داراً بثمانين ديناراً ، وكتبت لها كتاباً ، وأشهدت فيه شهوداً ! فقال له شريح : قد كان ذلك ياأمير المؤمنين .

قال : فنظر إليه نظر مغضب ثمّ قال له : ياشريح ! أما إنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ، ولا يسألك عن بيّنتك حتّى يخرجك منها شاخصاً ، ويسلّمك إلى قبرك خالصاً . فانظر ياشريح ! لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك ، أو نقدت الثمن من غير حلالك ; فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة . أما إنّك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت ، لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة ، فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق . والنسخة هذه :

«هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت قد أزعج للرحيل ، اشترى منه داراً من دار الغرور من جانب الفانين ، وخطّة الهالكين ، وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحدّ الأوّل ينتهي إلى دواعي الآفات ، والحدّ الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات ، والحدّ الثالث ينتهي إلى الهوى المردي ، والحدّ الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي ، وفيه يُشرع باب هذه الدار .اشترى هذا المغترّ بالأمل ، من هذا المزعج بالأجلّ هذه الدار بالخروج من عزّ القناعة ، والدخول في ذلّ الطلب والضراعة ; فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك .

فعلى مبلبل أجسام الملوك ، وسالب نفوس الجبابرة ، ومزيل ملك الفراعنة ، مثل كسرى وقيصر ، وتبّع وحمير ، ومن جمع المال على المال فأكثر ، ومن بنى وشيّد وزخرف ، ونجّد [1346]وادّخر ، واعتقد ونظر بزعمه للولد ـ إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب [1347].

وفي سنة 36 هجرية فرّق الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عمّاله على الأمصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة (وكانت له هجرة) وعبيدالله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام [1348].

وكتب (عليه السلام)إلى معاوية وأبي موسى ، فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ، وكتب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى قيس بن سعد وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى أن يندبوا الناس إلى أهل الشام [1349].

وقد سعى الإمام علي (عليه السلام) إلى تعيين ولاة مؤمنين لهم سابقة في الجهاد والإسلام مثل سهل بن حنيف وعثمان بن حنيف .

وكان أبو بكر وعمر وعثمان قد أبعدوا الأنصار عن الحكم إلاّ نادراً فأعاد الإمام علي (عليه السلام)إليهم مقامهم المحمود ومنزلتهم

المعتبرة .

ولقد سار أبو بكر وعمر وعثمان على منطق رجال قريش في إبعاد الأنصار عن السياسة والإدارة ورفع منزلة طلقاء مكّة مع سابقتهم السيّئة وأفعالهم المرّة المعادية للإسلام .

فقد عيّن أبو بكر يزيد بن أبي سفيان على قسم من الشام وعيّن عتبة بن أبي سفيان على الطائف وعيّن عكرمة بن أبي جهل على عمان .

وكذلك فعل عمر وعثمان مع الطلقاء رغم صحائفهم السوداء وتراجمهم العقيمة [1350].واحتكر رجال الندوة المجتمعون لقتل النبي (صلى الله عليه وآله) قبل هجرته على مناصب الولاة في زمن أبي بكر وعمر وعثمان .

سهل بن حنيف والي المدينة

وسهل من المخلصين الأفذاذ والرموز القليلة التي جاهدت بنفسها ومالها في سبيل الله تعالى وهو سهل بن حنيف الأنصاري الآلوسي ، وكان من أعلام الصحابة وخيارهم ، ومن السابقين لاعتناق الإسلام ، شهد بدراً ، وثبت يوم أُحد حين انكشف الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبايع النبي على الموت ، وكان ينفح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنبل فيقول : نبّلوا سهلا فإنّه سهل .

كما شهد الخندق والمشاهد كلّها ، وقد ولاّه الإمام بعد ذلك على البصرة .

وولاة الإمام علي (عليه السلام)على المدينة بعد رحيله إلى العراق

وحينما كان والياً على المدينة بلغ الإمام (عليه السلام) أنّ عصابة من أهل المدينة التحقوا بمعاوية ، فكتب إليه الإمام (عليه السلام) هذه الرسالة :

«أمّا بعد ، فقد بلغني أنّ رجالا ممّن قبلك يتسلّلون إلى معاوية ، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ، ويذهب عنك من مددهم ، فكفى لهم غيّاً ولك منهم شافياً ، فرارهم من الهدى والحقّ ، وإيضاعهم [1351]إلى العمى والجهل ; وإنّما هم أهل دنيا مقبلون عليها ، ومهطعون إليها وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا أنّ الناس عندنا في الحقّ أُسوة فهربوا إلى الإثرة فبعداً لهم وسحقاً [1352]».

الظاهر من رسالة الإمام (عليه السلام) لسهل أنّ سهلا حزن لفراق البعض المدينة والتحاقهم بمعاوية فراسله أمير المؤمنين مبيّناً له سوء منزلتهم وفضل فرارهم ، وتوفّي سهل في سنة 38 هجرية .

عثمان بن حنيف

كان عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي من رموز الصحابة شارك في المعارك الإسلامية مجاهداً فذّاً [1353].

وكان مناصراً لأهل البيت (عليهم السلام) في أيّام السقيفة وما بعدها .

وكان أخوه سهل بن حنيف من زعماء الأنصار الصالحين ولمّا رفض الناس الصلاة خلف عثمان أيّام الثورة عليه طلبوا من سهل إمامة الصلاة في المسجد النبوي فكان يصلّي بهم [1354].

ثمّ عيّنه الإمام علي (عليه السلام) والياً على البصرة لأهميّتها الاستراتيجية ولمّا دعاه أحد الناس هناك إلى وليمة كبيرة هناك وبّخه الإمام (عليه السلام)في رسالة له اليه :

رسالة الإمام الحضارية الأخلاقية

جاء فى تلك الرسالة :

أمّا بعد يابن حنيف فقد بلغني أنّ رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان

.[1355]

وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم ، عائلهم [1356]مجفو [1357]، وغنيّهم مدعو .

فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم [1358]، فما اشتبه عليك علمه فالفظه [1359]، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

ألا وإنّ لكل مأموم إماماً ، يقتدي به ويستضيء بنور علمه ; ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه [1360]، ومن طعمه بقرصيه .

ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفّة وسداد .

فوالله ! ما كنزت من دنياكم تبراً [1361]، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً [1362]، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ، ولا حزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منه إلاّ كقوت أتان دبرة ، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة [1363] مقرة [1364] بلى ! كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء ، فشحّت عليها نفوس قوم [1365]، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ، ونعم الحكم الله .

وما أصنع بفدك وغير فدك ، والنفس مظانّها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها ، وتغيب أخبارها وحفرة [1366]لو زيد في فسحتها ، وأوسعت يدا حافرها ، لأضغطها الحجر والمدر ، وسدّ فرجها التراب المتراكم ; وإنّما هي نفسي أُروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المزلق [1367]. ولو شئت لاهتديت الطريق ، إلى مصفّى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القزّ .[1368]

ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ـ ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ـ أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى ، أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة *** وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ [1369]

أأقنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ، ولا أُشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أُسوة لهم في جشوبة العيش [1370]!

فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات ، كالبهيمة المربوطة ، همّها علفها ، أو المرسلة شغلها تقمّمها [1371]، تكترش من أغلافها ، وتلهو عمّا يراد بها ، أو أترك سدىً ، أو أُهمل عابثاً ، أو أجرّ حبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المتاهة [1372]!

وكأنّي بقائلكم يقول : « إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب ، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان » .

ألا وإنّ الشجرة البرّية أصلب عوداً ، والروائع الخضرة أرقّ جلوداً ، والنباتات البدوية أقوى وقوداً ، وأبطأ خموداً .

وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو [1373]، والذراع من العضد .

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها . وسأجهد في أن أُطهّر الأرض من هذا الشخص المعكوس ، والجسم المركوس [1374]حتّى تخرج المدرة [1375] من بيت حبّ الحصيد .

ومن هذا الكتاب ، وهو آخره :

إليك عنّي يادنيا ! فحبلك على غاربك [1376]، قد انسللت من مخالبك [1377]وأفلت من حبائلك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك .

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك !

أين الأُمم الذين فتنتهم بزخارفك !

فهاهم رهائن القبور ، ومضامين اللحود .

والله ! لو كنت شخصاً مرئياً ، وقالباً حسّياً ، لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني ، وأُمم ألقيتهم في المهاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلف ، وأوردتهم موارد البلاء ، إذ لا ورد ولا صدر [1378]!

هيهات ! من وطيء دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ، ومن ازورّ [1379]عن حبائلك وفّق ، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه ، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه [1380].

اعزبي عنّي ! فوالله لا أُذلّ لك فتستذلّيني ، ولا أسلس [1381] لك فتقوديني . وأيم الله ! يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً ; ولأدعنّ مقلتي كعين ماء ، نضب معينها [1382]، مستفرغة دموعها . أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك ؟ وتشبع الربيضة [1383]من عشبها فتربض ؟ ويأكل علي من زاده فيهجع [1384]! قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة [1385]، والسائمة المرعية !

طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت في الليل غمضها ، حتّى إذا غلب الكرى [1386]عليها افترشت أرضها ، وتوسّدت كفّها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم ، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم :

(أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ).

فاتّق الله يابن حنيف ، ولتكفف أقراصك ، ليكون من النار خلاصك [1387].

فعثمان بن حنيف رغم أخلاقه العالية وزهده في الدنيا يوبّخه الإمام (عليه السلام)ويدعوه لسلوك طريق الحقّ أكثر فأكثر لاستعداده لهذا الأمر .

وهو درس أخلاقي لنا في كيفية التعامل مع هذه الحالات .

وحالة إكرام الأغنياء وترك الفقراء قديمة ومستمرّة تشكوا منها مجتمعات العالم فالأغنياء يشكون من التخمة والمساكين يتضوّرون من الجوع .

ورسالة الإمام (عليه السلام)دعوة مخلصة لنبذ أهواء الدنيا وترك زبرجها والتوجّه نحو رحاب الله تعالى ورضاه والقناعة في الأُمور كلّها .

رسالة ثانية من الإمام لعثمان

وبعث الإمام (عليه السلام)رسالة إلى عثمان حينما بلغه زحف الجيش الذي تقوده عائشة والزبير وطلحة لاحتلال البصرة جاء فيها :

من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف .

أمّا بعد ، فإنّ البغاة عاهدوا الله ثمّ نكثوا وتوجّهوا إلى مصرك ، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به ، والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلا .

فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه .

فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك ، وإن أبوا إلاّ التمسّك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتّى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين .

وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة ، وأنا معجّل المسير إليك إن شاء الله [1388].

ولمّا وصلت قوات عائشة إلى البصرة تعاهدت مع عثمان بن حنيف على الكفّ عن الحرب إلى حين مجيء الإمام (عليه السلام).

لكنّها غدرت ليلا بذلك وهجمت قوّاتها على بيت عثمان فأخذوه أسيراً وقتلت سبعين حارساً يحفظون بيت المال هناك .

ونهبوا بيت المال في البصرة ثمّ أمرتهم عائشة بضرب عثمان بن حنيف فضربوه ضرباً قاسياً ونتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه وكل شعرة في وجهه ورأسه وقالت عائشة لأبان بن عثمان اخرج إليه واضرب عنقه فإنّ الأنصار قتلت أباك .

ثمّ خافوا من قتله فأخوه سهل بن حنيف والي المدينة [1389].

وهذه الحادثة تبيّن عدم معرفة عائشة بالأحكام الشرعية فإنّه حتّى لو كان معاوناً في القتل لا يقتل بل يقتل المباشر للقتل . ونست عائشة

إنّها كانت الآمر بقتل عثمان بن عفّان بقولها : اقتلوا نعثلا لقد كفر [1390].

وهي المحكومة بالقتل لأمرها بقتل عثمان .

أبو الأسود الدؤلي والي البصرة

ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي البصري من العلماء المجاهدين والرموز المرموقين من طلاّب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) واستعمله والياً على البصرة بعد ابن عباس [1391].

أمّا بعد ، فمثلك نصح الإمام والأُمّة ، وأدّى الأمانة ، ودلّ على الحقّ ، وقد كتبت إلى صاحبك ـ يعني ابن عباس ـ فيما كتبت إليّ فيه من أمره ، ولم أُعلمه أنّك كتبت إليّ ، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك ممّا النظر فيه للأُمّة صلاح ، فإنّك بذلك جدير ، وهو حقّ واجب عليك ، والسلام [1392].

وتبيّن هذه الرسالة حرص الإمام علي (عليه السلام) على عدم مخالفة ولاته المبتعدين عن الباطل وكانت لأبي الأسود مكانة متميّزة عند ابن عباس ، وقد استخلفه على القضاء ، وممّا يجدر الإشارة إليه أنّه قضى على رجل في أمر فشكاه ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال :

إذا كنت مظلوماً فلا تلف راضياً *** عن القوم حتّى تأخذ النصف واغضب

وإن كنت أنت الطالب القوم فاطرح *** مقالتهم واشعب بهم كلّ مشعب

وقارب بذي عقل وباعد بجاهل *** جلوب عليك الشرّ من كلّ مجلب

ولا ترتض بالجور واصبر على التي *** بها كنت أقضي للبعيد على الأب

فإنّي امرؤ أخشى إلهي وأتّقي *** عقابي وقد جرّبت ما لم تجرّب [1393]

ولد في أيّام النبوّة وكان فقيهاً شاعراً قاضياً بالبصرة وهو أوّل من وضع النحو بأمر الإمام علي (عليه السلام)وعرضه على الإمام فقال (عليه السلام): نعم ما نحوت [1394].

وكان من أصحاب الأئمّة علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين (عليهم السلام) [1395].

وأمر الإمام بعلم النحو بعد أن سمع رجلا قرأ آية : (أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) [1396].

وعندها أمر أمير المؤمنين أبا الأسود الدؤلي بتدوين علم النحو بعد أن لقّنه قواعده [1397].

إنّ الكلام يقسّم إلى اسم وفعل وحرف ونبّهه إلى اختلاف أواخر الاسم بالنصب والرفع والجرّ بأنّ كلام العرب تتغير أحكامه فالاسم معرّب والحرف مبني والفعل بعضه معرّب وبعضه مبني [1398].

وكان الدؤلي حاضر الجواب جيّد الكلام مليح البادرة حاذق .. وروى المبرد قال قال زياد لأبي الأسود الدؤلي لولا أنّك قد كبرت لأستعنا بك في بعض أُمورنا قال إن كنت تريدني للصراع فليس عندي وإن كنت تريد رأيي وعقلي فهما أوفر ما كانا .. وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيّد الكلام مليح البادرة .. وروي عن الشعبي أنّه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه دخل على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة .

قال : نعم قال فما كنت صانعاً قال كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار وأبنائهم ثمّ أقول يامعشر من حضر أرجل من المهاجرين أحقّ أم رجل من الطلقاء فلعنه معاوية وقال الحمد لله الذي كفاناك .

وقد روي أنّ أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة وقال لأمير المؤمنين في وقت الحكمين ياأمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فإنّي قد عجمت الرجل وبلوته فحلبت أشطره فوجدته قريب القعر مع أنّه يمان وما أدري ما يبلغ نصحه فابعثني فإنّه لا يحلّ عقدة إلاّ عقدت له أشدّ منها وأنّهم قد رموك بحجر الأرض فإن قيل أنّه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلاّ من تعرف وكان في الخلاف عليهم

كالنجم فأبى (عليه السلام)..

وروى محمّد بن يزيد النحوي أنّ أبا الأسود كان شيعياً وكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكا ذلك ، فشكاهم مرّة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني [1399].

وبعد ما آلت الخلافة إلى معاوية بن هند ، وولّي ابن عامر على البصرة جفاه وأبعده لولائه للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال فيه أبو الأسود :

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر *** وما مرّ من عيشي ذكرت وما فضل

أميرين كانا صاحبيّ كلاهما *** فكلاً جزاه الله عنّي بما فعل

فإن كان شرّاً كان شرّاً جزاؤه *** وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل [1400]

ومات سنة 69 هجرية .

رسالة الإمام إلى أهل البصرة

وزوّد الإمام (عليه السلام)جارية بن قدامة بالرسالة التالية فقرأها على أهل البصرة وهي : من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم .

أمّا بعد ، فإنّ الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البيّنة ، ولا يأخذ المذنب عند أوّل وهلة ، ولكنّه يقبل التوبة ، ويستديم الأناة ، ويرضى بالإنابة ، ليكون أعظم للحجّة ، وأبلغ في المعذرة .

وقد كان من شقاق جلّكم ـ أيّها الناس ـ ما استحققتم أن تعاقبوا عليه ، فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم ، وقبلت من مقبلكم ، وأخذت بيعتكم ، فإن تفوا ببيعتي وتقبلوا نصيحتي ، وتستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب والسنّة وقصد الحقّ ، وأُقم فيكم سبيل الهدى .

فوالله ! ما أعلم أنّ والياً بعد محمّد (صلى الله عليه وآله) أعلم بذلك منّي ، ولا أعمل .

أقول قولي هذا صادقاً غير ذامّ لمن مضى ، ولام منتقصاً لأعمالهم .

فإن خطت بكم الأهواء المردية ، وسفه الرأي الجائر إلى منابذتي تريدون خلافي ، فها أناذا قد قرّبت جيادي ، ورحّلت ركابي [1401].

وأيم الله لئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأُوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلاّ كلعقة لاعق ، وإنّي لظانّ ألاّ تجعلوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلا .

وقد قدّمت هذا الكتاب إليكم حجّة عليكم ، ولن أكتب إليكم من بعده كتاباً إن أنتم استغششتم نصيحتي ، ونابذتم رسولي حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء الله تعالى ، والسلام [1402].

استفاد غواة أهل البصرة من حلم الإمام علي (عليه السلام)في معركة الجمل حيث عفى عن أسراهم وأطلق سراحهم فعادوا إلى الفتنة ثانية فنصحهم الإمام (عليه السلام)وهدّدهم بضرورة العودة إلى الحقّ .

رسالته (عليه السلام) إلى أحد ولاته المنحرفين

وهو المنذر بن الجارود العبدي الخائن : « أمّا بعد فإنّ صلاح أبيك غرّني منك وظننت أنّك تتبع هديه وتسلك سبيله فإذا أنت فيما رقى إليّ عنك لا تدع لهواك انقياداً ولا تبقي لآخرتك عناداً .

تعمّر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني عنك حقّاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك

فليس بأهل أن يسدّ به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة أو يؤمن على خيانة فاقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله [1403].

ابتلى العالم الإسلامي بعد الفتوحات الإسلامية العظمى بكثرة الأموال القادمة من تلك البلدان لم تعهدها مدنهم ولم تعرفها حساباتهم ولا تستوعبها مخازنهم .

فطارت العقول الخفيفة وعظمت الحدّة المادّية وتضخمّت الناحية الدنيوية .

فخالد بن الوليد وأنس بن مالك وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن أبي سفيان أصبحوا من الأغنياء فجأة في زمن أبي بكر .

وأصبح زيد بن ثابت وأبو هريرة ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة من الاغنياء المترفين في زمن عمر بن الخطّاب .

وفي زمن عثمان بن عفّان انهالت الأموال الطائلة على بني أُميّة خاصّة ومن باع دينه بآخرته أمثال الأشعث بن قيس المرتدّ وكعب بن مالك المنافق وكعب الأحبار اليهودي فأصبحت الأُمور مهيّأة لطلاّب الدنيا المرتدّين على أعقابهم من أمثال الجارود العبدي وأبي الأعور الأسلمي .

وكيف لا يفتتن هؤلاء وهم يشهدون اعطاء عثمان دولة أذربيجان للأشعث الكندي وإعطاء معاوية دولة مصر لابن العاص !

أي لم يكتفِ الزعماء بإعطاء المال والدور هديّة لأعوان النظام بل راحوا يعطون الدول هدايا لأفسق الناس وأحطّهم منزلة .

فالأشعث الكندي أسلم في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) وعندما رفعت سجاح المنحرفة راية النبوّة أصبح مؤذّنها الخاص .

ولمّا هزمت عفا عنه أبو بكر وحقّه القتل في الإسلام .

ولمّا جاء عثمان قرّبه وأعطاه دولة آذربيجان هبة له ولأولاده من بعده .

وهذه الثقافة الخاطئة جعلت الكثير من الولاة ينحرفون عن الصراط المستقيم ويخونون المسلمين في الأموال .

فذهنهم القاصر جعلهم يعتقدون بأنّ أمصارهم هبة لهم مثلما حصل الأشعث وابن العاص على آذربيجان ومصر !

محاسبة عبدالله بن عبّاس

وكتب الإمام علي إلى عبدالله بن عبّاس ، وهو عامله على البصرة : فاربع أبا العبّاس ـ رحمك الله ـ فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشرّ ; فإنّا شريكان في ذلك ، وكن عند صالح ظنّي بك ، ولا يفيلنّ [1404]رأيي فيك . والسلام [1405].

وأمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك ، وأخربت أمانتك ، وعصيت إمامك ، وخنت المسلمين .

بلغني أنّك جرّدت الأرض ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك ، واعلم أنّ حساب الله أشدّ من حساب الناس . والسلام [1406].

عبدالله بن عباس بن عبدالمطّلب من أبرز تلاميذ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)حتّى سمّي حبر الأُمّة ، أخذ عنه الفقه والتفسير .

وكان حافظاً ذكيّاً مواظباً على متابعة أخذ العلوم من أمير المؤمنين (عليه السلام) .

فكان قوي الحجّة واضح البيان حاجج عمر بن الخطّاب وأبطل حججه وحاجج عائشة في البصرة وهز اطروحتها ثمّ حاجج الخوارج وأفشل آراءهم .

والملاحظ لكلامه مع عمر إسكاته له لبطلان حجج عمر في قضية السقيفة وضعف مبادئ وأقوال قريش فيها .

قال عبدالله بن عبّاس : إنّي لأُماشي عمر في سكّة من سكك المدينة ، فقال : يابن عبّاس ما أظنّ صاحبك إلاّ مظلوماً ، فقلت : ياأمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته : فانتزع يده من يدي ثمّ مرّ يهمهم ساعة ، ثمّ وقف ، فلحقته ، فوقف فقال : يابن عباس ما أظنّ القوم منعهم من صاحبك إلاّ أنّهم استصغروه فقلت : والله ما استصغره الله عزّوجلّ حين أمره بأخذ سورة براءة من أبي بكر .

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة مرّ عمر بعلي (عليه السلام) : وعنده ابن عبّاس بفناء داره فسلّم ، فسألاه أين تريد ؟ قال :

مالي بينبع ، قال علي (عليه السلام): أفلا نصل جناحك ونقيم معك ؟ قال : بلى ، فقال لابن عباس : قم معه ، قال : فشبك أصابعه في أصابعي ومضى حتّى إذا خلفنا البقيع ، قال : يابن عبّاس أما والله إنّ صاحبكم هذا لأولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلاّ أنّا خفناه على اثنين . قال ابن عباس : فجاء بمنطق لم أجد بدّاً معه من مسألته عنه قلت : ما هما ؟ قال : خشيناه على حداثة السنّ وحبّه بني عبدالمطّلب .

ثمّ قال ابن أبي الحديد ، بإسناد رفعه إلى ابن عبّاس ، قال : تفرّق الناس ليلة الجابية [1407]عن عمر ، فسار كل واحد مع إلفه [1408]، ثمّ صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا ، فحادثته ، فشكا إلى تخلّف علي (عليه السلام)عنه ، فقلت : ألم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : فهو على ما اعتذر به ، فقال : يابن عباس إنّ أوّل من ريثكم [1409]عن هذا الأمر أبو بكر ، إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة ، قلت : لِمَ ذاك ياأمير المؤمنين ؟ ألم ننلهم خيراً ؟ قال : بلى ، ولكنّهم لو فعلوا لكنتم عليهم جحفاً [1410]- [1411].

ثمّ قال ابن أبي الحديد : لقى علي (عليه السلام) عمر ، فقال له علي : أُنشدك الله هل استخلفك رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال : لا ، قال : كيف تصنع أنت وصاحبك ؟ قال : أمّا صاحبي فقد مضى لسبيله ، وأمّا أنا فسأخلعها من عنقي إلى عنقك ، فقال جدع الله أنف من ينقذك منها ! ولكن جعلني الله تعالى علماً ، فإذا قمت فمن خالفني ضلّ [1412].

وشارك عبدالله بن العباس في حرب الجمل وبعد انتصار الإمام علي (عليه السلام)فيها عيّنه الإمام والياً على البصرة ، ثمّ كتب إليه :

أمّا بعد فلا يكن حظّك في ولايتك ما لا تستفيده ولا غيظاً تشفيه ولكن إماتة باطل وإحياء حقّ [1413].

وكتب إليه أيضاً :

أمّا بعد فإنّك لست بسابق أجلك ولا مرزوق ما ليس لك ، واعلم بأنّ الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ، وإنّ الدنيا دار دول [1414]فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك [1415].

الرسالة السابقة لأمير المؤمنين تدعو إلى سكينة النفس والاطمئنان بالحياة والرضا بالقناعة ثمّ النظر إلى الأحداث والأهوال بصورة صحيحة .

ثمّ دعا الإمام علي (عليه السلام) ابن عبّاس لحرب معاوية فالتحق به في النخيلة مع أتباعه من أهل البصرة [1416].

اتّهامه بسرقة بيت المال

اتّهمه بعض المؤرخين بسرقة أموال البصرة استناداً إلى رسائل الإمام معه منها :

كتب الإمام (عليه السلام)هذه الرسالة لابن عباس ، وجاء فيها :

أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر ، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك ، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك .

بلغني أنّك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إلي حسابك ، واعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس ، والسلام .

وقد أجابه ابن عباس نافياً عنه هذه التهمة بما يلي :

أمّا بعد فإنّ كلّ الذي بلغك باطل ، وأنا لما تحت يدي ضابط ، وعليه حافظ ، فلا تصدّق الضنين [1417].

وجواب ابن عباس صريح في براءته من تهمة الخيانة ، وأنّه قد اتّهمه بذلك بعض حسّاده وأعدائه .

وكتب الإمام (عليه السلام)إليه رسالة أُخرى يسأله فيها ما أخذه من الجزية وجاء فيها :

أمّا بعد ، فإنّه لا يسعني تركك حتّى تعلمني ما أخذت من الجزية من أين أخذته ، وما وضعت منها وفيم وضعته ، فاتّق الله فيما ائتمنتك عليه ، واسترعيتك إيّاه ، فإنّ المتاع بما أنست رازمه [1418]قليل ، وتبعاته وبيلة لا تبيد [1419] والسلام [1420].

هذه الرسالة ليس فيها تهمة بل طلب بمراعاة التقوى والورع ومن الرسائل التي حملت طابع الشدّة والصرامة على ابن عبّاس هذه الرسالة ، التي رواها عبدالله بن عبيد عن أبي الكنود ، قال : كنت من أعوان عبدالله بن عباس بالبصرة ، فلمّا كان ما كان أتيت علياً فأخبرته ، فتلا قوله تعالى :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ) [1421].

ثمّ كتب معه هذه الرسالة إلى ابن عبّاس :

«أمّا بعد ، فإنّي كنت أشركتك في أمانتي ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثق عندي منك بمواساتي ومؤازرتي بأداء الأمانة ، فلمّا رأيت الزمان قد كلب على ابن عمّك [1422]، والعدو ـ يعني معاوية ـ قد حرد [1423]، وأمانة الناس قد خربت ، وهذه الأُمّة قد فتنت ، قلبت لابن عمّك ظهر المجنّ [1424]، ففارقته مع القوم المفارقين ، وخذلته أسوأ خذلان ، وخنته مع من خان فلا ابن عمّك آسيت ، ولا الأمانة أدّيت ، كأنّك لم تكن على بيّنة من ربّك وإنّما كدت أُمّة محمّد عن دنياهم وغدرتهم عن فيئهم ، فلمّا أمكنتك الفرصة في خيانة الأُمّة ، أسرعت الغدرة ، وعاجلت الوثبة ، فاختطفت ما قدرت من أموالهم ، وانقلبت بها إلى الحجاز كأنّك إنّما حزت على أهلك ميراثك من أبيك وأُمّك .

فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد ؟

أما تخاف الحساب ؟

أما تعلم أنّك تأكل حراماً ؟ وتشرب حراماً ؟

وتشتري الإماء وتنكحهم بأموال اليتامى والأرامل والمجاهدين في سبيل الله التي أفاء الله عليهم .

فاتّق الله وأدّ إلى القوم أموالهم ، فإنّك والله ! لئن لم تفعل وأمكنني الله منك لأعذرنّ إلى الله فيك ، لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ، ما كانت لهما عندي هوادة ، ولما تركتهما حتّى آخذ الحقّ منهما ، والسلام [1425]».

في هذه الرسالة بيان لمنزلة المرسل إليه وهي منزلة وضيعة لم تكن لابن عبّاس .

الاعتذار عن الخيانة

الملاحظ لسيرة عبدالله بن عبّاس يجد أُموراً كثيرة معارضة لاتّهامه بالخيانة منها .

1 ـ منزلة عبدالله بن عبّاس أجلّ من هذه التهمة الباطلة له فقد قال الإمام علي (عليه السلام)عنه :

لله درّ ابن عبّاس إن كان لينظر إلى الغيب من ستر رقيق [1426].

2 ـ قال عمرو بن عبيد في حديث له مع سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس منكراً قول الإمام في ابن عباس : « يفتينا في القملة والقميلة ، وطار بأموالنا في ليلة » ... كيف يقول هذا وابن عباس ، لم يفارق علياً (عليه السلام) حتّى قتل ، وشهد صلح الحسن (عليه السلام)، وأي مال يجتمع في بيت المال بالبصرة مع حاجة علي (عليه السلام) إلى الأموال ، وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خميس ، ويرشّه ؟ قالوا : إنّه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة ؟ هذا باطل [1427].

3 ـ الظاهر أنّ قضية أخذه قرضاً من بيت المال هي التي أجّجت هذا الموضوع وهذا باطل ، إذ كتب أبو الأسود الدؤلي إلى الإمام علي (عليه السلام) عن هذا الموضوع فكتب الإمام (عليه السلام)رسالة إلى ابن عبّاس جاء فيها :

أمّا بعد ، فإنّ المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً ، وليكن همّك فيما بعد الموت ، والسلام .

ولمّا وصلت هذه الرسالة الحافلة بالوعظ والإرشاد علّق عليها ابن عباس قائلا : ما اتّعظت بكلام قطّ اتّعاظي بكلام أمير المؤمنين (عليه

السلام) [1428].

وردّ ابن عباس هذه الأموال إلى بيت المال .

4 ـ إنّ عبدالله بن عبّاس تربّى عند أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فيستبعد قيامه بهذا العمل .

وحزن عبدالله بن عبّاس على شهادة الإمام علي (عليه السلام) أشدّ الحزن وبكاه أمرّ البكاء حتّى فقد بصره [1429].

وهو أوّل من دعا له على المنابر [1430].

وكان ابن عبّاس يتوسّل إلى الله تعالى بالإمام علي (عليه السلام) .

5 ـ الظاهر أنّ رجال الحزب الأُموي والزبيري هم الذين حرّفوا رسالة الإمام علي (عليه السلام)من أحد السرّاق إلى عبدالله بن عبّاس للصراع الحادّ الحاصل بين الطرفين .

وكان ابن عبّاس يمثّل طرف أهل البيت (عليهم السلام) فقد أراد عبدالله بن الزبير إحراقهم وفيهم ابن عبّاس ومحمّد بن الحنفية وجمع لهم الحطب ، ولو كان ابن عبّاس مائلا إلى الدنيا لمال إلى حكومة ابن الزبير وتنعّم بأموالهم ، لكنّه أصرّ على المبدأية فأهانوه وزجروه ومنعوا عنه جوائزهم .

قثم بن العبّاس والي مكّة

عيّن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قثم بن العبّاس والياً على مكّة لورعه وتقواه .

وفي آخر صلاة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجده الشريف خرج النبي (صلى الله عليه وآله) متكئاً على الإمام علي (عليه السلام) وقثم بن العبّاس .

وأُمّه لبابة بنت الحارث الهلالية ثاني امرأة أسلمت بعد خديجة أُمّ المؤمنين .

وقال قثم واصفاً أمير المؤمنين (عليه السلام) : كان أوّلنا لحوقاً ، وأشدّنا لزوقاً [1431].

واستمرّ قثم والياً على مكّة وخادماً لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن استشهد الإمام في سنة 40هجرية .

وكتب الإمام (عليه السلام)رسالة إلى قثم جاء فيها :

إمّا قاتل لعثمان ، أو خاذل له ، وهو لا يصلح للإمامة ، وأنّ الصالح للإمامة معاوية بن أبي سفيان [1432]، فكتب إليه الإمام يحذّره من معاوية وأذنابه :

أمّا بعد ، فإنّ عيني ـ بالمغرب [1433]ـ كتب إليّ يعلمني أنّه وجّه على الموسم أُناس من أهل الشام العمي القلوب ، الصمّ الأسماع ، الكمه الأبصار [1434]، الذين يلتمسون الحقّ بالباطل ، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ، ويحتلبون الدنيا درّها بالدين ، ويشترون عاجلها بآجل الأبرار والمتّقين ; ولن يفوز بالخير إلاّ عامله ، ولا يجزى جزاء الشرّ إلاّ فاعله . فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب ، والناصح اللبيب ، والتابع لسلطانه ، المطيع لإمامه .

وإيّاك وما يعتذر منه ، ولا تكن عند النعماء بطراً [1435]، ولا عند البأساء فشلا ، والسلام [1436].

فوصف الإمام (عليه السلام)طغاة الشام أنّهم : عمي القلوب ، صمّ الأسماع ، كمه الأبصار ، يلتمسون الباطل باسم الحقّ ، يطيعون المخلوق بمعصية الخالق ، ويسرقون مال الدنيا بالدين .

ونصحه باتّباع الحقّ في السرّاء والضرّاء .

رسالة أُخرى إلى قثم

أمّا بعد ، فأقم للناس الحجّ ، وذكّرهم بأيّام الله ، واجلس لهم العصرين ، فأفت المستفتي ، وعلّم الجاهل ، وذاكر العالم . ولا يكن لك إلى الناس سفير إلاّ لسانك ، ولا حاجب إلاّ وجهك . ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها ، فإنّها إن ذيدت [1437]عن أبوابك في أوّل وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها .

وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة ، مصيباً به مواضع الفاقة والخلاّت وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا .

ومر أهل مكّة ألاّ يأخذوا من ساكن أجراً ، فإنّ الله سبحانه يقول :

(سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) فالعاكف : المقيم به ، والبادي : الذي يحجّ إليه من غير أهله .

وشرعت رسالة الإمام علي (عليه السلام) في بيان وظيفة الوالي أن يجلس للناس صباحاً ومساءً جلسة عمومية يفتي فيهم في المسائل الشرعية ويعلم الجاهل ويذاكر العالم منهم وأن يخاطبهم مباشرة ولا ينصب الحجاب على بابه فيمنعون الناس منه ويقابل أهل الحاجة .

وابدأ بتقسيم المال بين ذوي الحاجة في بلدك ثمّ احمل إلينا الزائد عن حاجتك . ويأمر أهل مكّة بعدم أخذهم الأجر عن سكنهم في البلد تبعاً للآية القرآنية .

عبيدالله بن العبّاس

وهو عبيدالله بن العبّاس بن عبدالمطّلب عيّنه الإمام (عليه السلام) على اليمن .

ولمّا وصل إليها وجد خزينة بيت المال خالية بعدما أخذها والي عثمان على اليمن يعلى بن منبه .

فيعلى نهب هذه الأموال أوّلا ودعم الفتنة ثانياً إذ جهّز بها جيش عائشة بشراء ذمم الأعراب والمنافقين وبعد خسارة جيش عائشة وهزيمتهم اهتدى يعلى إلى الحقّ والتحقّ بجيش الإمام علي (عليه السلام) .

ولمّا كان عبيدالله بن العبّاس في اليمن جهّز له معاوية جيشاً بقيادة بسر بن أرطأة لاحتلال اليمن . ولمّا وصل جيش بسر إلى اليمن هرب عبيدالله بن عباس إلى الكوفة ولم يكن بمستوى المسؤولية هناك ، واستخلف على اليمن عبدالله بن عبد الحارثي .

فجاء بسر بجيشه وقتل طفلي عبيدالله بن عباس وقتل الناس على الظنّ والتهمة .

وهذا بسر الشجاع على النساء والأطفال فرّ فرار العبيد الآبقين من جيش جارية بن قدامة السعدي الذي لاحقه في الحجاز فأخذ يتخفّى في النهار ويمشي في الليل ويمحو آثاره ويتوسّل بالشريف والدنيّ للبحث عن طريق صحراوي أو جبلي ينقذه من ابن قدامة !!

وأخذت أُمّ الطفلين عائشة بنت عبدالله المدان تنشد في المواسم هذه الأبيات التي مثّلت أساها ، وهي :

يامن أحسّ بُنيّ اللذين هما *** كالدرّتين تشظّى عنهما الصدف

يامن أحسّ بنيّ اللذين هما *** مخّ العظام فمخّي اليوم مزدهف

يامن أحسّ بنيّ اللذين هما *** قلبي وسمعي ، فقلبي اليوم مختطف

من ذلّ والهةً حيرى مدلّهة *** على صبيين ذلاً إذ غدا السلف ؟

نبّئت بسراً وما صدّقت ما زعموا *** من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا

أحنى على ودجي إبنيّ مرهفة *** من الشفار كذاك الإثم يقترف

ولمّا سمع الإمام (عليه السلام)بقتل الصبيين دعا على بسر ، فقال : « أُسلبه دينه وعقله » ، واستجاب الله دعاء الإمام (عليه السلام) ففقد بسر عقله ، فكان يهذي ويطلب السيف فيؤتى بسيف من خشب ، ويجعل بين يديه زقّ منفوخ فلا يزال يضربه حتّى مات [1438].

وبسر نموذج من ولاة معاوية ووجه من وجوهه البشعة ووجهه الآخر عمرو بن العاص ، فهؤلاء الجبناء الأراذل يفرّون من الحروب ويكشفون عوراتهم للبقاء في الدنيا ويتفنّنون في قتل الأبرياء والضعفاء .

عمر بن أبي سلمة والي البحرين

وهو عمر بن أبي سلمة المخزومي ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أُمّه أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سلمة ، يكنّى أبا جعفر ، ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة ، وقد أرسلته أُمّه لمساعدة الإمام (عليه السلام) في حرب الجمل ، وقد بعثت معه رسالة إلى الإمام (عليه السلام) جاء فيها :

« لولا أنّ الجهاد موضوع عن النساء لجئت فجاهدت بين يديك ، هذا ابني عديل النفس فاستوص به خيراً ياأمير المؤمنين ! » .

وقد عزله الإمام (عليه السلام)عن ولاية البحرين وشاركه في حرب الجمل [1439]، وكتب إليه هذه الرسالة :

أمّا بعد ، فإنّي قد ولّيت نعمان بن عجلان الزرقي على البحرين ، ونزعت يدك بلا ذمّ لك ، ولا تثريب عليك [1440]; فلقد أحسنت الولاية ، وأدّيت الأمانة ، فأقبل غير ظنين [1441]، ولا ملوم ، ولا متّهم ، ولا مأثوم ، فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام ، وأحببت أن تشهد معي ، فإنّك ممّن أستظهر به على جهاد العدو ، وإقامة عمود الدين ، إن شاء الله [1442].

وتوفّي هذا الرجل المخلص المفضِّل للآخرة على الدنيا في سنة 83 هجرية زمن عبدالملك بن مروان [1443]. على دين الحقّ ونهج الصدق وركن الإسلام وبيعة الإمام (عليه السلام)مثلما كانت عليه أُمّ سلمة الصادقة الوفيّة لعهود ووصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فكانت خديجة وأُمّ سلمة أرفع نساء النبي (صلى الله عليه وآله)طاعة وإخلاصاً وعلماً وفضيلة .

وكانت عائشة وحفصة وسودة أسوأ نساء النبي (صلى الله عليه وآله)في فتنهما وعنادهما وركوبهما للمعاصي وتهريجهما على الرسول وآله واختلاقهما للحديث .

النعمان بن عجلان

من المؤمنين الأخيار الساعين في الصراط المستقيم والمتمسّكين بالعروة الوثقى والراكبين في سفينة النجاة .

النعمان بن عجلان من رجال الأنصار ، ولسانهم وشاعرهم ، وهو القائل يوم السقيفة في تمجيد الأنصار ، وذكر الخلافة بعد النبي محاججاً عمرو بن العاص :

فقل لقريش نحن أصحاب مكّة *** ويوم حنين والفوارس في بدر

وأصحاب أُحد والنضير وخيبر *** ونحن رجعنا من قريظة بالذكر

ويوم بأرض الشام إذ قتل جعفر *** وزيد وعبدالله في علق نجري

وفي كل يوم ينكر الكلب أهله *** نطاعن فيه بالمثقّفة السمر

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف *** صروف الليالي والعظيم من الأمر

وقلنا للقوم هاجروا قبل مرحبا *** وأهلا وسهلا قد أمنتم من الفقر

نقاسمكم أموالنا وبيوتنا *** كقسمة أيسار الجزور على الشطر

ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه *** وكنّا أُناساً نذهب العسر باليسر

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم *** عتيق بن عثمان حلال أبا بكر ؟!

وكان هواناً في علي وإنّه *** لأهل لها ياعمرو من حيث لا تدري

وصي النبي المصطفى وابن عمّه *** وقاتل فرسان الضلالة والكفر [1444]

وحكت هذه اللوحة كثيراً من الأحداث التاريخية ، والتي منها جهاد الأنصار ونهجهم .

هذه اللوحة الشعرية بيّنت أحداث السقيفة السقيمة المخالفة للدين والنصّ النبوي ورغبة الأنصار في أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وعدم تواطئهم على اغتصاب السلطة .

وقولهم معروف في السقيفة : « لا نبايع إلاّ علياً » [1445] لكن هذا الرجل بدأ بجمع أموال المسلمين وهبة الكثير منها إلى أرحامه فغضب الإمام علي (عليه السلام)عليه وعزله .

فذهب عجلان إلى معاوية بن أبي سفيان راغباً في الدنيا تاركاً الآخرة .

ممّا يبيّن تأثّر هذا بسيرة أبي بكر وعمر وعثمان في توزيع الأموال بين الناس بلا حقّ .

مخنف بن سليم والي أصبهان

وهو مخنف بن سليم الأزدي الغامدي من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) عيّنه الإمام (عليه السلام)والياً على أصبهان وزوّده بهذه الرسالة : أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيّات عمله حيث لا شاهد غيره ولا وكيل دونه . وقال (عليه السلام) له : وإنّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقّاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة ، وإنّا موفوك حقّك فوفّهم حقوقهم .

وإلاّ تفعل فإنّك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة ، وبؤساً لمن خصمه ـ عند الله ـ الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون ، والغارمون وابن السبيل ! ومن استهان بالأمانة ، ورتع في الخيانة ، ولم ينزّه نفسه ودينه عنها ، فقد أحلّ بنفسه الذلّ والخزي في الدنيا ، وهو في الآخرة أذلّ وأخزى .

وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأُمّة ، وأفظع الغشّ غشّ الأئمّة ، والسلام [1446].

ولمّا حارب الإمام (عليه السلام)معاوية أرسل إلى مخنف بن سليم الرسالة التالية يطلب منه أن يكون معه لمناجزة طاغية الأُمويين وهذا نصّها :

«سلام عليك ، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو .

أمّا بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبة عنه وهبّ في نعاس العمى والضلال اختياراً له ، فريضة على العارفين .

إنّ الله يرضى عمّن أرضاه ، ويسخط على من عصاه ، وإنّا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله واستأثروا بالفيء ، وعطّلوا الحدود ، وأماتوا الحقّ وأظهروا في الأرض الفساد ، واتّخذوا الفاسقين وليجة [1447]من دون المؤمنين ، فإذا ولي الله أعظم أحداثهم أبغضوه وأقصوه وحرموه ، وإذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبّوه وأدنوه وبرّوه ، فقد أصرّوا على الظلم وأجمعوا على الخلاف ، وقديماً ما صدّوا عن الحقّ وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين .

فإذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك ، وأقبل إلينا لعلّك تلقى معنا هذا العدو المحلّ [1448]، فتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتجامع المحقّ وتباين المبطل ، فإنّه لا غنى بنا ولا بك عن أجر الجهاد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم ».

كتب هذه الرسالة عبيدالله بن رافع في سنة (37هـ) ، ونفر مخنف للجهاد ، واستعمل على أصبهان الحارث بن أبي الحارث ، وأقبل يجدّ في السير حتّى شهد مع الإمام صفّين [1449].

فكان هذا الرجل مثالا للطاعة والورع وقدوة يحتذى به في ذلك العصر المليء بالفتن .

الشيباني والي الإمام (عليه السلام) على أردشير خرّه

وهو مصقلة بن هبيرة الشيباني الذي عيّنه الإمام (عليه السلام) والياً على خرّه من كور فارس ومنها مدينة شيراز [1450]. ثمّ بلغ الإمام (عليه السلام)أنّه يهب أموال المسلمين ويفرّقها بين الشعراء وعشيرته ، ومن يقصده من السائلين ، فكتب الإمام (عليه السلام)هذه الرسالة :

أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر أكبرت أن أُصدّقه ، بلغني أنّك تقسم فيء المسلمين في قومك ومن اعتراك [1451]من السألة والأحزاب ، وأهل الكذب من الشعراء ، كما تقسّم الجوز .

فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ! لأُفتشنّ عن ذلك تفتيشاً شافياً ، فإن وجدته حقّاً لتجدنّ بنفسك عليّ هواناً ، فلا تكوننّ من الخاسرين أعمالا ، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً .

تبيّن هذه الرسالة الحكم الشرعي مع سارقي الأموال العامّة واللاعبين بخزائن المسلمين الذين يفرّقونها على من يحبّون وينثرونها على شعراء السوء .

فنصحه الإمام (عليه السلام)أوّلا ثمّ هدّده بالتفتيش عنها فإن حصل على فعله المذكور دليلا فسوف يعاقب عقاباً قاسياً .

ولمّا انتهت الرسالة إلى مصقلة أجاب الإمام (عليه السلام) بما يلي :

«أمّا بعد ... فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فليسأل إن كان حقّاً فليعجّل عزلي بعد نكال ، فكلّ مملوك لي حرّ .

وعليّ آثام ربيعة ومضر إن كنت رزأت [1452]من عملي ديناراً ولا درهماً منذ ولّيته إلى أن ورد عليّ كتاب أمير المؤمنين ، ولتعلمنّ أنّ العزل أهون عليّ من التهمة ».

ولمّا انتهى الكتاب إلى الإمام (عليه السلام) وقرأه قال : « ما أظنّ أبا الفضل إلاّ صادقاً » [1453].

ونجد بعض العلماء يكدّسون الأموال خلافاً لمنهج الإمام (عليه السلام) في تفريغ بيت المال كل أسبوع وتوزيعه على الفقراء !!

كميل بن زياد على هيت

وهو كميل بن زياد النخعي الحجّة العلم الزاهد العابد ، القريب من الإمام علي (عليه السلام)والساعي لتحصيل علومه وحفظ أدعيته وأقواله فقالوا فيه :

« كان شريفاً مطاعاً في قومه وأنّه من أجلّ علماء وقته وعقلاء زمانه ونسّاك عصره » [1454].

ومن الروايات التي وصلتنا عن كميل دعاء الإمام علي (عليه السلام) المعروف بدعاء كميل والكثير من الروايات الأخلاقية والحديثية [1455].

وهو من خير التابعين روى عن الإمام (عليه السلام) قوله : الناس ثلاثة عالم ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق [1456].

وتقع مدينة هيت على نهر الفرات قرب بغداد وتتّصل ببادية الشام بين العراق والشام [1457].

ولمّا وصل كميل إلى هيت اشتدّ الصراع بين أتباع الإمام علي (عليه السلام) وأتباع الباطل في الشام فأرسل معاوية جيشاً إلى هيت بقيادة سفيان بن عوف في ستّة آلاف وأمره بنهب هيت وقتل أهلها .

ولمّا وصل ذلك الجيش إلى هيت وجدها خالية فأغار على الأنبار . وكان كميل بن زياد قد فرّق جنده المؤلّفين من خمسمائة رجل على المناطق المجاورة وأخذ هو منهم مائتين رجل صوب قرقيسيا لصدّ جيشها المحتمل هجومه على هيت .

فاستغلّ جيش معاوية هذه الفرصة وقتل ثلاثين محارباً ونهبوا مدينة الأنبار .

فتأثّر الإمام علي (عليه السلام)وكتب إلى كميل :

أمّا بعد ، فإنّ تضييع المرء ما ولّي ، وتكلّفه ما كفي ، لعجز حاضر ، ورأي متبّر [1458].

وإنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا ، وتعطيلك مسالحك التي ولّيناك ـ ليس بها من يمنعها ، ولا يردّ الجيش عنها ـ لرأي شعاع [1459].

فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك ، غير شديد المنكب ، ولا مهيب الجانب ، ولا سادّ ثغرة ، ولا كاسر لعدو شوكة ، ولا مغن عن أهل مصره ، ولا مجز عن أميره [1460].

وشارك كميل في معركة صفّين ومعركة النهروان .

وفي نهاية المطاف لاحقه الحجّاج السفّاح فهرب فحرم الحجّاج قومه عطاءهم فعاد كميل إليه فقال له : إنّي قاتلك قال كميل : لقد أخبرني أمير المؤمنين أنّك قاتلي فضرب عنقه سنة 42 هجرية [1461].

الفصل الثالث : الهاربون الى معاوية

هروب مصقلة الى معاوية

أمّا كيفية هرب هذا المعتوه إلى معاوية ، فقد حدّثوا أنّ الخريت بن راشد الناجي ، وهو من أعلام الخوارج المفسدين في الأرض ، قد نقم على الإمام قصّة التحكيم ، وخرج يفسد الناس ، وقد انضمّ إليه جماعة من قومه ، وكانوا نصارى ، فأخلّوا بشروط الذمّة ، كما ارتدّ بنو ناجية عن الإسلام ، وأخذوا يشيعون الرعب والفساد بين الناس .

فبعث إليهم الإمام (عليه السلام)فرقة من جيشه لقتال الخريت وعصابته فأدركتهم في سيف البحر بفارس ، فقتل الخريت وقتل معه جمهرة من أتباعه ، وسبوا من أدرك في رحالهم من النساء والصبيان ، وكانوا خمسمائة أسير ، فارتفعت أصواتهم بالبكاء واستغاثوا بمصقلة فرقّ لهم ، فاشتراهم من معقل قائد جيش الإمام بخمسمائة الف درهم ثمّ أعتقهم ، وأدّى ثلث ثمنهم ، وأشهد على نفسه بالباقي ، ثمّ امتنع عن أدائه ، ولمّا ثقلت عليه المطالبة هرب تحت جنح الظلام إلى معاوية [1462].

ولمّا بلغ خبره الإمام علياً (عليه السلام) قال : قبّح الله مصقلة فعل فعل السادة وفرّ فرار العبيد فما أنطق مادحه حتّى أسكته ولا صدّق واصفه حتّى بكته ولو أقام لأخذنا ميسوره وانتظرنا بما له وفوره [1463].

وكان مصقلة بن هبيرة ... من وجوه أهل العراق ، كان من أصحاب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ووُلّي أردشيرخُرّه من قبل ابن عبّاس ، وعتب علي (عليه السلام) عليه في إعطاء مال الخراج لمن يقصده من بني عمّه .

إنّ بني ناجية قوماً كانوا يسكنون الأسياف ، وكانوا قوماً يدّعون في قريش نسباً ، وكانوا نصارى فأسلموا ، ثمّ رجعوا عن الإسلام ، فهدم أمير المؤمنين (عليه السلام)داره وأجاز عتقهم .

هروب اللصّ القعقاع بن شور

ومن اللصوص الهاربين القعقاع والي « ميسان » [1464].

قبض على بيت المال لترفه وملذّاته . وحين علم أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)اطّلع على ذلك ، أخذ الأموال وذهب إلى معاوية [1465].

فكلّ لصّ أصبح من أهدافه سرقة أموال الناس والهروب إلى معاوية .

وقال الإمام علي (عليه السلام): تسألوني المال ؟! وقد استعملت القعقاع بن شور على كَسْكَر ، فأصدقَ امرأة بمائة الف درهم ، وايم الله لو

كان كفواً ما أصدقها ذلك [1466].

وهذا يبيّن درجة انحدار هذا الشخص للرذيلة .

هروب مولى للإمام (عليه السلام) إلى معاوية

قال الإمام الصادق (عليه السلام): إنّ مولى لأمير المؤمنين (عليه السلام) سأله مالا ، فقال : يخرج عطائي فأُقاسمك .

فقال : لا أكتفي ، وخرج إلى معاوية فوصله ، فكتب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)يخبره بما أصاب من المال ، فكتب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) :

أمّا بعد ; فإنّ ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك ، وهو صائر إلى أهله بعدك ، وإنّما لك منه ما مهّدت لنفسك ، فآثر نفسك على صلاح ولدك ; فإنّما أنت جامع لأحد رجلين : إمّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت ، وإمّا رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له ، وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك ولا تبرد له على ظهرك ، فارجُ لمن مضى رحمة الله ، وثِق لمن بقي برزق الله [1467].

وهذا نموذج آخر من طلاّب الدنيا الساعين لجمع المال من وجوه شتّى بلا عناية لمصدره ومنبعه .

هروب النعمان بن العجلان

واستمرّ الخونة في الهروب إلى معاوية وجمع المال فهرب النعمان بن العجلان بمال البحرين ، فكتب إليه علي (عليه السلام):

«أمّا بعد ; فإنّه من استهان بالأمانة ورغب في الخيانة ، ولم ينزّه نفسه ودينه ، أخلّ بنفسه في الدنيا ، وما يُشفي [1468]عليه بعدُ أمر وأبقى وأشقى وأطول .

فخِف الله ! إنّك من عشيرة ذات صلاح ، فكن عند صالح الظنّ بك ، وراجع ، إن كان حقّاً ما بلغني عنك ، ولا تقلبنّ رأيي فيك ، واستنظف خراجك ، ثمّ اكتب إليّ ليأتيك رأيي وأمري ، إن شاء الله ».

فلمّا جاءه كتاب علي (عليه السلام)، وعرف أنّه قد علم بسرقته المال ، لحق بمعاوية [1469].

هروب يزيد بن حجّية

ومن الهاربين ببيت مال المسلمين يزيد بن حجّية فهو يتّحد مع مروان ومعاوية في مشروع اللصوصية وأصبح مع الإمام (عليه السلام) من أجل المال فلم يفلح رغم أنّه ممّن شهد معه حروبه [1470]وأحد شهود التحكيم [1471].

استعمله الإمام (عليه السلام)على الري ودستبى [1472]- [1473]. لكنّه انتهج الخيانة ، إذ نقل ابن الأثير أنّه استحوذ على ثلاثين الف درهم من بيت المال ; وطالبه الإمام بالنقص الحاصل في بيت المال ، فأنكر ذلك ، فجلده وسجنه ، ففرّ من السجن والتحق بمعاوية [1474].

وقال شعراً يذمّ فيه علياً (عليه السلام) ويخبره أنّه من أعدائه ، لعنه الله ، فبلغ ذلك علياً (عليه السلام)فدعا عليه ، وقال لأصحابه : ارفعوا أيديكم فادعوا عليه ، فدعا عليه علي (عليه السلام)وأمّن أصحابه .

فقال علي (عليه السلام)اللهمّ إنّ يزيد بن حجّية هرب بمال المسلمين ، ولحق بالقوم الفاسقين ، فاكفنا مكره وكيده ، واجزه جزاء الظالمين [1475].

وشهد على حجر بن عدي حين أراد معاوية قتله [1476]ظالماً لنفسه وللمؤمنين .

فيمن لحق بمعاوية من أهل المدينة

وكتب الإمام علي (عليه السلام)إلى سهل بن حنيف الأنصاري ، وهو عامله على المدينة ، في قوم لحقوا بمعاوية ـ : أمّا بعد ; فقد بلغني أنّ رجالا ممّن قبلك يتسلّلون إلى معاوية ; فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ، ويذهب عنك من مددهم ; لهم غيّاً ، ولك منهم شافياً ، فرارهم من الهدى والحقّ ، وإيضاعهم إلى العمى والجهل ، وإنّما هم أهل دنيا مُقبِلون عليها ، ومُهطِعون إليها ، وقد عرفوا العدل ورأوه ، وسمعوه ووعوه ، وعلموا أنّ الناس عندنا في الحقّ أُسوة ، فهربوا إلى الأثرة ، فبُعداً لهم وسحقاً !!

إنّهم ـ والله ـ لم ينفروا من جور ، ولم يلحقوا بعدل ، وإنّا لنطمع في هذا الأمر أن يذلّل الله لنا صعبه ، ويسهّل لنا حَزْنه ، إن شاء الله ، والسلام [1477].

سقوط بسبب المادّة

قال رجل لأبي عبدالرحمن السلمي : أنشدك بالله تخبرني ، فلمّا أكّد عليه قال : بالله هل أبغضت علياً إلاّ يوم قسّم المال في أهل الكوفة فلم يصبك ولا أهل بيتك منه شيء ؟

قال : أمّا إذا أنشدتني بالله فلقد كان ذلك [1478].

مَن وراء الاختلافات الداخلية

سعى أعوان معاوية في جيش العراق والخوارج والمنافقون لبثّ الفرقة في أوساط هذا الجيش ومنعه من الحرب بحجج شتّى مرّة بحجّة رفع المصاحف والتحكيم للقرآن .

ومرّة بحجج الحرّ والبرد ونفاذ العتاد ونقص آلات الحرب ، فهؤلاء كانوا يسعون الليل والنهار في هذه الضروب المختلفة من الأعمال المتضادّة مع الحرب .

الاعتقاد الضعيف :

ان تربية الناس على أيدي الولاة الفسقة في العراق كالأشعري والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر أفسد الرجال وخرّب عقائدهم ، وأضعف إيمانهم وقوّى نفوسهم العاصية وأهدافهم المادّية .

فواحدهم لا يكتفي بأكله وشربه وملبسه ومسكنه ولا يقتنع بما عنده .

ونمت شهواتهم فلم يقتنع الواحد منهم بالزوجة والاثنين والاربع بل يرغبون في مئات من الجواري وأمثالهم من العبيد .

فأصبحت الحروب الجهادية تجارة مادّية رابحة تدرّ الذهب والفضّة والجواري والعبيد على المحاربين .

وسار معاوية على هذه الثقافة الخاطئة وهذه المشاريع الطالحة .

ولولا صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية وتوقّف الحرب بمعاهدة لسبى معاوية نساء الكوفة .

لذا لو طلب الإمام علي (عليه السلام) من أهل العراق التهيؤ لفتح تركيا لما تهاونوا ولما اعتذروا أبداً ولتحرّكوا نحو غنائم هذا البلد المهم .

والناس على دين ملوكهم ووالي الكوفة في زمن كان المغيرة بن شعبة الذي أحصن أربعمائة امرأة !

والوليد بن عقبة حوّل مسجد الكوفة من مركز للعبادة إلى دار للعب السحر بيد ساحر يهودي !

وصلّى سكراناً في مسجد الكوفة صلاة الصبح أربع ركع !

وآخر الولاة كان أبو موسى الأشعري الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أنّه من المنافقين .

فهؤلاء المساكين تربّوا على يدي المغيرة الفاجر والوليد الفاسق بنصّ القرآن والأشعري المنافق بنصّ النبي (صلى الله عليه وآله) .

وهؤلاء الولاة عيّنهم عمر وعثمان اللذين أبعدوا رجال بدر وقرّبوا المفسدين فنشروا ثقافة العصاة المترفين في أرض ربّ العالمين !!

وإقامة الإعوجاج أمر صعب مستصعب مثلما لاقى سيّد الرسل المصاعب مع أهالي مكّة ، فاضطرّ إلى انتخاب شعب طاهر يكسب من النبي (صلى الله عليه وآله) تعاليمه فوقع انتخابه على الأنصار .

ولمّا أراد أمير المؤمنين تحويل جنود العراق من محاربين لأجل الغنيمة إلى مقاتلين في سبيل الله واجه صعوبات .

فمن الأُمور المضحكة أنّ شاعر أهالي الكوفة النجاشي كان من مدمني الخمر !

وأصرّ هؤلاء على عاداتهم مثلما أصرّ أهالي قريش على كفرهم واستبدادهم .

وأصرّ الإمام علي (عليه السلام)على الوعظ والإرشاد لتقويم الإعوجاج ومحو التربية الأُموية والأشعرية فلم يمهله القاسطون والمارقون .

ومن ضعاف الإيمان جرير بن عبدالله البجلي

قال الإمام علي (عليه السلام)فيه : يستصغر كلّ أحد ويحتقره ، قد ملئ ناراً ، وهو مع ذلك يطلب رئاسة ، ويروم إمارة ، وهذا الأعور [يعني الأشعث [يغويه ويطغيه ، إن حدّثه كذّبه ، وإن قام دونه نكص عنه ، فهما كالشيطان :

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) .

وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه [1479].

فلم يزل جرير معتزلا لعلي (عليه السلام) ومعاوية بالجزيرة ونواحيها ، حتّى توفّي بالشراة في ولاية الضحّاك بن قيس على الكوفة [1480].

فيكون البجلي شخصاً آخر من الذين أغواهم الأشعث وحرّفهم عن الصراط القويم ورحيل البجلي إلى معاوية يبيّن هوى الأشعث في معاوية وحبّه له .

ومن المنافقين وائل بن حجر

وكان في أتباع الإمام (عليه السلام) المنافقون السابقون من أعوان الأشعري .

فكان وائل بن حجر عند علي (عليه السلام) بالكوفة ، وكان يرى رأي عثمان ، فقال لعلي (عليه السلام): إن رأيت أن تأذن لي بالخروج إلى بلادي وأُصلح مالي هناك ، ثمّ لا ألبث إلاّ قليلا إن شاء الله حتّى أرجع إليك .

فأذن له علي (عليه السلام). فخرج إلى بلاد قومه وكان قَيْلا [1481]من أقيالهم ، عظيم الشأن فيهم ، وكان الناس بها أحزاباً وشِيَعاً ; فشيعة ترى رأي عثمان ، وأُخرى ترى رأي علي (عليه السلام) ، فكان وائل بن حجر هناك حتّى دخل بُسْر صنعاء .

فكتب إليه : أمّا بعد ; فإنّ شيعة عثمان ببلادنا شطر أهلها ، فأقدم علينا ; فإنّه ليس بحضرموت أحد يردّك عنها ولا ينصب لك فيها ، فأقبل إليها بسر بن أرطاة بمن معه حتّى دخلها .

فزعم أنّ وائلا استقبل بسر بن أبي أرطأة بشنوءة ، فأعطاه عشرة آلاف ، وأنّه كلّمه في حضرموت ، فقال له : ما تريد ؟

قال : أُريد أن أقتل ربع حضرموت .

قال : إن كنت تريد أن تقتل ربع حضرموت فاقتل عبدالله بن ثوابة ; إنّه لرجل فيهم ، وكان من المَقاولة [1482]العظام ، وكان له عدوّاً

في رأيه مخالفاً [1483].

فالإمام (عليه السلام)بحلمه سمح لوائل بالعودة إلى بلده فهو حرّ ما دام لم يرتكب ذنباً فخان الله تعالى والمؤمنين .

هروب شاعر الكوفة الفاسق إلى معاوية

وهذا الشاعر هو مقيس بن عمرو بن مالك المعروف بالنجاشي فهذا الشاعر كان يدعو الناس لنصرة الإمام علي (عليه السلام) ومحاربة معاوية .

فلمّا أقام عليه الإمام (عليه السلام)الحدّ لشربه الخمر في صيام شهر رمضان تأثّر وهرب إلى صفوف معاوية ونموذج النجاشي من النماذج المحتاجة إلى التدبّر .

إذ خرج النجاشي في أوّل يوم من رمضان ، فمرّ بأبي سمّال الأسدي وهو قاعد بفناء داره، فقال له : أين تريد ؟

قال : أُريد الكناسة [1484]، قال هل لك في رؤوس وأليات قد وضعت في التنّور من أوّل الليل فأصبحت قد أينعت وتهرّأت ؟ قال : ويحك ! في أوّل يوم من رمضان ؟! قال : دعنا ممّا لا نعرف .

قال : ثمّ مَهْ ؟ قال : ثمّ أسقيك من شراب كالوَرْس [1485]، يُطيّب النفس ، ويجري في العِرق ، ويزيد في الطَّرْق ، يهضم الطعام ، ويسهّل للفَدْ [1486]الكلام .

فنزل فتغدّيا ثمّ أتاه بنبيذ فشرباه ، فلمّا كان من آخر النهار علت أصواتهما ، ولهما جار يتشيّع من أصحاب علي (عليه السلام)، فأتى علياً (عليه السلام)فأخبره بقصّتهما ، فأرسل إليهما قوماً فأحاطوا بالدار ، فأمّا أبو سمّال فوثب إلى دور بني أسد فأفلت ، وأمّا النجاشي فأُتي به علياً (عليه السلام) ، فلمّا أصبح أقامه في سراويله فضربه ثمانين ، ثمّ زاده عشرين سوطاً ، فقال : ياأمير المؤمنين ! أمّا الحدّ فقد عرفته ، فما هذه العِلاوة التي لا تُعرف ؟

قال : لجرأتك على ربّك ، وإفطارك في شهر رمضان .

ثمّ أقامه في سراويله للناس ، فجعل الصبيان يصيحون به : خَرِيَ النجاشي ، فجعل يقول : كلاّ والله إنّها يمانيّة وِكاؤها شعر ... ثمّ لحق بمعاوية وهجا علياً (عليه السلام) [1487].

هروب طارق بن عبدالله إلى الشام

لمّا حدّ علي (عليه السلام)النجاشي غضب لذلك من كان مع علي من اليمانية ، وكان أخصّهم به طارق بن عبدالله بن كعب بن أُسامة النهدي ، فدخل على أمير المؤمنين (عليه السلام)فقال : ياأمير المؤمنين ! ما كنّا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة ، وأهل الفرقة والجماعة ، عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء ، حتّى رأيت ما كان من صنيعك بأخي الحارث ، فأوغرت صدورنا ، وشتّتت أُمورنا ، وحملتنا على الجادّة التي كنّا نرى أنّ سبيل من ركبها النار .

فقال علي (عليه السلام): (إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) [1488].

ياأخا بني نهد ، وهل هو إلاّ رجل من المسلمين انتهك حرمة من حُرم الله ، فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته ! إنّ الله تعالى يقول :

(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْم عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [1489].

قال : فخرج طارق من عند علي وهو مظهر بعذره قابل له ، فلقيه الأشتر النخعي ; فقال له : ياطارق أنت القائل لأمير المؤمنين : إنّك أوغرت صدورنا وشتّتت أُمورنا ؟

قال طارق : نعم أنا قائلها . قال له الأشتر : والله ما ذاك كما قلت ، وإنّ صدورنا له لسامعة ، وإنّ أُمورنا له لجامعة .

قال : فغضب طارق وقال : ستعلم ياأشتر أنّه غير ما قلت ! فلمّا جنّه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية [1490].

فكان طارق على دين النجاشي في ارتكاب المنكر وإشاعة الفحشاء وهما على دين الوليد الفاسق .

هروب حنظلة الكاتب إلى معاوية

وبعث علي (عليه السلام)إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب ـ وهو من الصحابة ـ فقال : ياحنظلة ، أعليَّ أم لي ؟ قال : لا عليك ولا لك .

قال : فما تريد ؟ قال : أشخصُ إلى الرُّها [1491]فإنّه فَرْج من الفروج ، صمد له حتّى ينقضي هذا الأمر ...فدخل منزله وأغلق بابه حتّى إذا أمسى هرب إلى معاوية ... وهرب ابن المعتمّ أيضاً حتّى أتى معاوية ...ولكنّهما لم يقاتلا مع معاوية ، واعتزلا الفريقين جميعاً ... فلمّا هرب حنظلة أمر علي (عليه السلام)بداره فهدّمت [1492].

وحنظلة نموذج آخر من نماذج البغاة والفسق في الكوفة .

هروب عبدالله بن عبدالرحمن

والملاحظ في هذه الشخصية التذبذب المستمر بين الإمام (عليه السلام) ومعاوية .

كان عبدالله بن عبدالرحمن بن مسعود ... شهد مع علي (عليه السلام) صفّين ، وكان في أوّل أمره مع معاوية ، ثمّ صار إلى علي (عليه السلام) ، ثمّ رجع بعدُ إلى معاوية ، ثمّ سمّاه علي (عليه السلام)الهَجَنَّع ، والهَجَنَّع : الطويل [1493].

رسالة الإمام (عليه السلام) إلى أهالي مصر

«من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في أرضه وذُهب بحقّه ، فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر ، والمقيم والظاعن [1494]، فلا معروف يُستراح إليه ، ولا منكر يتناهى عنه .

أمّا بعد ، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ; لا ينام أيّام الخوف ، ولا ينكل [1495]عن الأعداء ساعات الروع [1496]، أشدّ على الفجّار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج ، فاسمعوا له ، وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ ، فإنّه سيف من سيوف الله لا كليل الظُّبَة ، ولا نابي [1497]الضريبة ، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ; فإنّه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخّر ولا يقدّم إلاّ عن أمري ، وقد آثرتكم به على نفسي ; لنصيحته لكم ، وشدّة شكيمته على عدوّكم [1498]».

الفصل الرابع :الاشتر وابن أبى بكر
مالك الأشتر والي مصر

من اخلص المخلصين للامام القائد الضرغام الذي وهب حياته للإسلام ، وأخلص لدينه كأعظم ما يكون الإخلاص ... وقد وقف بحزم وإخلاص إلى جانب إمام المتّقين وسيّد الموحّدين [1499]الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحميه ، ويذبّ عنه في أحلك الظروف ، وأشدّها محنة وبلاءً ، وقد قال الإمام (عليه السلام) بعظيم منزلته وجهاده تجاهه قائلا :

« لقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) » .

وقد كان على درجة عالية من الإدارة والسياسة والحزم في إدارة دفّة الأحداث .

فهو الذي قاد شمل الثوّار العراقيين وطرد بهم والي العراق سعيد بن العاص .

حتّى اضطرّ هذا الوالي الفاسق إلى الهرب من غضب العراقيين ونقمتهم عليه . فكان الأشتر نموذجاً للإدارة القاطعة في الحياة .

وزوّده الإمام (عليه السلام)برسالتين مهمّتين وفيها بيان لمنزلة هذا الوالي المقدام ، وحكت كريم صفاته

مدح الإمام (عليه السلام)ثوّار العراق ومصر الناقمين على الباطل والداعين للحقّ والعدل والحرّية في ثورتهم العظمى الساعية لتحكيم شرع الله تعالى .

وبيّن فيها الإمام (عليه السلام)الوضع الاجتماعي والديني السيء البعيد عن القرآن وأهل البيت .

أظهر أمير المؤمنين (عليه السلام)للمصريين شخصية مالك على حقيقتها وواقعها بعيداً عن المدح السياسي الأُموي .

وبيّن أهميّة هذا القائد لإدارة دفّة الأحداث وسياسة أوضاع البلد . وأنّه لا يصدر أمراً إلاّ برضا الإمام (عليه السلام) وأنّه لا يفعل شيئاً إلاّ برضاه . كي تسكن خواطر الناس وترتاح نفوسهم ، ولا ينكل عند الروع .

إنّ مالك أشدّ من النار على المارقين والمنحرفين عن الحقّ ، الذين لا يرجون لله وقاراً .

إنّ مالك من سيوف الله الواقعيّين الذين لم يلوّثوا بجريمة ولا باقتراف منكر .

أمر الإمام ـ بهذه الرسالة ـ الشعب المصري بطاعة مالك والانصياع لأوامره ، فإنّه لا يقدم على شيء ، ولا يعمل عملا إلاّ بعد أخذ رأي الإمام (عليه السلام) .

والرسالة الثانية : عرضت إلى الأحداث المؤسفة التي عاناها الإمام (عليه السلام) بعد وفاة أخيه وابن عمّه الرسول (صلى الله عليه وآله) وبيّنت اغتصاب أهل السقيفة للخلافة .

قال : أمّا بعد ، فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً (صلى الله عليه وآله) نذيراً للعالمين ، ومهيمناً [1500]على المرسلين .

فلمّا مضى (عليه السلام)تنازع المسلمون الأمر من بعده . فوالله ما كان يلقى في روعي [1501]، ولا يخطر ببالي ، أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده (صلى الله عليه وآله) عن أهل بيته ، ولا أنّهم منحوه عنّي من بعده ! ... .

فتكلّم الإمام (عليه السلام)عن الخلافة المغصوبة وعدم تورّعهم عن افتعال المنكر وغصب حقوق الآخرين والاعتداء على النصوص الإلهية وتلاعبهم بمقدّرات الأُمّة .

وأضاف الإمام (عليه السلام): إنّي والله ! لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت ، وإنّي من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربّي .

وإنّي إلى لقاء الله لمشتاق ، وحسن ثوابه لمنتظر راج ; ولكنّي آسى أن يلي أمر هذه الأُمّة سفهاؤها وفجّارها ، فيتّخذوا مال الله دولا ، وعباده خولا ، والصالحين حرباً ، والفاسقين حزباً ، فإنّ منهم الذي قد شرب فيكم الحرام [1502]، وجلد حدّاً في الإسلام ، وإنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الإسلام الرضائخ [1503].

فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم [1504]، وتأنيبكم ، وجمعكم ، وتحريضكم ، ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم .

ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت ، وإلى أمصاركم قد افتتحت وإلى ممالككم تزوى ، وإلى بلادكم تغزى !

انفروا ـ رحمكم الله ـ إلى قتال عدوّكم ، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف ، وتبوءوا بالذلّ ، ويكون نصيبكم الأخسّ ، وإنّ أخا الحرب الأرق [1505]، ومن نام لم ينم عنه ، والسلام [1506].

بيّن الإمام (عليه السلام)انقسام الناس إلى حزبين حزب الرحمن وحزب الشيطان وفضح حزب الشيطان بأعمالهم القاسية في إبعاد المؤمنين والتنكيل بهم ، وتقريب الطالحين والاستعانة بهم .

ثمّ دعا الإمام الشعب المصري إلى جهاد المارقين عن الإسلام ، وهم الحزب الأُموي ، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي أفنى حياته في محاربة الله ورسوله .

الهوامش

[1267] العريف كأمير من يعرف أمير القوم ، ورئيس القوم وهو دون الرئيس ـ العريف من يعرف أصحابه ـ من القاموس .

[1268] وهو أصبغ بن غياث الصحابي (القاموس) .

[1269] يركب على .

[1270] طغى : طفا .

[1271] الكناسة القمامة وموضع بالكوفة .

[1272] النخاس بيّاع الدواب والرقيق .

[1273] القماط الحبل تشدّد به القوائم عند الذبح .

[1274] في كل النسخ (فشوبوا) كما في المتن ، ولعلّ الصحيح (فثوبوا) أيمانكم الخ .

[1275] حتّى تموت أو تتوب .

[1276] أي حاضر .

[1277] كسر متاعه باعه ثوباً ثوباً .

[1278] ردّه : ردّ إليه .

[1279] دعائم الإسلام ، القاضي النعمان المغربي 2 / 539 .

[1280] النظم الإسلام 325 .

[1281] البحار 41 / 9 ، الغارات 2 / 533 ، المناقب ، ابن شهر آشوب 2 / 147 .

[1282] البحار 32 / 35 ، المناقب ، ابن شهر آشوب 2 / 110 ، نهج البلاغة ، الخطبة 92 .

[1283] البحار 33 / 454 ، الكافي 2 / 338 ، غرر الحكم 10041 ، المواعظ 512 ، المعيار والموازنة 166 ، نهج البلاغة الخطبة 200 .

[1284] نهج البلاغة الخطبة 33 ، الإرشاد 1 / 247 ، البحار 32 / 113 .

[1285] نهج البلاغة الكتاب 53 ، تحف العقول 145 .

[1286] عيون الحكم والمواعظ 460 / 8362 ، غرر الحكم 8646 .

[1287] البحار 75 / 355 ، وقعة صفّين 108 .

[1288] ينابيع المودّة 2 / 30 ، نهج البلاغة الكتاب 47 .

[1289] غرر الحكم 3958 .

[1290] غرر الحكم 10205 .

[1291] نهج البلاغة الكتاب 53 ، تحف العقول 137 .

[1292] نهج البلاغة الكتاب 53 ، تحف العقول 130 .

[1293] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية 248 .

[1294] نهج البلاغة ، محمّد عبده 3 / 22 .

[1295] المصدر السابق 3 / 22 .

[1296] اقتباس من سورة الأعراف : 85 وهود 85 و86 .

[1297] الاستيعاب : 3 / 210 و211 / 1875 .

[1298] اقتباس من سورة الأعراف : 85 وهود 85 و86 .

[1299] دعائم الإسلام 1 / 396 .

[1300] سورة الأعراف 85 .

[1301] الفصول المهمّة 127 ، العقد الفريد 1 / 335 ، بلاغات النساء 47 ، كشف الغمّة 1 / 173 بحار الأنوار 41 / 119 / 27 .

[1302] دعائم الاسلام ،المغربى 2 / 532 0

[1303] دعائم الإسلام 1 / 361 ، تحف العقول 137 .

[1304] عبقرية عمر ، العقّاد 28 .

[1305] العقد الفريد ، ابن عبد ربّه في أوائل الكتاب .

[1306] صحيح مسلم 7 / 123 ، شواهد التنزيل ، الحسكاني 2 / 414 ، 1 / 187 ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر 2 / 86 ، روضة الواعظين ، النيسابوري 90 ، المسترشد ، الطبري 588 ، شرح الأخبار ، القاضى المغزي 1 / 104 ، الإرشاد ، المفيد 1 / 175 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب 2 / 224 ، البحار 37 / 188 ، العمدة ، ابن بطريق 100 ، أسباب النزول ، الواحدي 150 ط مصر ، خصائص الوحي المبين ، ابن بطريق 88 ، بشارة المصطفى ، محمد بن علي الطبري 276 ، مسند أحمد 4 / 281 ، تاريخ بغداد 8 / 290 ، ورواه الترمذي وابن ماجه والنسائي ، الصواعق المحرقة 43 ، سرّ العالمين 1 / 37 ، ذخائر العقبى 82 ، الملل والنحل ، الشهرستاني 70 ، تفسير الثعلبي 1 / 217 ، تفسير القمّي ، الآية ، تفسير الفيض الكاشاني 2 / 51 ، تفسير البرهان 1 / 488 ، تفسير السيوطي 2 / 252 ، تفسير الآلوسي 6 / 61 ، مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، الكوفي 2 / 382 ، نزول القرآن ، أبو نعيم الأصبهاني 86 ، فرائد السمطين 1 / 158 ، البداية والنهاية ، ابن كثير 5 / 213 ، ما نزل من القرآن في علي (عليه السلام) ، الحبري 44 ، ما نزل من القرآن في علي (عليه السلام) ، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني 36 ، مجمع الهيثمي 9 / 207 ، كنز العمال ، 6 / 392 .

[1307] البداية والنهاية ، ابن الأثير 8 / 116 ، 117 .

[1308] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 1 / 360 .

[1309] نهج البلاغة 53 ، تحف العقول 137 .

[1310] نهج البلاغة الكتاب 53 ، تحف العقول 137 ، دعائم الإسلام 1 / 361 .

[1311] نهج البلاغة الكتاب 53 ، تحف العقول 137 ، دعائم الإسلام 1 / 361 .

[1312] السواد : أراضي وقرى العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطّاب ، سمّي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار (راجع معجم البلدان 3 / 272) .

[1313] العذيب : ماء لبني تميم ، وهو أوّل ماء يلقاه الإنسان بالبادية إذا سار من قادسية الكوفة يريد مكّة (تقويم البلدان 79) .

[1314] بهقباذ : اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات (معجم البلدان 1 / 516) .

[1315] تاريخ اليعقوبي 2 / 204 .

[1316] تحف العقول 133 .

[1317] نهج البلاغة الكتاب 53 ، تحف العقول 130 ، دعائم الإسلام 1 / 356 .

[1318] الخوالف : الذين لا يغزون (لسان العرب 9 / 86) .

[1319] تحف العقول 133 .

[1320] سورة آل عمران 118 .

[1321] تاريخ اليعقوبي 2 / 203 .

[1322] نهج البلاغة الكتاب 46 ، الأمالي للمفيد 80 / 4 ، نهج البلاغة الكتاب 27 ، تحف العقول 177 .

[1323] كسكر : بلدة واسعة في العراق قصبتها واسط التي بين الكوفة والبصرة ، وهي إلى العمارة والكوت أقرب منها إلى البصرة والكوفة (راجع معجم البلدان 4 / 461) .

[1324] أنساب الأشراف 2 / 388 .

[1325] الإدّ : الأمر الفظيع العظيم (لسان العرب 3 / 71) .

[1326] الكهف 103 و104 .

[1327] أنساب الأشراف 2 / 389 ، نهج البلاغة الكتاب 43 .

[1328] تاريخ الطبري 5 / 129 ، شرح نهج البلاغة 3 / 145 ، الغارات 1 / 364 ، وراجع نهج البلاغة الكتاب 26 .

[1329] التّرح : ضدّ الفرح (النهاية 1 / 186) .

[1330] الغارات 1 / 365 ، تاريخ الطبري 5 / 129 ، تاريخ دمشق 58 / 272 / 7450 ، الكامل في التاريخ 2 / 421 ، وراجع أنساب الأشراف 3 / 181 ، والبداية والنهاية 7 / 310 ، والفتوح 4 / 244 .

[1331] اصطخر : معرّب استخر ، وهي من أقدم مدن فارس ، وبها كان سرير الملك دارا بن داراب ، وبها آثار عظيمة . وبينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً (راجع تقويم البلدان 329) .

[1332] أنساب الأشراف 2 / 391 ، نهج البلاغة الكتاب 71 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 203 .

[1333] نهج البلاغة الكتاب 20 ، بحار الأنوار 33 / 489 / 695 .

[1334] غافر 78 .

[1335] نهج البلاغة الكتاب 3 ، روضة الواعظين 489 .

[1336] الوفر : المال الكثير (النهاية 5 / 210) .

[1337] أنساب الأشراف 2 / 390 .

[1338] تاريخ اليعقوبي 2 / 204 .

[1339] الغارات 2 / 373 ، البحار 8 / 676 ، تاريخ الطبري 6 / 63 ، تاريخ ابن الأثير 3 / 143 .

[1340] جبهته : أي رددته .

[1341] قفاراً : أي خال من الإدام .

[1342] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 16 / 196 .

[1343] النمل 37 .

[1344] المفحش : الجري .

[1345] تهذيب تاريخ ابن عساكر 5 / 410 ، الغدير 10 / 219 .

[1346] من التنجيد : التزيين (النهاية 5 / 19) .

[1347] نهج البلاغة 3 / 5 ، البحار 33 / 485 ، 41 / 156 ، نهج البلاغة ، محمد عبدة 2 / 4 ط مصر ، شرح النهج 14 / 28 .

[1348] تاريخ الطبري 3 / 463 ، الكامل في التاريخ 3 / 201 .

[1349] الكامل في التاريخ 3 / 204 .

[1350] تاريخ الطبري 3 / 463 ، الكامل في التاريخ 3 / 201 .

[1351] الإيضاع : الإسراع .

[1352] نهج البلاغة 2 / 192 .

[1353] الاستيعاب 3 / 90 .

[1354] تاريخ المدينة ، ابن شبة 3 / 112 .

[1355] الجفان : جمع جفنة ، وهي القصعة .

[1356] العائل : الفقير المحتاج .

[1357] المجفو : المعرض عنه .

[1358] المقضم : المأكول .

[1359] الفظه : أي اطرحه .

[1360] الطمر : الثوب الخلق .

[1361] التبر : فتات الذهب والفضّة قبل صياغتها .

[1362] الوفر : المال .

[1363] العفصة : هو السائل الذي يكون على شجرة البلوط ، وهو مرّ .

[1364] مقرة : الشيء المرّ .

[1365] أشار بذلك إلى تأميم فدك من قبل أبو بكر .

[1366] الحفرة : أراد بها القبر .

[1367] المزلق : هو الصراط .

[1368] القزّ : ما يصنع منه الحرير .

[1369] القدّ : جلد الشاة غير المدبوغ .

[1370] جشوبة العيش : غلظته وخشونته .

[1371] تقمّمها : المراد بها القمامة ، أي الكناسة .

[1372] المتاهة : الحيرة والهلكة .

[1373] الصنو من الصنو : المراد به شدّة اتّصاله بالنبي كالنخلتين اللتين يجمعهما أصل واحد .

[1374] الجسم المركوس : أراد به معاوية بن هند .

[1375] المدرة : القطعة من الطين اليابس .

[1376] الغارب : الكاهل وما بين السنام والعنق .

[1377] جمع مخلب : وهو أظفار السبع .

[1378] الورد : ورود الماء . الصدر : الانتهاء من شرب الماء .

[1379] ازورّ : مال .

[1380] الانسلاخ : الزوال .

[1381] أسلس : أي أنقاد .

[1382] نضب : غار . المعين : الماء الجاري .

[1383] الربيضة : الغنم التي مع رعاتها .

[1384] يهجع : أي يسكن .

[1385] الهاملة : الغنم التي ترعى بلا راع .

[1386] الكرى : النوم .

[1387] الكرى : النوم .

[1388] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 9 / 312 .

[1389] شرح أُصول الكافي ، المازندراني 7 / 222 .

[1390] تاريخ الطبري 3 / 477 ، الإمامة والسياسة ، الدينوري 1 / 73 ، فتوح ابن أعثم 2 / 249 .

[1391] خزانة الأدب 1 / 281 .

[1392] تاريخ الطبري 4 / 108 .

[1393] أخبار القضاة 1 / 289 .

[1394] قاموس الرجال ، التستري 5 / 171 نقله عن الذهبي .

[1395] رجال الطوسي 46 ، 69 ، 75 ، 95 ، تهذيب التهذيب 12 / 12 ، العبر 1 / 77 ، سير أعلام النبلاء 4 / 81 ، الطبقات ، ابن سعد 7 / 99 ، فهرست ابن النديم 39 ، أُسد الغابة 3 / 69 ، الإصابة 2 / 241 ، رجال الشيخ 46 .

[1396] التوبة 3 .

[1397] سير أعلام النبلاء 4 / 83 ، وفيّات الأعيان 2 / 537 .

[1398] شرح أُصول الكافي ، المازندراني 2 / 298 .

[1399] الأمالي ، المرتضى 212 .

[1400] خزانة الأدب 1 / 285 .

[1401] الجياد : الفرس السريع . الركاب : الإبل التي تحمل جيشه .

[1402] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 4 / 50 ، الكامل لابن الأثير 3 / 182 .

[1403] شرح نهج البلاغة ، محمّد عبده 133 .

[1404] من فال يفيل : أخطأ وضعف (لسان العرب 11 / 534) .

[1405] نهج البلاغة الكتاب 18 ، بحار الأنوار 33 / 493 / 699 .

[1406] أنساب الأشراف 2 / 3197 ، نهج البلاغة الكتاب 40 .

[1407] الجابية : بالجيم وكسر الباء قال ياقوت : أصله في اللغة : الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل ، وقرية من أعمال دمشق ، وفي هذا الموضع خطب عمر بن الخطاب خطبته المشهورة معجم البلدان 2 / 91 .

[1408] الالف بكسر الهمزة وسكون اللام : الصديق والمؤانس .

[1409] ريثكم : قصركم .

[1410] جحفاً جحفاً : فخراً فخراً وشرفاً شرفاً (النهاية لابن الأثير 1 / 145) .

[1411] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2 ق 57 .

[1412] شرح النهج 2 / 57 .

[1413] مناقب آل أبي طالب 1 / 327 .

[1414] أي لا تبقى لأحد فتارة بيد هذا وتارة بيد ذاك .

[1415] نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة 5 / 249 .

[1416] البحار 8 / 471 ، كتاب صفّين 2 / 116 .

[1417] نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، المحقّق الكبير المحمودي ، نقلا عن تاريخ الطبري 4 / 108 .

[1418] رازمه : أي جامعه .

[1419] لا تبيد : أي لا تفنى .

[1420] العقد الفريد 2 / 242 .

[1421] الأعراف 175 .

[1422] قد كلب : أي قد اشتدّ .

[1423] حرد : أي غضب .

[1424] قلبت له ظهر المجنّ : أي قمت على خلافه كمن يترك قائده في الحرب ويتّصل بعدوّه .

[1425] نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة 5 / 228 - 230 ، نقلا عن كوكبة من المصادر .

[1426] العقد الفريد 2 / 363 .

[1427] أمالي المرتضى 1 / 177 .

[1428] تاريخ اليعقوبي 2 / 194 ، أدب الدنيا والدين ، الماوردي 64 .

[1429] الدرجات الرفيعة في ترجمة ابن عباس 118 .

[1430] مآثر الإناقة 2 / 231 .

[1431] أُسد الغابة 3 / 373 .

[1432] شرح ابن أبي الحديد ، شرح ابن ميثم على الرسالة التالية .

[1433] أراد بـ « المغرب » : الشام ، وسمّي مغرباً لأنّه من الأقاليم الغربية .

[1434] الكمه : جمع أكمه ، وهو من ولد أعمى .

[1435] البطر : شدّة الفرح .

[1436] مصادر نهج البلاغة وأسانيده ـ قسم الرسائل والعهود 3 / 318 .

[1437] ذيدت : أي منعت .

[1438] تاريخ ابن الأثير 3 / 193 .

[1439] أُسد الغابة ـ باب العين 2 / 169 - 170 .

[1440] التثريب : الاستقصاء في اللوم .

[1441] ظنين : أي غير متّهم .

[1442] تاريخ ابن واضح 2 / 190 .

[1443] أُسد الغابة 2 / 169 .

[1444] مصادر نهج البلاغة ـ قسم الرسائل 3 / 345 - 346 .

[1445] تاريخ الطبري 2 / 443 ، الإمامة والسياسة 2 / 226 .

[1446] نصّ على ذلك السيّد عبدالزهرة الحسيني ، نقلا عن دعائم الإسلام 1 / 252 .

[1447] الوليجة : البطانة .

[1448] المحلّ : الذي أحلّ ما حرّم الله تعالى .

[1449] كتاب صفّين 104 .

[1450] معجم البلدان 1 / 184 .

[1451] اعتراك : أي قصدك .

[1452] رزأت : أي أخذت .

[1453] الكامل في التاريخ 3 / 420 .

[1454] أضواء على دعاء كميل 85 .

[1455] البحار 63 / 424 .

[1456] الاختصاص ، المفيد 6 ، الأمالي ، المفيد 247 ، البحار 41 / 216 .

[1457] معجم البلدان 5 / 483 .

[1458] متبّر : أي رأي فاسد .

[1459] رأي شعاع ، أي غير ملتئم .

[1460] نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة 5 / 320 .

[1461] البحار 42 / 48 .

[1462] تاريخ الطبري 6 / 65 - 75 .

[1463] شرح نهج البلاغة 1 / 264 .

[1464] شرح نهج البلاغة 3 / 13 .

[1465] شرح نهج البلاغة 4 / 87 ، تاريخ الطبري 5 / 369 ، و381 ، الأخبار الطوال 239 .

[1466] الغارات 2 / 532 عن أبي إسحاق الشيباني ، وراجع شرح نهج البلاغة 4 / 87 .

[1467] الكافي 8 / 72 ح28 عن يونس عن بعض أصحابه ، المناقب لابن شهر آشوب 2 / 111 وفيه « أحوج » بدل « صلاح » .

[1468] يُشفي : يُشرِف (لسان العرب 14 / 437) .

[1469] تاريخ اليعقوبي 2 / 201 . وفي خصوص كونه والياً على البحرين من قبل الإمام (عليه السلام)راجع نهج البلاغة الكتاب 42 ، وتاريخ الطبري 4 / 452 ، والكامل في التاريخ 2 / 323 ، وتاريخ خليفة بن خيّاط 151 .

[1470] تاريخ دمشق 65 / 147 ح8256 ، الكامل في التاريخ 2 / 367 ، الأخبار الموفّقيات 575 / 374 .

[1471] تاريخ الطبري 5 / 54 ، الكامل في التاريخ 2 ق 389 ، تاريخ دمشق 65 / 147 .

[1472] دَسْتَبى : بلدة تقع إلى الغرب من مدينة طهران ، وكانت واسعة بحيث تشمل ما بين قزوين وهمدان الحاليتين (راجع معجم البلدان 2 / 454) .

[1473] الغارات 2 / 525 ، أنساب الأشراف 3 / 215 ، الأخبار الموفّقيات 575 / 374 ، تاريخ دمشق 65 / 147 ، الكامل في التاريخ 2 / 367 ، وفيهما « استعمله على الري » .

[1474] الكامل في التاريخ 2 / 367 ، الغارات 2 / 525 - 528 ، أنساب الأشراف 3 / 216 ، تاريخ دمشق 65 / 147 ح8256 ، الأخبار الموفّقيات 575 / 374 ، وليس فيه « حَبَسه » .

[1475] الغارات 2 / 525 و528 ، وراجع أنساب الأشراب 3 / 215 ، والكامل في التاريخ 2 / 367 ، والأخبار الموفّقيات 575 / 374 ، وتاريخ دمشق 65 / 147 - 149 .

[1476] الغارات 2 / 528 ، أنساب الأشراف 5 / 268 ، تاريخ الطبري 5 / 273 .

[1477] الحَزْن : المكان الغليظ الخشن (النهاية 1 / 380) . نهج البلاغة : الكتاب 70 ، أنساب الأشراف 2 / 386 نحوه إلى « سُحقاً » وراجع تاريخ اليعقوبي : 2 / 203 .

[1478] المنتخب من ذيل المذيل 1 / 147 ، الغارات 2 / 567 .

[1479] سورة الحشر 16 ، شرح نهج البلاغة 20 / 287 / 277 ، نثر الدرّ 1 / 325 نحوه ، تاريخ الطبري 4 / 562 ، وراجع الغارات 2 / 553 ، وشرح نهج البلاغة 4 / 93 .

[1480] سير أعلام النبلاء 2 / 536 ح108 ، تهذيب الكمال 4 / 535 ح917 وفيه « بالسراة » بدل « بالشراة » وزاد في آخره « وكانت ولايته سنتين ونصفاً بعد زياد بن أبي سفيان » وراجع الطبقات الكبرى 6 / 22 .

[1481] القَيْل : المَلِك النافذ القول والأمر (لسان العرب 11 / 576) .

[1482] المَقاوِلة : جمع قَيْل (لسان العرب 11 / 575) وقد تقدّم توضيحه .

[1483] الغارات 2 / 630 .

[1484] الكُنَاسة : محلّة بالكوفة ، عندها واقع يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بن الحسين (معجم البلدان 4 / 481) .

[1485] الوَرْس : نبت أصفر يُصبَغ به (النهاية 5 / 173) .

[1486] الفَدْم من الناس : العيِيُّ عن الحجّة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلّة فهم (لسان العرب 12 / 450) .

[1487] الغارات 2 / 533 ، شرح نهج البلاغة 4 / 88 ، وراجع 10 / 250 ، والإصابة 6 / 387 ح8876 .

[1488] سورة البقرة 45 .

[1489] سورة المائدة 8 .

[1490] الَهمْس : السَّير بالليل بلا فتور (تاج العروس 9 / 45) . الغارات 2 / 539 ، المناقب لابن شهر آشوب 2 / 147 نحوه إلى « فخرج طارق » ، بحار الأنوار 33 / 373 ح537 ، شرح نهج البلاغة 4 / 89 .

[1491] الرُها : إحدى مدن سورية ، وتقع بين الشام والموصل في الجانب الشمالي الشرقي عن الفرات أعلى الرقّة وحرّان ، وتعرف اليوم بـ « أدسا » و « أُورفا » .

[1492] وقعة صفّين 97 ، شرح نهج البلاغة 3 / 176 .

[1493] الغارات 2 / 532 ، شرح نهج البلاغة 4 / 87 .

[1494] الظاعن : الشاخص لسفر في حجّ أو غزو أو مسير من مدينة إلى أُخرى ، وهو ضدّ الخافض ; يقال : أظاعنٌ أنت أم مقيم (تاج العروس 18 / 362) .

[1495] نَكَلَ : نكص ; يقال : نكل عن العدو : أي جَبُن (لسان العرب 11 / 677) .

[1496] الرَّوع : الفزع (لسان العرب 8 / 135) .

[1497] الظُّبَة : حدّ السيف والسنان والنصل والخَنجر وما أشبه ذلك (لسان العرب 15 / 22) . نَبا السيف عن الضريبة : كَلَّ ولم يَحِك فيها (لسان العرب 15 / 301) .

[1498] نهج البلاغة الكتاب 38 ، الغارات 1 / 266 عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر ، الاختصاص 80 عن عبدالله بن جعفر ، بحار الأنوار 33 / 595 ح741 ، تاريخ الطبري 5 / 96 عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر ، تاريخ دمشق 56 / 390 ح7165 كلّها نحوه وراجع تاريخ اليعقوبي 2 / 194 .

[1499] المستدرك ، الحاكم 3 / 137 ، كنز العمّال 3 / 157 ، 6 / 157 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي 9 / 121 ، حلية الأولياء 1 / 63 - 64 ، تاريخ بغداد 11 / 112 ، 13 / 122 ، الإصابة ، ابن حجر 4 / 170 - 171 .

[1500] المهيمن : الشاهد .

[1501] روعي : أي في خاطري .

[1502] الحرام : وهو الخمر ، وقد شربها علناً عتبة بن أبي سفيان ، وحدّ خالد بن عبدالله في الطائف .

[1503] الرضائخ : العطايا .

[1504] التأليب : التحريض .

[1505] الأرق : السهر .

[1506] نهج البلاغة ، محمّد عبده 3 / 118 - 121 .

عهد الإمام (عليه السلام) للأشتر

اهتمّ العلماء والباحثون بعهد الإمام (عليه السلام) الرائع المسمّى برسالته إلى مالك الأشتر فهو عهد في كيفية إدارة الدولة وسياسة الحكومة ومراعاة حقوق الشعب .

ذكر بنودها أمير المؤمنين (عليه السلام) بشكل رائع لا تشوبه شائبة .

فكانت دستوراً للحكومات لا ينقصه شيء .

والواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك من حكومة عادلة ، أو سنّة فاضلة ، أو أثر عن نبيّنا (صلى الله عليه وآله) ، أو فريضة في كتاب الله ، فتقتدي بما شاهدته ممّا عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك ، لكي لا تكون لك علّة عند تسرّع نفسك إلى هواها .

وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبة ، أن يوفّقني وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في العباد ، وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، « وإنّا إلى الله راغبون » .

والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله الطيّبين الطاهرين ، وسلّم تسليماً كثيراً ، والسلام .

دستور الدولة الإسلامية (العهد إلى مالك)

وعهد الإمام علي (عليه السلام)إلى واليه على مصر مالك الأشتر يعتبر دستوراً كاملا للدولة الإسلامية . فيه نظريات الإسلام في الحاكم والحكومة ومناهج الدين في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والحرب والإدارة والأُمور العبادية والقضائية .

قال الإمام علي (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أمر به عبدالله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاّه مصر : جباية خراجها ، ومجاهدة عدوّها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتّباع ما أمر الله به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلاّ باتّباعها ، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله بيده وقلبه ولسانه ; فإنّه قد تكفّل بنصر من نصره ، إنّه قوي عزيز .

وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ; فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّي ، إنّ ربّي غفور رحيم . « وأن يعتمد كتاب الله عند الشبهات ; فإنّ فيه تبيان كلّ شيء ، وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون . وأن يتحرّى رضا الله ، ولا يتعرّض لسخطه ، ولا يصرّ على معصيته ، فإنّه لا ملجأ من الله إلاّ إليه » .

ثمّ اعلم يامالك أنّي وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وأنّ الناس ينظرون من أُمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أُمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يُجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح « بالقصد فيما تجمع وما ترعى به رعيّتك » ، فاملك هواك وشُحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك ; فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت وكرهت .

وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبّة لهم ، واللطف بالإحسان إليهم ، ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم ; فإنّهم صنفان ; إمّا أخ لك في الدين ، وإمّا نظير لك في الخلق ، يفرط [1507]منهم الزلل ، وتَعرِض لهم العِلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه ; فإنّك فوقهم ، ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاّك بما عرّفك من كتابه ، وبصّرك من سنن نبيّه (صلى الله عليه وآله).

عليك بما كتبنا لك في عهدنا هذا ، لا تنصبنّ نفسك لحرب الله ; فإنّه لا يدَ لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته . فلا تندمنّ على

عفو ، ولا تبجحنّ [1508]بعقوبة ، ولا تسرعنّ إلى بادرة [1509]وجدت عنها مندوحة [1510]، ولا تقولنّ : إنّي مؤمّر ; آمر فأُطاع ; فإنّ ذلك إدغال [1511] في القلب ، ومنهكة [1512] للدين ، وتقرّب من الفتن ، فتعوّذ بالله من درك الشقاء .

وإذا أعجبك ما أنت فيه من سلطانك فحدثت لك به أُبّهة أو مخيّلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ; فإنّ ذلك يُطامِن [1513]إليك من طماحك [1514]، ويكفّ عنك من غربك [1515]،

ويفيء إليك ما عزب [1516]من عقلك .

وإيّاك ومساماته في عظمته ، أو التشبّه به في جبروته ; فإنّ الله يُذلّ كلّ جبّار ، ويُهين كلّ مختال فخور .

أنصف الله ، وأنصف الناس من نفسك ومن خاصّتك ومن أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ; فإنّك إلاّ تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجّته ، وكان لله حرباً حتّى ينزع ويتوب .

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة من إقامة على ظلم ; فإنّ الله يسمع دعوة المظلومين ، وهو للظالمين بمرصاد ، ومن يكن كذلك فهو رهين هلاك في الدنيا والآخرة .

وليكن أحبّ الأُمور إليك أوسطها في الحقّ ، وأعمّها في العدل ، وأجمعها للرعية ; فإنّ سخط العامّة يجحف برضى الخاصّة ، وإنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة . وليس أحد من الرعيّة أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء ، وأقلّ له معونة في البلاء ، وأكره للإنصاف ، وأسأل بالإلحاف [1517]، وأقلّ شكراً عند الإعطاء ، وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملمّات الأُمور ، ومن الخاصّة ، وإنّما عمود الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء أهل العامّة من الأُمّة ، فليكن لهم صَغوك ، واعمد لأعمّ الأُمور منفعة وخيرها عاقبة ، ولا قوّة إلاّ بالله .

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لعيوب الناس ; فإنّ في الناس عيوباً الوالي أحقّ مَن سترها ، فلا تكشفنّ ما غاب عنك ، واستر العورة ما استطعت ; يستر الله منك ما تحبّ ستره من رعيّتك .

وأطلق عن الناس عقد كلّ حقد ، واقطع عنك سبب كلّ وتر ، « واقبل العذر . وادرأ الحدود بالشبهات » .

وتغاب عن كلّ ما لا يَضِحُ [1518]لك ، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع ; فإنّ الساعي غاشّ وإن تشبّه بالناصحين .

لا تُدخلنّ في مشورتك بخيلا يخذلك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعف عليك الأُمور ، ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور ; فإنّ البخل والجور [1519]والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظنّ بالله [1520].

أيقن أنّ شرّ وزرائك من كان للأشرار وزيراً ، ومن شركهم في الآثام وقام بأُمورهم في عباد الله ; فلا يكوننّ لك بطانة [1521]، « تُشركهم في أمانتك كما شركوا في سلطان غيرك فأردوهم وأوردهم مصارع السوء .

ولا يعجبنّك شاهد ما يحضرونك به » ; فإنّهم أعوان الأثمة ، وإخوان الظلمة ، وعباب كلّ طمع ودغل [1522]، وأنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل أدبهم ونفاذهم ممّن قد تصفّح الأُمور ، فعرف مساويها بما جرى عليه منها ، فأُولئك أخفّ عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقلّ لغيرك إلفاً ، لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمه ، « ولم يكن مع غيرك له سيرة أجحفت بالمسلمين والمعاهدين » ; فاتّخذ أُولئك خاصّة لخلوتك وملائك .

ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ ، « وأحوطهم على الضعفاء بالإنصاف ، وأقلّهم لك مناظرة فيما يكون منك مماكرة الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ; فإنّهم يقفونك على الحقّ ، ويبصّرونك ما يعود عليك نفعه » . والصق بأهل الورع والصدق وذوي العقول والأحساب ، ثمّ رُضْهم على ألاّ يطروك ، ولا يبجّحوك بباطل لم تفعله ; فإنّ كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدني من الغِرّة ، « والإقرار بذلك يوجب المقت من الله » .

لا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ; فإنّ ذلك تزهيد لأهل الإحسان ، في الإحسان ، وتدريب لأهل الإساءة على الإساءة ،

فألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه ; أدباً منك ينفعك الله به ، وتنفع به أعوانك .

ثمّ اعلم أنّه ليس شيء بأدعى لحسن ظنّ وال برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وقلة استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم ، فليكن في ذلك أمر يجتمع لك به حسن ظنّك برعيّتك ; فإنّ حسن الظنّ يقطع عنك نصباً طويلا ، وإنّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وأحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده ، « فاعرف هذه المنزلة لك وعليك لتزدك بصيرة في حسن الصنع ، واستكثار حسن البلاء عند العامّة ، مع ما يوجب الله بها لك في المعاد » .

ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأُمّة ، واجتمعت بها الأُلفة ، وصلحت عليها الرعية . ولا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء ممّا مضى من تلك السنن ; فيكون الأجر لمن سنّها ، والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارسة العلماء ، ومثافنة [1523]الحكماء ، في تثبيت ما صلح عليه أهل بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس من قبلك ; « فإنّ ذلك يحقّ الحقّ ، ويدفع الباطل ، ويكتفى به دليلا ومثالا لأنّ السنن الصالحة هي السبيل إلى طاعة الله » .

ثمّ اعلم أنّ الرعيّة طبقات ، لا يصلح بعضها إلاّ ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ; فمنها جنود الله ، ومنها كتّاب العامّة والخاصّة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمّال الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومَسلَمة الناس ، ومنها التجّار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة [1524]السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكلاً قد سمّى الله سهمه ، ووضع على حدّ فريضته في كتابه أو سنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله)، وعهداً عندنا محفوظاً .

فالجنود ـ بإذن الله ـ حصون الرعيّة ، وزين الولاة ، وعزّ الدين ، وسبيل الأمن والخفض ، وليس تقوم الرعيّة إلاّ بهم . ثمّ لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يصلون به إلى جهاد عدوّهم ، ويعتمدون عليه ، ويكون من وراء حاجاتهم .

ثمّ لا بقاء لهذين الصنفين إلاّ بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب ; لما يحكمون من الأُمور ، ويظهرون من الإنصاف ، ويجمعون من المنافع ، ويُؤمَنون عليه من خواصّ الأُمور وعوامّها .

ولا قوام لهم جميعاً إلاّ بالتجّار وذوي الصناعات فيما يجمعون من مرافقهم ، ويقيمون من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفّق بأيديهم ممّا لا يبلغه رفق غيرهم .

ثمّ الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقّ رِفدهم [1525]، وفي في الله لكلٍّ سعة ، ولكلٍّ على الوالي حقّ بقدر يصلحه ، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحقّ والصبر فيما خفّ عليه وثقل . فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ، وأجمعهم علماً وسياسة ، ممّن يبطئ عن الغضب ، ويسرع إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو [1526] على الأقوياء ، ممّن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف .

ثمّ الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثمّ أهل النجدة ، والشجاعة والسخاء والسماحة ; فإنّهم جِماع من الكرم ، وشُعَبٌ من العُرف ، يهدون إلى حسن الظنّ بالله ، والإيمان بقَدره .

ثمّ تفقّد أُمورهم بما يتفقّد الوالد من ولده ، ولا يتفاقمنّ [1527] في نفسك شيء قوّيتهم به . ولا تحقّرنّ لطفاً تعاهدتهم به وإن قلّ ; فإنّ داعية لهم إلى بذل النصيحة وحسن الظّن بك . فلا تدع تفقّد لطيف أُمورهم اتّكالا على جسيمها ; فإنّ لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه .

وليكن آثر رؤوس جنودك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم في بذله ممّن يسعهم ويسع من وراءهم من الخُلوف [1528]من أهلهم ، حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو .

« ثمّ واتر إعلامهم ذات نفسك في إيثارهم والتكرمة لهم ، والإرصاد بالتوسعة . وحقّق ذلك بحسن الفعال والأثر والعطف » ; فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك .

وإنّ أفضل قرّة العيون للولاة استفاضة العدل في البلاد ، وظهور مودّة الرعيّة ; لأنّه لا تظهر مودّتهم إلاّ بسلامة صدورهم ، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحوطتهم على ولاة أُمورهم ، وقلّة استثقال دولتهم ، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم .

« ثمّ لا تَكِلنّ جنودك إلى مغنم وزّعته بينهم ، بل أحدِث لهم مع كلّ مغنم بدلا ممّا سواه ممّا أفاء الله عليهم ، تستنصر بهم به ، ويكون داعية لهم إلى العودة لنصر الله ولدينه . واخصص أهل النجدة في أملهم إلى منتهى غاية آمالك من النصيحة بالبذل » ، وحسن الثناء عليهم ، ولطيف التعهّد لهم رجلا رجلا وما أبلى في كلّ مشهد ; فإنّ كثرة الذكر منك لحسن فِعالهم تهزّ الشجاع ، وتحرّض الناكل إن شاء الله .

« ثمّ لا تدع أن يكون لك عليهم عيون [1529]من أهل الأمانة والقول بالحقّ عند الناس ، فيثبتون بلاء كلّ ذي بلاء منهم ليثق أُولئك بعلمك ببلائهم » .

ثمّ اعرف لكلّ امرئ منهم ما أبلى ، ولا تَضُمّنَّ بلاء امرئ إلى غيره ، ولا تُقصّرنّ به دون غاية بلائه ، « وكاف كلاًّ منهم بما كان منه ، واخصصه منك بهزّه » . ولا يدعونّك شرف امرئ إلى أن تعظّم من بلائه ما كان صغيراً ، ولا ضِعة امرئ على أن تصغّر من بلائه ما كان عظيماً . « ولا يفسدنّ أمرأ عندك علّة إن عرضت له ، ولا نبوة حديث له قد كان له فيها حسن بلاء ، فإنّ العزّة لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتّقين .

وإن استشهد أحد من جنودك وأهل النكاية في عدوّك فاخلفه [1530] في عياله بما يخلف به الوصي الشفيق الموثق به ; حتّى لا يُرى عليهم أثر فقده ; فإنّ ذلك يعطف عليك قلوب شيعتك ، ويستشعرون به طاعتك ، ويسلسون [1531] لركوب معاريض التلف الشديد في ولايتك .

وقد كانت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) سنن في المشركين ومنّا بعده سنن ، قد جرت بها سنن وأمثال في الظالمين ، ومن توجّه قِبلتنا ، وتسمّى بديننا » ; وقد قال الله لقوم أحبّ إرشادهم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا) [1532].

وقال : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا) [1533].

فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والردّ إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المتفرّقة ، « ونحن أهل رسول الله الذين نستنبط المحكم من كتابه ، ونميّز المتشابه منه ، ونعرف الناسخ ممّا نسخ الله ووضع إصره .

فسِر في عدوّك بمثل ما شاهدت منّا في مثلهم من الأعداء ، وواتر إلينا الكتب بالأخبار بكلّ حدث يأتك منّا ، أمر عامّ ، والله المستعان .

ثمّ انظر في أمر الأحكام بين الناس بنيّة صالحة ; فإنّ الحكم في إنصاف المظلوم من الظالم والأخذ للضعيف من القويّ وإقامة حدود الله على سنّتها ومنهاجها ممّا يصلح عباد الله وبلاده » . فاختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك ، « وأنفسهم للعلم والحلم والورع والسخاء » ، ممّن لا تضيق به الأُمور ، ولا تُمحِكه [1534]الخصوم ، ولا يتمادى في إثبات الزلّة ، ولا يحصر من الفيء إلى الحقّ إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصوم ، وأصبرهم على تكشّف الأُمور ، وأصرمهم عند اتّضاح الحكم ، ممّن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراق ، ولا يصغى [1535]للتبليغ ; فولّ قضاءك من كان كذلك ، وهم قليل .

ثمّ أكثر تعهّد قضائه ، وافتح له في البذل ما يزيح علّته ، ويستعين به ، وتقلّ معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ; ليأمن بذلك اغتيال الرجال إيّاه عندك . « وأحسن توقيره في صحبتك ، وقربه في مجلسك ، وأمضِ قضاءه ، وأنفِذ حكمه ، واشدد عضده ، واجعل أعوانه خيار من ترضى من نظرائه من الفقهاء وأهل الورع والنصيحة لله ولعباد الله ; ليناظرهم فيما شبه

عليه ، ويلطف عليهم لعلم ما غاب عنه ، ويكونون شهداء على قضائه بين الناس إن شاء الله .

ثمّ حملة الأخبار لأطرافك قضاة تجتهد فيهم نفسه ، لا يختلفون ولا يتدابرون في حكم الله وسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ; فإنّ الاختلاف في الحكم إضاعة للعدل ، وغِرة في الدين ، وسبب من الفرقة . وقد بيّن الله ما يأتون وما ينفقون ، وأمر بردّ ما لا يعلمون إلى من استودعه الله علم كتابه ، واستحفظه الحكم فيه ، فإنّما اختلاف القضاة في دخول البغي بينهم ، واكتفاء كل امرئ منهم برأيه دون من فرض الله ولايته ليس يصلح الدين ولا أهل الدين على ذلك .

ولكن على الحاكم أن يحكم بما عنده من الأثر والسنّة ، فإذا أعياه ذلك ردّ الحكم إلى أهله ، فإن غاب أهله عنه ناظَر غيره من فقهاء المسلمين ; ليس له ترك ذلك إلى غيره ، وليس لقاضيين من أهل الملّة أن يقيما على اختلاف في الحكم إنّما رفع ذلك إلى وليّ الأمر فيكم ، فيكون هو الحاكم بما علّمه الله ، ثمّ يجتمعان على حكمه فيما وافقهما أو خالفهما » . فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً بأيدي الأشرار ، يُعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا .

« واكتب إلى قضاة بلدانك فليرفعوا إليك كلّ حكم اختلفوا فيه على حقوقه ، ثمّ تصفّح تلك الأحكام ; فما وافق كتاب الله وسنّة نبيّه والأثر من إمامك فأمضه واحملهم عليه ، وما اشتبه عليك فاجمع له الفقهاء بحضرتك فناظرهم فيه ، ثمّ أمض ما يجتمع عليه أقاويل الفقهاء بحضرتك من المسلمين ، فإنّ كلّ أمر اختلف فيه الرعية مردود إلى حكم الإمام ، وعلى الإمام الاستعانة بالله ، والاجتهاد في إقامة الحدود ، وجبر الرعية على أمره ، ولا قوّة إلاّ بالله » .

ثمّ انظر إلى أُمور عمّالك ، واستعملهم اختباراً ، ولا تولّهم أُمورك محاباة [1536]أثرة [1537]; فإنّ المحاباة والأثرة جماع الجور والخيانة ، « وإدخال الضرورة على الناس ، وليست تصلح الأُمور بالإدغال ، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة » ، وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام ; فإنّهم أكرم أخلاقاً ، وأصحّ أعراضاً وأقلّ في المطامع إشرافاً ، وأبلغ في عواقب الأُمور نظراً من غيرهم ، « فليكونوا أعوانك على ما تقلّدت » .

ثمّ أسبغ عليهم « في العمالات ، ووسّع عليهم في » الأرزاق ; فإنّ في ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك ، أو ثلموا أمانتك . ثمّ تفقّد أعمالهم ، وابعث العيون عليهم من أهل الصدق والوفاء ; فإنّ تعهّدك في السرّ أُمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية .

وتحفّظ من الأعوان ; فإنّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثمّ نصبته بمقام المذلّة فوسمته بالخيانة وقلّدته عار التهمة .

وتفقّد ما يصلح أهل الخراج ; فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم ; لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله . فليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ; فإنّ الجلب لا يدرك إلاّ بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم له أمره إلاّ قليلا .

« فأجمع إليك أهل الخراج من كلّ بلدانك ، ومُرهم فليُعلموك حال بلادهم وما فيه صلاحهم ورخاء جبايتهم ، ثمّ سَل عمّا يرفع إليك أهل العلم به من غيرهم » ; فإن كانوا شكوا ثقلا أو علّة من انقطاع شرب أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بهم العطش أو آفة خفّفت عنهم ما ترجو أن يصلح الله به أمرهم ، « وإن سألوا معه معونة على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم فاكفهم مؤونته ; فإنّ في عاقبة كفايتك إيّاهم صلاحاً ، فلا يثقلنّ عليك شيء خفّفت به عنهم المؤونات » ; فإنّه ذخر يعودون به عليك لعمارة بلادك ، وتزيين ولايتك ، « مع اقتنائك مودّتهم وحسن نيّاتهم ، واستفاضة الخير ، وما يسهّل الله به من جلبهم ، فإنّ الخراج لا يستخرج بالكدّ والأتعاب ، مع أنّها عقد [1538]تعتمد عليها إن حدث حدث كنت عليهم معتمداً » ; لفضل قوّتهم بما ذخرت عنهم من الجَمام [1539]، والثقة منهم بما عوّدتهم من عدلك ورفقك ، ومعرفتهم بعذرك فيما حدث من الأمر الذي اتّكلت به عليهم ، فاحتملوه بطيب أنفسهم ، فإنّ العمران محتمل ما حمّلته ،

وإنّما يؤتى خراب الأرض لإعواز أهلها ، وإنّما يعوز أهلها لإسراف الولاة وسوء ظنّهم بالبقاء وقلّة انتفاعهم بالعبر .

« فاعمل فيما وليت عمل من يحبّ أن يدّخر حسن الثناء من الرعية ، والمثوبة من الله ، والرضا من الإمام . ولا قوّة إلاّ بالله » .

ثمّ انظر في حال كتّابك « فاعرف حال كل امرئ منهم فيما يحتاج إليه منهم ، فاجعل لهم منازل ورتباً » ، فولّ على أُمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تُدخل فيها مكيدتك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأدب ، « ممّن يصلح للمناظرة في جلائل الأُمور ، من ذوي الرأي والنصيحة والذهن ، أطواهم عنك لمكنون الأسرار كشحاً » ، ممّن لا تُبطره الكرامة ، « ولا تمحق به الدالّة [1540]» فيجترئ بها عليك في خلاء ، أو يلتمس إظهارها في ملاء ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد كتب الأطراف عليك ، وإصدار جواباتك على الصواب عنك ، وفيما يأخذ ويعطي منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأُمور ; فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل .

« وولّ ما دون ذلك من رسائلك وجماعات كتب خَرجك ودواوين جنودك قوماً تجتهد نفسك في اختيارهم ; فإنّها رؤوس أمرك ، أجمعها لنفعك ، وأعمّها لنفع رعيّتك » .

ثمّ لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك [1541] وحسن الظنّ بهم ، فإنّ الرجال يعرفون فراسات الولاة بتصنّعهم وخدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة ، ولكن اختبرهم بما ولّوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثراً وأعرفهم فيها بالنبل والأمانة ، فإنّ ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن ولّيت أمره . ثمّ مُرهم بحسن الولاية ، ولين الكلمة » . واجعل لرأس كلّ أمر من أُمورك رأساً منهم ، لا يقهره كبيرها ، ولا يتشتّت عليه كثيرها .

« ثمّ تفقّد ما غاب عنك من حالاتهم ، وأُمور من يرد عليك رسله ، وذوي الحاجة وكيف ولايتهم وقبولهم وليّهم وحجّتهم ; فإنّ التبرّم والعزّ والنخوة من كثير من الكتّاب إلاّ من عصم الله ، وليس للناس بدّ من طلب حاجاتهم » . ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه أُلزمته ، أو فضل نُسب إليك ، مع ما لك عند الله في ذلك من حسن الثواب .

ثمّ التجّار وذوي الصناعات فاستوص وأوص بهم خيراً ; المقيم منهم ، والمضطرب [1542]بماله ، والمترفّق بيده ; فإنّهم موادّ للمنافع ، وجلاّبها في البلاد في برّك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم اناس لمواضعها ولا يجترئون عليها « من بلاد أعدائك من أهل الصناعات التي أجرى الله الرفق منها على أيديهم فاحفظ حرمتهم ، وآمن سبلهم ، وخذ لهم بحقوقهم » ; فإنّهم سلم لا تُخاف بائقته ، وصلح لا تُحذر غائلته ، « أحبّ الأُمور إليهم أجمعها للأمن وأجمعها للسلطان » ، فتفقّد أُمورهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادك .

واعلم مع ذلك أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحّاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكّماً في البياعات ، وذلك باب مضرّة للعامّة ، وعيب على الولاة ; فامنع الاحتكار فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عنه .

وليكن البيع والشراء بيعاً سمحاً ، بموازين أعدل ، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حُكرة بعد نهيك فنكّل وعاقب في غير إسراف « فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)فعل ذلك » .

ثمّ الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين ، والمحتاجين ، وذوي البؤس ، والزمنى [1543]; فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعترّاً ، فاحفظ الله ما استحفظك من حقّه فيها ، واجعل لهم قسماً من غلاّت صوافي الإسلام في كلّ بلد ، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكلاً قد استُرعيت حقّه ، فلا يشغلنّك عنهم نظر ; فإنّك لا تُعذر بتضييع الصغير لإحكامك الكثير المهمّ ، فلا تُشخص همّك عنهم ، ولا تُصعّر خدّك لهم ، « وتواضع لله يرفعك الله ، واخفض جناحك للضعفاء ، واربهم إلى ذلك منك حاجة » ، وتفقّد من أُمورهم ما لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون وتحقّره الرجال ، ففرّغ لأُولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أُمورهم ، ثمّ اعمل فيهما بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإنّ هؤلاء أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، فأعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه .

وتعهّد أهل اليُتم والزمانة والرقّة في السنّ ممّن لا حيلة ، ولا ينصب للمسألة نفسه ; « فأجرِ لهم أرزاقاً ، فإنّهم عباد الله ، فتقرّب إلى الله

بتخلّصهم ووضعهم مواضعهم في أقواتهم وحقوقهم ، فإنّ الأعمال تخلص بصدق النيّات . ثمّ إنّه لا تسكن نفوس الناس أو بعضهم إلى أنّك قد قضيت حقوقهم بظهر الغيب دون مشافهتك بالحاجات » ، وذلك على الولاة ثقيل ، والحقّ كلّه ثقيل ، وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا نفوسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله « لمن صبر واحتسب ، فكن منهم واستعن بالله » .

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك « وذهنك من كلّ شغل ، ثمّ تأذن لهم عليك » ، وتجلس لهم مجلساً تتواضع فيه لله الذي رفعك ، وتُقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، « تخفض لهم في مجلسك ذلك جناحك ، وتُلين لهم كنفك في مراجعتك ووجهك » ; حتّى يكلّمك متكلّمهم غير مُتعتع ، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول في غير موطن : لن تقدّس أُمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القويّ غير متعتع .

ثمّ احتمل الخرق منهم والعيّ ، ونحِّ عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب أهل طاعته ، فأعط ما أعطيت هنيئاً ، وامنع في إجمال وإعذار ، « وتواضع هناك ; فإنّ الله يحبّ المتواضعين . وليكن أكرم أعوانك عليك أليَنهم جانباً ، وأحسنهم مراجعة ، وألطفهم بالضعفاء ، إن شاء الله » .

ثمّ إنّ أُموراً من أُمورك لابدّ لك من مباشرتها ; منها : إجابة عمّالك ما يعي عنه كتّابك . ومنها : إصدار حاجات الناس في قصصهم . « ومنها : معرفة ما يصل إلى الكتّاب والخزّان ممّا تحت أيديهم ، فلا تتوانَ فيما هنالك ، ولا تغتنم تأخيره ، واجعل لكلّ أمر منها من يناظر فيه ولاته بتفريغ لقلبك وهمّك ، فكلّما أمضيت أمراً فأمضه بعد التروية ومراجعة نفسك ، ومشاورة وليّ ذلك بغير احتشام ، ولا رأي يكسب به عليك نقيضه » .

ثمّ أمضِ لكلّ يوم عمله ; فإنّ لكلّ يوم ما فيه . واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلّها لله إذا صحّت فيها النيّة وسلمت منها الرعية .

وليكن في خاصّ ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة ، فأعطِ الله من بدنك في ليلك ونهارك ما يجبّ ; « فإنّ الله جعل النافلة لنبيّه خاصّة دون خلقه فقال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) [1544]، فذلك أمر اختصّ الله به نبيّه وأكرمه به ، ليس لأحد سواه ، وهو لمن سواه تطوّع ; فإنّه يقول :

(وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [1545]» .

فوفّر ما تقرّبت به إلى الله وكرمه وأدّ فرائضه إلى الله كاملا غير مثلوب ولا منقوص ، بالغاً ذلك من بدنك ما بلغ .

فإذا قمت في صلاتك بالناس فلا تُطوّلنّ ولا تكوننّ منفّراً ، ولا مضيّعاً ; فإنّ في الناس من به العلّة وله الحاجة ، وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين وجّهني إلى اليمن : كيف نصلّي بهم ؟

فقال : صلّ بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً .

وبعد هذا فلا تطولنّ احتجابك عن رعيّتك ; فإنّ احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلّة علم بالأُمور ، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويُشاب الحقّ بالباطل ، وإنّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأُمور ، وليست على القول سمات يعرف بها الصدق من الكذب ، فتحصّن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب ; فإنّما أنت أحد رجلين : إمّا امرء سخت نفسك بالبذل في الحقّ ففيم احتجابك من واجب حقّ تعطيه ، أو خلق كريم تسديه ؟ وإمّا مبتلى بالمنع فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك ، مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة عليك فيه ; من شكاية مظلمة ، أو طلب إنصاف . « فانتفع بما وصفت لك ، واقتصر فيه على حظّك ورشدك ، إن شاء الله » .

ثمّ إنّ للملوك خاصّة بِطانة فيهم استئثار وتطاول ، وقلّة إنصاف ، فاحسم مادّة أُولئك بقطع أسباب تلك الأشياء ، ولا تقطعنّ لأحد من حشمك ولا حامّتك [1546]قطيعة ، ولا تعتمدنّ في اعتقاد عقدة تضرّ بمن يليها من الناس ; في شرب ، أو عمل مشترك يحملون مؤونتهم

على غيرهم ، فيكون مَهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة .

« عليك بالعدل في حكمك إذا انتهت الأُمور إليك » ، وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، وافعل ذلك بقرابتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليه منه ; فإنّ مغبّة ذلك محمودة . وإن ظنّت الرعية بك حيفاً فأصحِر [1547] لهم بعذرك ، وأعدل عنك ظنونهم بإصحارك ; فإنّ في تلك رياضة منك لنفسك ، ورفقاً منك برعيّتك ، وإعذاراً تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحقّ في خفض وإجمال .

لا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك فيه رضى ; فإنّ في الصلح دعة [1548]لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك . ولكنّ الحذر كلّ الحذر من مقاربة عدوّك في طلب الصلح ; فإنّ العدو ربما قارب ليتغفّل ، فخذ بالحزم ، « وتحصّن كلّ مخوف تؤتى منه ، وبالله الثقة في جميع الأُمور » .

وإن لجّت بينك وبين عدوّك قضية عقدت بها صلحاً أو ألبسته منك ذمّة فحُط عهدك بالوفاء ، وارع ذمّتك بالأمانة ، واجعل نفسك جُنّة دونه ; فإنّه ليس شيء من فرائض الله جلّ وعزّ الناس أشدّ عليه اجتماعاً في تفريق أهوائهم وتشتيت أديانهم من تعظيم الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استَوبَلوا [1549]من الغدر والختر ، فلا تغدرنّ بذمّتك ، ولا تخفر [1550]بعهدك ، ولا تختلنّ [1551]عدوّك ، فإنّه لا يجترئ على الله إلاّ جاهل ، وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكنون إلى مَنَعته ، ويستفيضون به إلى جواره ، فلا خداع ولا مدالسة ولا إدغال فيه [1552]. فلا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله على طلب انفساخه ، فإنّ صبرك على ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك من الله طلبة ، ولا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك .

وإيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها ; فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى لزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير الحقّ ، والله مبتدئ بالحكم بين العباد فيما يتسافكون من الدماء ، فلا تصونّ سلطانك بسفك دم حرام ، فإنّ ذلك يخلقه [1553]ويزيله ، « فإيّاك والتعرّض لسخط الله ; فإنّ الله قد جعل لولي من قتل مظلوماً سلطاناً ، قال الله : (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً) [1554]» .

ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ، لأنّ فيه قود البدن ، فإن ابتليت بخطأ وأفرط عليه سوطك أو يدك لعقوبة فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحنّ [1555]

بك نخوة [1556]سلطانك عن أن تؤدّي إلى أهل المقتول حقّهم ; « ديّة مسلّمة يتقرّب بها إلى الله زلفى » .

إيّاك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحبّ الإطراء ; فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن .

إيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسان ، أو التزيّد فيما كان من فعلك ، أو تعِدهم فتتبع موعدك بخُلفك ، « أو التسرّع إلى الرعية بلسانك » ; فإنّ المنّ يبطل الإحسان ، والخُلف يوجب المقت ، وقد قال الله جلّ ثناؤه :

(كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ) [1557].

إيّاك والعجلة بالأُمور قبل أوانها ، والتساقط فيها عند زمانها ، واللجاجة فيها إذا تنكّرت ، والوهن فيها إذا أوضحت ، فضع كلّ أمر موضعه ، وأوقع كلّ عمل موقعه .

وإيّاك والاستئثار بما للناس فيه الأُسوة [1558]، « والاعتراض فيما يعنيك » ، والتغابي عمّا يعنى به ممّا قد وضح لعيون الناظرين ; فإنّه مأخوذ منك لغيرك . وعمّا قليل تُكشف عنك أغطية الأُمور ، ويبرز الجبّار بعظمته ، فينتصف المظلومون من الظالمين .

ثمّ املك حميّة أنفك ، وسورة [1559]حِدّتك [1560]، وسطوة يدك ، وغرب لسانك . واحترس كلّ ذلك بكفّ البادرة ، وتأخير السطوة .

وارفع بصرك إلى السماء عندما يحضرك منه ، حتّى يسكن غضبك ، فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تُكثر همومك بذكر المعاد .

« ثمّ اعلم أنّه قد جمع ما في هذا العهد من صنوف ما لم آلك فيه رشداً إن أحبّ الله إرشادك وتوفيقك أن تتذكّر ما كان من كلّ ما شاهدت منّا ، فتكون ولايتك هذه » من حكومة عادلة ، أو سنّة فاضلة ، أو أثر عن نبيّك (صلى الله عليه وآله) ، أو فريضة في كتاب الله ، فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به منها ، وتجتهد نفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي ، واستوثقت من الحجّة لنفسي لكي لا تكون لك علّة عند تسرّع نفسك إلى هواها . « فليس يعصم من السوء ولا يوفّق للخير إلاّ الله جلّ ثناؤه .

وقد كان ممّا عهد إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصايته تحضيضاً على الصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم ، فبذلك أختم لك ما عهدت ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم » .

وأنا أسأل الله سعة رحمته ، وعظيم مواهبه وقدرته على إعطاء كلّ رغبة أن يوفّقني وإيّاك لما فيه رضاه ; من الإقامة على العذر الواضح وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في العبادة ، وحسن الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، وإنّا إليه راغبون . والسلام على رسول الله وعلى آله الطيّبين الطاهرين ، وسلّم كثيراً [1561].

حركة الأشتر إلى مصر

قال الإمام (عليه السلام)للأشتر إنّك ممّن استظهرته على إقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأثيم ، وأشدّ به الثغر المَخوف . وكنت ولّيت محمّد بن أبي بكر مصر ، فخرجت عليه بها خوارج ، وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ، ولا بمجرّب للأشياء ، فاقدِم عليَّ ; لننظر في ذلك فيما ينبغي ، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك . والسلام .

فأقبل مالك إلى علي (عليه السلام)حتّى دخل عليه ، فحدّثه حديث أهل مصر ، وخبّره خبر أهلها ، وقال : ليس لها غيرك ، اخرج رحمك الله فإنّي إن لم أُوصِك اكتفيت برأيك ، واستعن بالله على ما أهمّك ، فاخلط الشدّة باللين ; وارفق ما كان الرفق أبلغ ، واعتزم بالشدّة حين لا يغني عنك إلاّ الشدّة [1562].

شهادة الأشتر بسمّ معاوية

ولم يدر في خلد الأشتر شهادته في طريق مصر ، فخرج ميمّماً وجهه صوب مصر ، وسارت قافلته تطوي البيداء ، لا تلوي على شيء ، فلمّا انتهت إلى « إبلة » [1563]التقى به نافع مولى عثمان بن عفّان ، وقد أرسله معاوية لاغتياله [1564]، وكان لبقاً ، فأخذ مالك يسأله :

ممّن أنت ؟

من أهل المدينة .

من أيّهم ؟

فأخفى وضعه ، وقال :

مولى عمر بن الخطّاب .

أين تريد ؟

مصر .

ما حاجتك بها ؟

أشبع من الخبز فإنّا في المدينة لا نشبع منه .

فرقّ له قائلا الزمني فإنّي سأُصيبك من الخبز .

ومضى مالك في سفره ، وعميل معاوية ملازم له ، حتّى انتهى إلى القلزم [1565]، فنزل ضيفاً على امرأة من جهينة فرحّبت به ، وقابلته بمزيد من التكريم ، وسألته أي الطعام أحبّ إليه في العراق حتّى تصنعه له ، فقال لها : الحيتان الطريّة ، فقدّمت له ما اشتهى فلمّا أكل أصابه عطش شديد فأخذ يكثر من شرب الماء ، فقال له نافع مولى عثمان : إنّ الطعام لا يقتل سمّه إلاّ العسل ، فدعا الأشتر بإحضاره من ثقله ، فلم يكن فيه ، فبادر نافع قائلا : هو عندي ، فقال الأشتر : عليّ به ، فأحضره فتناول منه ، وكان قد دسّ فيه سمّاً قاتلا ، ولمّا انتهى إلى جوفه تقطّعت أمعاؤه ، وأخذ الموت يدنو منه سريعاً ، وطلب الأشتر إحضار نافع فوجده منهزماً ، فلم يعثر عليه ، وسرى السمّ في جميع أوصاله ، وقد طوت حياته شربة العسل التي كان يردّدها معاوية « إنّ لله جنوداً من عسل » [1566].

فمات هذا الرجل العظيم الذي جاهد أعداء الله كأعظم ما يكون الجهاد ، وقد كانت شهادته على يد ابن هند المحارب للإسلام وتبيّن هذه الحادثة وجود جواسيس لمعاوية في جيش الإمام (عليه السلام). أخبروه بحركة الأشتر الى مصر .

وفي رواية أُخرى بعد ما عيّن الإمام علي (عليه السلام) الأشتر والياً على مصر سنة 38هـ . خاف معاوية من الأشتر وأراد قتله فانتخب رجلا من أهل الخراج فقال له : إنّ الأشتر قد ولّي مصر ، فإن أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، فاحتل له بما قدرت عليه .

فخرج الجايستار حتّى أتى القلزم وأقام به ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلمّا انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام ، حتّى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سمّاً فسقاه إيّاه ، فلمّا شربها مات .

وبعد مقتله أقبل معاوية حيلة يقول لأهل الشام : إنّ علياً وجّه الأشتر إلى مصر ، فادعوا الله أن يكفيكموه . قال : فكانوا كلّ يوم يدعون الله على الأشتر ، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر ، فقام معاوية في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد ، فإنّه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفّين ـ يعني عمّار بن ياسر ـ وقطعت الأُخرى اليوم ـ يعني الأشتر ـ [1567].

وقال المسعودي : ولّى علي (عليه السلام) الأشتر مصر ، وأنفذه إليها في جيش ، فلمّا بلغ ذلك معاوية دسّ إلى دهقان كان بالعريش ، فأرغبه ، وقال : أترك خراجك عشرين سنة واحتّل للأشتر بالسمّ في طعامه .

فلمّا نزل الأشتر العريش ، سأل الدهقان : أي الطعام والشراب أحبّ إليه ؟ قيل له : العسل ، فأهدى له عسلا ، وقال : إنّ من أمره وشأنه كذا وكذا ، ووصفه للأشتر ، وكان الأشتر صائماً ، فتناول منه شربة ، فما استقرّت في جوفه حتّى تلف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه .

وبلغ ذلك معاوية ، فقال : إنّ لله جنداً من العسل [1568].

ترحّم الإمام (عليه السلام) على الأشتر

قال الإمام علي (عليه السلام): مالك وما مالك ! والله ، لو كان جبلا لكان فِنداً [1569]، ولو كان حجراً لكان صَلد [1570]، لا يرتقيه الحافر ، ولا يُوفي [1571] عليه الطائر [1572].

رحم الله مالكاً ، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) [1573].

أما والله ليهدّنّ موتك عالماً ، وليفرحنّ عالماً ، على مثل مالك فلتبك البواكي ، وهل موجود كمالك [1574]!!

وصعد المنبر (عليه السلام)فخطب الناس ، ثمّ قال : ألا إنّ مالك بن الحارث قد قضى نحبه ، وأوفى بعهده ، ولقي ربّه ، فرحم الله مالكاً ، لو كان جبلا لكان فذّاً ، ولو كان حجراً لكان صَلداً ، لله مالك ، وما مالك ! وهل قامت النساء عن مثل مالك ! وهل موجود كمالك !

قال : فلمّا نزل ودخل القصر أقبل عليه رجال من قريش ، فقالوا : لشدّ ما جزعت عليه ، ولقد هلك . قال : أما ـ والله ـ هلاكه أعزّ أهل المغرب ، وأذلّ أهل المشرق . قال : وبكى عليه أيّاماً ، وحزن عليه حزناً شديداً ، وقال : لا أرى مثله بعده أبداً [1575].

إذ كان الأشتر بطلا مرموقاً صالحاً مؤمناً عاقلا زعيماً لا يقوى على مواجهته المنافقون ويخافه الفاسقون فهو الذي خافه الأشعري وأخلى له دار الإمارة في الكوفة . وهو الذي خافه طلحة والزبير وباقي الطلقاء والأعراب في المدينة .

فكان قويّاً صلداً في إيمان وعبقرياً بحكمة .

تأبين الإمام لمالك

ولمّا انتهى النبأ الفجيع بوفاة القائد العظيم إلى الإمام (عليه السلام) ذابت نفسه أسى وحزناً ، وأخذ يذرف عليه أحرّ الدموع قائلا :

« إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين .

اللهمّ إنّي أحتسبه عندك ، فإنّ موته من مصائب الدهر ... » .

ثمّ قال : « رحم الله مالكاً فقد وفى بعهده ، وقضى نحبه ، ولقي ربّه ، مع أنّا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله (صلى الله عليه وآله)فإنّها من أعظم المصائب » [1576].

لقد كانت شهادة مالك من الأحداث الجسام التي مني بها العالم الإسلامي استفاد منها المنافقون من بني أُميّة في سبيل طمس معالم الحقّ .

سرور معاوية بقتل الأشتر

قال معاوية بعد شهادة مالك الأشتر ـ : أمّا بعد ، فإنّه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان ، فقطعت إحداهما يوم صفّين ـ يعني عمّار بن ياسر ـ وقطعت الأُخرى اليوم وهو مالك الأشتر [1577].

وقد كان الأشتر زعيماً لأهل اليمن ورئيساً لأهل الكوفة يحترمه الجميع .

وبعد استنفار الإمام (عليه السلام) الناس ، وتقاعدهم عنه ، واجتماعهم على خذلانه ، وخطبة الإمام في ذلك ـ : تكلّم الناس من كلّ ناحية ولغطوا ، فقام رجل فقال بأعلى صوته : استبان فقدُ الأشتر على أهل العراق ، لو كان حيّاً لقلّ اللغط ، ولعلم كل امرئ ما يقول [1578].

وقال مغيرة الضبي : لم يزل أمر علي (عليه السلام) شديداً حتّى مات الأشتر ، وكان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة [1579].

وذكر الأشتر النخعي عند معاوية ، فقال رجل من النخع للذي ذكره : اسكت ، فإنّ موته أذلّ أهل العراق ، وإنّ حياته أذلّت أهل الشام ! فسكت معاوية ولم يقل شيئاً [1580].

وقال المعتزلي : لله أُمّ قامت عن الأشتر ! لو أنّ إنساناً يقسم أنّ الله تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلاّ أستاذه (عليه السلام) لما خشيت عليه الإثم ! ولله درّ القائل وقد سئل عن الأشتر : ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام ، وهزم موته أهل العراق ! وبحقّ ما قال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) [1581].

محمّد بن أبي بكر

كان محمّد بن أبي بكر ربيباً لأمير المؤمنين تربّى في حضنه واستلهم مبادئه وأفكاره واهتدى بهديه فكان نموذجاً حسناً من رجال المسلمين وكان الناس يعجبون لهذا الرجل الذي ترك أباه وحزبه القرشي وتولّى محمّداً وآل محمّد بعيداً عن العصبية القبلية والأهواء الدنيوية .

وبعد ما نكب الإمام (عليه السلام)بشهادة أخيه وعضده مالك الأشتر أبقى ابن أبي بكر على ولاية مصر وهو من ألمع الرجال في فضله وتقواه ، ومن أكثرهم حبّاً وولاءً للإمام (عليه السلام) .

عهد الإمام لمحمّد بن ابى بكر

وكان الإمام (عليه السلام)قد كتب هذه الرسالة لمحمّد حينما قلّده ولاية مصر ، وهذا نصّها :

فاخفض لهم جناحك ، وألن لهم جانبك ، وأبسط لهم وجهك ، وآس [1582]بينهم في اللحظة والنظرة ، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم ، فإنّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة ، والظاهرة والمستورة ، فإن يعذّب فأنتم أظلم ، وإن يعف فهو أكرم .

ومثّلت هذه الكلمات روعة العدل الذي لم يقنّن مثله في جميع ما شرّع من الشؤون السياسية ، فقد أمره الإمام (عليه السلام) بالمواد التالية :

أن لا يتكبّر على الرعية وأن يخفض لهم جناحه . ويتخلّق بأخلاق الرسول العالية في هذا الأمر في التبسّم لهم والترحيب بهم والتوديع لهم . فالتكبّر من صفات الطغاة والمتجبّرين والتواضع من صفات المتّقين الأخيار .

وأمره الإمام (عليه السلام)بالعدل بين الرعية لأنّها مفتاح الفلاح بينهم .

قال الإمام علي (عليه السلام): واعلموا عباد الله ! أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ; سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أُكلت ، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون .

ثمّ انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ ; والمتجر الرابح . أصابوا لذّة زهد الدنيا في دنياهم ، وتيقّنوا أنّهم جيران الله غداً في آخرتهم . لا تردّ لهم دعوة ، ولا ينقص لهم نصيب من لذّة .

فاحذروا عباد الله الموت وقربه ، وأعدّوا له عدّته ، فإنّه يأتي بأمر عظيم ، وخطب جليل ، وخير لا يكون معه شرّ أبداً ، أو شرّ لا يكون معه خير أبداً .

فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها ! ومن أقرب إلى النار من عاملها ! وأنتم طرداء الموت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، وهو ألزم لكم من ظلّكم . الموت معقود بنواصيكم ; والدنيا تطوى من خلفكم .

فاحذروا ناراً قعرها بعيد ، وحرّها شديد ، وعذابها جديد .

دار ليس فيها رحمة ، ولا تسمع فيها دعوة ، ولا تفرّج فيها كربة . وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله ، وأن يحسن ظنّكم به ، فاجمعوا بينهما ، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه ، وإنّ أحسن الناس ظنّاً بالله أشدّهم خوفاً لله ».

وعظ أمير المؤمنين (عليه السلام)الناس وعلى رأسهم محمّد بن أبي بكر بالخوف من الدنيا وزبرجها وهدّده بالنار وحرّها . وعرّفه مسالك أهل اليقين ودروب أهل التوحيد المستفيدين من الدنيا أيّما استفادة والمتنعّمين بها أفضل نعمة .

فهؤلاء هم الفائزون في الآخرة لابتعادهم عن الظلم والشرك والترف والاستكبار .

وأضاف وصي رسول ربّ العالمين : واعلم - يامحمّد بن أبي بكر - أنّي قد ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي ، أهل مصر ، فأنت محقوق [1583]أن تخالف على نفسك ، وأن تنافح عن دينك ، ولو لم يكن لك إلاّ ساعة من الدهر ، ولا تسخط الله برضى أحد من خلقه ، فإنّ في الله خلفاً من غيره ، وليس من الله خلف في غيره .

صلّ الصلاة لوقتها المؤقّت لها ، ولا تعجّل وقتها لفراغ ، ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال .

واعلم أنّ كل شيء من عملك تبع لصلاتك .

وتبيّن هذه الرسالة عظم حبّ علي (عليه السلام) لأهالي مصر (افريقيا) الطيّبين العزيزين على نفسه المباركة وهي نفس رسول الله (صلى

الله عليه وآله) . ثمّ أوصى الإمام (عليه السلام)محمّداً بأداء الصلاة في وقتها فإنّها من أفضل العبادات ، ومن أعظمها عند الله تعالى قائلا : فإنّه لا سواء ، إمام الهدى وإمام الردى ، وولي النبي ، وعدوّ النبي .

ولقد قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إنّي لا أخاف على أُمّتي مؤمناً ولا مشركاً :

أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه . وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه .

ولكنّي أخاف عليكم كل منافق الجنان ، عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ، ويفعل ما تنكرون [1584].

فالإمام (عليه السلام)أشار هنا إلى خطر المنافقين على الإسلام والمسلمين .

في محاولة منه (عليه السلام)إلى ردم أسوار المنافقين وقمع ممالكهم فمنها ينبع الشرّ ومن أرضهم تولد المعاصي .

وأكثرنا غافلون عن هذه المحنة ولاهون عن هذه الفتنة .

صورة أُخرى من عهد الإمام لمحمّد بن أبي بكر

وهذه صورة أُخرى من عهد الإمام (عليه السلام) لمحمّد بن أبي بكر رواها الطبري ، وهذا نصّه بعد البسملة : أو أنّها رسالة واحدة في روايتين له (عليه السلام):

هذا ما عهد عبدالله علي أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر حين ولاّه مصر :

أمره بتقوى الله في السرّ والعلانية ، وخوف الله عزّوجلّ في المغيب والمشهد ، وأمره باللين على المسلم ، والغلظة على الفاجر ، وبالعدل على أهل الذمّة ، وبإنصاف المظلوم ، وبالشدّة على الظالم ، وبالعفو عن الناس ، وبالإحسان ما استطاع ، والله يجزي المحسنين ، ويعذّب المجرمين .

وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة ، فإنّ لهم في ذلك من العاقبة ، وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ولا يعرفون كنهه .

وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل ، لا ينتقص منه ولا يبتدع فيه ، ثمّ يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل .

وأن يلين لهم جناحه ، وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه ، وليكن القريب والبعيد في الحقّ سواء .

وأمره أن يحكم بين الناس بالحقّ ، وأن يقوم بالقسط ، ولا يتّبع الهوى ، ولا يخف في الله عزّوجلّ لومة لائم ، فإنّ الله جلّ ثناؤه من اتّقاه ، وآثر طاعته ، وأمره على ما سواه . وكتب هذا العهد عبدالله بن أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)لغرّة رمضان سنة (36هـ) [1585].

وحفل هذا العهد بجميع ألوان التقوى ، والتمسّك بطاعة الله تعالى التي هي الدرع الحصين لمن التجأ إليها .

فكان عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) مدرسة في التقوى والورع لأبناء الأُمّة .

رسالة محمّد بن أبي بكر إلى معاوية

وكتب محمّد بن أبي بكر رسالة إلى معاوية يدعوه فيها إلى الجماعة والطاعة ، ويذكر فيها فضائل الإمام (عليه السلام)وهذا نصّها :

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر :

«سلام على أهل طاعة الله ممّن هو سلم لأهل ولاية الله ، أمّا بعد :

فإنّ الله بجلاله وعظمته ، وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عبث منه ، ولا ضعف في قوّته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ; ولكنّه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم غويّاً ورشيداً وشقيّاً وسعيداً . ثمّ اختارهم على علمه ، فاصطفى وانتخب منهم محمّداً (صلى الله عليه وآله)، فاختصّه برسالته

، واختاره لوحيه ، وائتمنه على أثره ، وبعثه رسولا ، ومبشّراً ونذيراً ، مصدّقاً لما بين يديه من الكتب ، ودليلا على الشرائع ، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فكان أوّل من أجاب وأناب ، وآمن وصدّق ، وأسلم وسلّم أخوه وابن عمّه ، صدّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كل حميم ، ووقاه بنفسه كلّ هول ، وواساه بنفسه في كلّ خوف وحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الأزل [1586]ومقامات الروع ، حتّى برّز سابقاً لا نظير له في جهاده ولا مقارب له في فعله .

وقد رأيتك تساميه ، وأنت أنت ، وهو هو السابق المبرّز في كلّ خير أوّل الناس إسلاماً ، وأصدق الناس نيّة ، وأطيب الناس ذرّية ، وخير الناس زوجة ، وخير الناس ابن عمّ ، أخوه الشاري لنفسه يوم مؤتة ، وعمّه سيّد الشهداء يوم أُحد ، وأبوه الذابّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)وعن حوزته .

وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل ، وتجهدان في إطفاء نور الله ، وتجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتؤلّبان عليه القبائل ، على هذا مات أبوك ، وعلى ذلك خلفته ، والشاهد عليك بذلك من يأوي ، ويلجأ إليك ، من بقيّة الأحزاب ، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

والشاهد لعلي مع فضله المبين وسابقته القديمة أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، فهم معه كتائب وعصائب ، يجالدون حوله بأسيافهم ، ويهريقون دماءهم دونه ، يرون الحقّ في اتّباعه والشقاق والعصيان في خلافه ، فكيف ـ يالك الويل ـ تعدل نفسك بعلي ، وهو وارث رسول الله (صلى الله عليه وآله)ووصيّه وأبو ولده ، وأوّل الناس له اتّباعاً ، وأقربهم به عهداً ، يخبره بسرّه ، ويطلعه على أمره ، وأنت عدوّه وابن عدوّه .

فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك ، وليمددك ابن العاص في غوايتك ، فكأنّ أجلك قد انقضى ، وكيدك قد وهى ، وسوف يستبين لك لمن تكون العاقبة العليا ، واعلم أنّك إنّما تكايد ربّك الذي قد أمنت كيده ، وأيست من روحه ، وهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور والسلام على من اتّبع الهدى ... [1587]».

جواب معاوية الشافي والكافي

وأجاب معاوية عن رسالة محمّد ، بهذه الرسالة جاء فيها :

«من معاوية بن صخر إلى الزّاري [1588]على أبيه محمّد بن أبي بكر .

سلام على أهل طاعة الله . أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه ، وما أصفى [1589]به نبيّه مع كلام كثير ألفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت فيه حقّ ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله ، ونصرته له ، ومواساته إيّاه ، في كلّ هول وخوف ، فكان احتجاجك عليّ ، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك ، فاحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك ، وجعله لغيرك ، فقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نعرف حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا .

فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده ، وأتمّ له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأفلج حجّته [1590]، قبضه الله إليه فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه [1591]، وخالفه على أمره ، على ذلك اتّفقا واتّسقا ، ثمّ إنّهما دعواه إلى أنفسهما فأبطأ عنهما ، فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ـ أي القتل ـ .

ثمّ إنّه بايعهما وسلّم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرّهما حتّى قبضا وانقضى أمرهما ثمّ أقاما بعدهما عثمان يهتدي بهديهما ، ويسير بسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك ، حتّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي ، وبطنتما وظهرتما ، وكشفتما له عداوتكما وغلّكما ، حتّى بلغتما منه مناكما .

فخذ حذرك يابن أبي بكر ، فسترى وبال أمرك ، وقس شبرك بفترك ، تقصر عن أن توازي أو تساوي من يزن الجبال حلمه ، ولا تلين على قسر [1592] قناته ، ولا يدرك ذو مدى أناته ، أبوك مهّد له مهاده ، وبنى ملكه وشاده ، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله ، وإن يك جوراً فأبوك أسّه ، ونحن شركاؤه ، فبهديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ، ولسلّمنا إليه ، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا ، فاحتذينا مثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعب أباك بما بدا لك ، أو دع ، والسلام على من أناب ورجع من غوايته وتاب وناب [1593]».

وهاتان الرسالتان خطيرتان للغاية تبيّن حقّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام)الساطع في سماء الدنيا والمشهور في صفوف المؤمنين والمنافقين . وغلبة رجال السقيفة على خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) دون حقّ ولا إنصاف .

وسوف تبقى هاتان الرسالتان في ذهن المخلصين مناراً للهداية في الدنيا .

شهادة محمّد بن أبي بكر

وبعد ما أصبح محمّد والياً لمصر قامت قيامة معاوية فأرسل جيشاً بقيادة ابن العاص لاحتلالها ، والتحم الجيشان ، فانهزم أهل الشام ، فاستنجد ابن العاص بمعاوية فأمدّه بجيش جرّار بقيادة معاوية بن خُديج ، ودارت بين الجيشين معركة رهيبة استشهد فيها القائد العام لجيش محمّد ، وعلى أثره انهزم الجيش وفرّ محمّد ، ولم يجد ركناً شديداً يأوي إليه ، فالتجأ إلى خربة فأقام فيها ، وخرج ابن خُديج في طلبه ، فأخبره بعض علوج المصريين أنّه في الخربة فهجم عليه ، وألقى عليه القبض ، وقد بلغ منه العطش مبلغاً عظيماً ، فطلب الماء فردّ عليه السقّاك الأثيم ابن خديج قائلا :

لا سقاني الله إن سقيتك قطرة ، إنّكم منعتم عثمان الماء ، ثمّ قتلتموه وكان صائماً ، والله ! لأقتلنّك يابن أبي بكر فيسقيك الله الجحيم ... .

وتمثّلت الروح الأُموية القذرة التي تحمل طبيعة وخسّة الأشرار بهذا الإنسان الممسوخ الذي منع الماء عن أسير عنده ، والتفت إليه البطل قائلا :

يابن اليهودية النسّاجة ! ... أما والله ! لو كان سيفي بيدي ما بلغتم بي هذا .

والتفت ابن خديج إلى محمّد قائلا :

أتدري ما أصنع بك ، أُدخلك في جوف حمار ثمّ أُحرقه عليك بالنار .

وأجابه البطل المؤمن : إن فعلتم ذلك بي فطالما فعلتموه بأولياء الله .

وطال الجدل بينهما فانبرى ابن خديج فانفذ فيه حكم الاعدام وألقى جسده الطاهر في جيفة حمار ميّت وأحرقه بالنار بعد أن احتزّ رأسه الشريف ، وأرسله هدية إلى ابن آكلة الأكباد سيّده معاوية ، وهو أوّل رأس طيف به في الإسلام [1594].

ومدحه الإمام علي (عليه السلام)مدحاً يبيّن منزلته العالية والسامية فقال : لقد كان لي حبيباً وكان لي ربيباً [1595]. وكان معاوية بن خديج والوليد بن عقبة وكعب الأحبار من اليهود العاملين في جهاز معاوية يكيدون الإسلام .

ابن أبي بكر وابن أبي سفيان مثالان للطهر والعهر

العوائل المهاجرة إلى المدينة المنوّرة عاشت في كنف النبي (صلى الله عليه وآله) الأطهر عشر سنين كاملة تنهل من حكمته وأخلاقه وشريعته فارتوت بعضها واهتدت إلى شاطئ الهداية وعرفت باب الرحمة (أهل البيت) وركبت سفينتهم السماوية وأكثر هؤلاء من غير القرشيين الأصليين مثل المقداد بن عمرو وعمّار بن ياسر وسلمان الفارسي .

والركب الثاني من المهاجرين لم يكونوا من القرشيين الأصليين أيضاً مثل أبي بكر وعمر فهما من النسل الحبشي لكنّهم بقوا في الحزب

القرشي ولد الأوّل في مؤسّسة عبدالله بن جدعان المعروفة وولد فيها أيضاً طلحة بن عبيدالله من أُمّه الصعبة المشهورة وولد في هذه المؤسّسة أيضاً عمرو بن العاص من أُمّه النابغة . وولد في هذه المؤسّسة صهيب الرومي .

وكان الوليد بن المغيرة المخزومي وعبدالله بن أُبي زعيم المنافقين في المدينة يجبران جواريهما على الزنا لكسب المال فنزل القرآن بتحريم عملهما في هذا المجال .

ومن خلال التربية البيئية والمحيطية تأثّر أولاد المهاجرين والأنصار فنشأ بعضهم على نسيج آبائهم وتوجّهاتهم مثل عبدالرحمن بن أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وعبدالله وعبيدالله ابنا عمر وعمر بن سعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري ومحمّد بن طلحة بن عبيدالله (قتل مع أبيه في معركة الجمل) والنعمان بن بشير بن سعد .

وخالف بعض الأولاد آباءهم واختطّوا طريق الفلاح والصلاح بارتباطهم الوثيق بمحمّد وأهل بيته مثل محمّد بن أبي بكر ومعاوية بن يزيد بن معاوية الذي تنازل عن سلطة بني أُميّة المغصوبة من أهل بيت العصمة (عليهم السلام) فأصبح محمّد ومعاوية هذان مشعلان يضيئان الدرب لشباب الأُمّة ، وقدوتان تتأسّى بهما جموع الجماهير .

ولم يخلد في ذهن معاوية تنكّر حفيده معاوية الثاني لمنهجه وحروبه وحكومته التي أقامها على جماجم المؤمنين ودماء المتّقين .

فتوضّح للعالم منهجان واضحان في الصحابة وأولادهم يتدبّر في رسومه المسلمون فمنهم من يجيد السير على خطى المتّقين ومنهم من يجيد المشي على درب الفاسقين .

فلا أحد يتأسّى ولا شخص يحزن على من انتخب مشروع الشياطين وسار في ضفاف الفاسقين وحطّ في عشّ الخائنين .

ولا شخص يدهش على من فارق آباءه الخلفاء وترك كرسي الزعامة من أجل الحياة الآخرة والرضاية الإلهية والنظرية الأخلاقية الحضارية .

رسالة الإمام إلى محمّد بن أبي بكر

إنّ محمّد بن أبي بكر لمّا بلغه أنّ علياً (عليه السلام) قد وجّه الأشتر إلى مصر شقّ عليه ، فكتب علي (عليه السلام) عند مهلك الأشتر إلى محمّد بن أبي بكر ـ وذلك حين بلغه موجدة [1596] محمّد بن أبي بكر لقدوم الأشتر عليه ـ :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر ، سلام عليك . أمّا بعد ، فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشتر إلى عملك ، ولم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهاد ، ولا استزادة لك منّي في الجدّ ، ولو نزعت ما حوت يداك من سلطانك لولّيتك ما هو أيسر مؤونة عليك ، وأعجب ولاية إليك ، إلاّ أنّ الرجل الذي كنت ولّيته مصر كان رجلا لنا مناصحاً ، وعلى عدوّنا شديداً ، فرحمة الله عليه ، وقد استكمل أيّامه ، ولاقى حِمامه ، ونحن عنه راضون ، فرضي الله عنه ، وضاعف له الثواب ، وأحسن له المآب ، فأصحِر لعدوّك ، وشمّر للحرب ، وادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأكثِر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفِك ما أهمّك ، ويُعِنك على ما ولاّك ، أعاننا الله وإيّاك على ما لا ينال إلاّ برحمته . والسلام [1597].

بعد قضية الحكمين اهتمّ معاوية بمصر اهتماماً فائقاً فأراد الإمام علي (عليه السلام)مواجهة هذا الطموح بقائده المنتصر مالك الأشتر ، ولافريقيا أهميّة كبيرة سابقاً وحاضراً على الأحداث وكان الفرق بيّناً بين شخصية مالك الأشتر ومحمّد بن أبي بكر . فالأشتر أُمّة في رجل .

ولو تمكّن الأشتر من الوصول إلى مصر وتحكيم سلطته فيها لتمكّن الإمام علي (عليه السلام)من محاصرة معاوية ، وتسريح الجيوش المصرية إليه .

جواب محمّد بن أبي بكر

فكتب إليه (عليه السلام)محمّد بن أبي بكر جوابه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله أمير المؤمنين علي من محمّد بن أبي بكر ، سلام عليك . فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد ، فقد انتهى إليّ كتاب أمير المؤمنين ، وفهمته ، وعرفت ما فيه ، وليس أحد من الناس أشدّ على عدوّ أمير المؤمنين ولا أرأف وأرقّ لوليّه منّي ، وقد خرجت فعسكرت وأمّنت الناس ، إلاّ من نصب لنا حرباً ، وأظهر لنا خلافاً . وأنا متّبع أمر أمير المؤمنين ، وحافظه ، ولاجئ إليه ، وقائم به ، والله المستعان على كلّ حال . والسلام [1598].

هجوم ابن العاص على مصر

هجم ابن العاص في ستّة آلاف رجل على مصر وكتب إلى محمّد بن أبي بكر : أمّا بعد ، فتنحّ عنّي بدمك يابن أبي بكر فإنّي لا أُحبّ أن يصيبك منّي ظفر ، إنّ الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتّباعك ، فهم مسلّموك لو قد التقت حلقتا البطان [1599]، فاخرج منها فإنّي لك من الناصحين ، والسلام . وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه :

أمّا بعد ، فإنّ غبّ البغي والظلم عظيم الوبال ، وإنّ سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا ومن التبعة الموبقة في الآخرة ، وإنّا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً ولا أسوأ له عيباً ولا أشدّ عليه خلافاً منك ، سعيت عليه في الساعين وسفكت دمه في السافكين ، ثمّ أنت تظنّ أنّي عنك نائم أو ناس لك حتّى تأتي فتأمّر على بلاد أنت فيها جاري ، وجلّ أهلها أنصاري يرون رأيي ويرقبون قولي ويستصرخوني عليك ، وقد بعثت إليك قوماً حِناقاً عليك يستسقون دمك ويتقرّبون إلى الله بجهادك ، وقد أعطوا الله عهداً ليمثُلُنّ بك ، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذّرتك ولا أنذرتك ، ولأحببت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان يوم يُطعن بمشاقصك بين خُشَشائه [1600]وأوداجه ، ولكن أكره أن أمثّل بقرشي ، ولن يُسلمك الله من القصاص أبداً أينما كنت . والسلام [1601].

وكان عمرو بن العاص يطمع في مصر قديماً لذا اشترط على معاوية اعطائها له طعمة له ولأولاده من بعده مقابل مشاركته في الحرب إلى جانبه .

فوافق معاوية على هذا الشرط [1602].

لذا تحرّك ابن العاص إلى مصر برغبة جامحة مرتكباً في هذا كلّ الدسائس والحيل الشيطانية ، فوعد رموز مصر المال والمناصب لينضمّوا إلى صفوفه !

ابن أبي بكر يطلب النجدة

فطوى محمّد كتابيهما وبعث بهما إلى علي ، وكتب معهما : أمّا بعد ، فإنّ ابن العاص قد نزل أداني أرض مصر ، واجتمع إليه أهل البلد جلّهم ممّن كان يرى رأيهم ، وقد جاء في جيش لجب خرّاب ، وقد رأيت ممّن قِبلي بعض الفشل ، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال والأموال . والسلام عليك [1603].

رسالة الإمام (عليه السلام) الجوابية

فكتب إليه علي (عليه السلام): أمّا بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر أنّ ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصر في لجب من جيشه خرّاب ، وأنّ من كان بها على مثل رأيه قد خرجت إليه ، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك ، وذكرت أنّك قد رأيت في بعض من قبلك فشلا ، فلا تفشل وإن فشلوا فحصّن قريتك ، واضمم إليك شيعتك واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس ، فإنّي نادب إليك الناس على الصعب والذلول ، فاصبر لعدوّك وامض على بصيرتك وقاتلهم على نيّتك وجاهدهم صابراً محتسباً ، وإن كانت

فنتك أقلّ الفئتين فإنّ الله قد يُعزّ القليل ويخذل الكثير .

وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية والفاجر ابن الكافر عمرو ، المتحابّين في عمل المعصية والمتوافقين المرتشيين في الحكومة ، المنكرين في الدنيا ، قد استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم ، فلا يهلك إرعادهما وإبراقهما ، وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله ، فإنّك تجد مقالا ما شئت . والسلام [1604].

دعوة الناس لإنقاذ مصر

بعد ذكر استصراخ محمّد بن أبي بكر قال الإمام علي (عليه السلام) : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على محمّد (صلى الله عليه وآله)، ثمّ قال :

أمّا بعد ، فإنّ هذا صريخ محمّد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله ، ووليّ من عادى الله ، فلا يكوننّ أهل الضلال إلى باطلهم ، والركون إلى سبيل الطاغوت أشدّ اجتماعاً منكم على حقّكم هذا ، فإنّهم قد بدأوكم وإخوانكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر .

عباد الله ! إنّ مصر أعظم من الشام ، أكثر خيراً ، وخير أهلا ، فلا تغلبوا على مصر ، فإنّ بقاء مصر في أيديكم عزّ لكم ، وكبت لعدوّكم ، اخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة [1605]والكوفة ، فوافوني بها هناك غداً إن شاء الله .

قال : فلمّا كان من الغد خرج يمشي ، فنزلها بكرة ، فأقام بها حتّى انتصف النهار يومه ذلك ، فلم ياته منهم رجل واحد ، فرجع . فلمّا كان من العشي بعث إلى أشراف الناس ، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب ، فقال :

الحمد لله على ما قضى من أمري وقدّر من فعلي وابتلاني بكم أيّتها الفرقة ; ممّن لا يطيع إذا أمرت ولا يجيب إذا دعوت ، لا أباً لغيركم ! ما تنتظرون بصبركم والجهاد على حقّكم ! الموت والذلّ لكم في هذه الدنيا على غير الحقّ ، فوالله ، لئن جاء الموت ـ وليأتينّ ـ ليفرّقنّ بيني وبينكم ، وأنا لصحبتكم قال وبكم غير ضنين ، لله أنتم لا دين يجمعكم ولا حميّة تحميكم ، إذا أنتم سمعتم بعدوّكم يردّ بلادكم ويشنّ الغارة عليكم ، أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة ، ويجيبونه في السنة المرّتين والثلاث إلى أي وجه شاء ، وأنا أدعوكم ـ وأنتم أُولو النهى وبقية الناس ـ على المعونة وطائفة منكم على العطاء ، فتقومون عنّي وتعصونني وتختلفون عليَّ ؟

فقام إليه مالك بن كعب الهمداني ثمّ الأرحبي فقال :

ياأمير المؤمنين اندب الناس فإنّه لا عطر بعد عروس [1606]، لمثل هذا اليوم كنت أدّخر نفسي ، والأجر لا يأتي إلاّ بالكرّة . اتّقوا الله وأجيبوا إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوّه ، أنا أسير إليها ياأمير المؤمنين .

قال : فأمر علي (عليه السلام)مناديه سعداً فنادى في الناس : ألا انتدبوا إلى مصر مع مالك بن كعب . ثمّ إنّه خرج وخرج معه علي (عليه السلام)فنظر فإذا جميع من خرج نحو ألفي رجل .

فقال : سِر فوالله ، ما أخالك تدرك القوم حتّى ينقضي أمرهم . قال : فخرج بهم فسار خمساً . ثمّ بلغ الإمام (عليه السلام) انتصار ابن العاص وقتل محمّد بن أبي بكر فسرّح علي عبدالرحمن بن شريح إلى مالك بن كعب فردّه من الطريق [1607].

ولو تحرّك الناس مع الإمام علي (عليه السلام) إلى الحرب وهدّدوا الشام مثلما أراد الإمام لما تمكّن ابن العاص من تهديد مصر ، والتفوّق على أنصار أمير المؤمنين (عليه السلام)هناك .

شهادة محمّد بن أبي بكر

كان محمّد بن أبي بكر ربيباً للإمام علي (عليه السلام) من زوجته أسماء بنت عميس الخثعمية . فتربّى محمّد في حضن أمير المؤمنين (عليه السلام) تربية عالية فكان مثالا للمؤمن المخلص . وقد عزل الإمام قيس بن سعد بن عبادة عن ولاية مصر سنة 36هـ وعيّن محمّداً بدلا عنه [1608].

وكانت مصر منقسمة على نفسها ففيها بعض القبائل مع هوى عثمان بن عفّان وقوّات محمّد في مصر قليلة والقبائل اليمنية هناك قوية . فأرسل معاوية عمرو بن العاص في ثمانية آلاف من المحاربين فتحوّلت الكفّة إلى جانبه في حين كان ابن أبي بكر في الفي مقاتل فانتصرت القوّات الأُموية وأُسر محمّد بن أبي بكر [1609].

وجرت محاورة بين ابن أبي بكر الأسير ومعاوية بن خديج السكوني فهدّده السكوني اليهودي بالموت فقال محمّد : إنّي لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله عليَّ برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه ، إنّ الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك ـ يعني معاوية وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تلظّى عليكم ، كلّما خبت زادها الله سعيراً ، قال له معاوية : إنّي إنّما أقتلك بعثمان .

قال له محمّد : وما أنت وعثمان ؟ إنّ عثمان عمل بالجور ، ونبذ حكم القرآن ، وقد قال الله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ) [1610].

فنقمنا ذلك عليه فقتلناه ، وحسّنت أنت له ذلك ونظراؤك ، فقد برّأنا الله إن شاء الله من ذنبه ، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه ، وجاعلك على مثاله .

قال : فغضب معاوية فقدّمه فقتله ، ثمّ ألقاه في جيفة حمار ، ثمّ أحرقه بالنار ، فلمّا بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً ، وقنتت عليه في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، ثمّ قبضت عيال محمّد إليها ، فكان القاسم بن محمّد بن أبي بكر في عيالها [1611].

ورأي محمّد بن أبي بكر في عثمان يبيّن حقيقة الموقف الإسلامي في عثمان وصحبه . فمات ابن أبي بكر مدافعاً عن الحقّ وورعاً في دين الله تعالى .

حزن الإمام على مقتل ابن أبي بكر

قال علي (عليه السلام): رحم الله محمّداً ، كان غلاماً حدثاً ، أما والله ، لقد كنت أردت أن أُولّي المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص مصر ، والله ، لو أنّه وليها لما خلّى لعمرو بن العاص وأعوانه العرصة ، ولمّا قتل إلاّ وسيفه في يده ، بلا ذمّ لمحمّد بن أبي بكر فلقد أجهد نفسه وقضى ما عليه .

قال : فقيل لعلي (عليه السلام): لقد جزعت على محمّد بن أبي بكر جزعاً شديداً ياأمير المؤمنين ! قال : وما يمنعني ؟ إنّه كان لي ربيباً وكان لبنيّ أخاً ، وكنت له والداً أعدّه ولداً [1612].

وقد امتنع أبو بكر في حكومته من إرسال أي شخص من بني هاشم حقداً منه عليهم . لكن الإمام علياً (عليه السلام)لا يهتم بالنعرات الجاهلية والنعرات الحزبية والقبلية فأرسل محمّد بن أبي بكر والياً على افريقيا .

أسباب مروق الخوارج من الدين ؟
الباب الثاني سيرة الخوارج المتأرجحة

الفصل الاول : مروق الخوارج من الدين ؟

صرح ان خلكان ان عكرمة كان يرى رأي الخوارج وصاحب الملل الشهرستاني لما عدد الخوارج ابتدأ بعكرمة مولى عبد الله بن عباس [1613] ، وعمران بن حطان الشاعر [1614].

قال ابن حجر في فتح الباري : (إنه يرى رأي الخوارج ، وكان عمران داعية إلى مذهبه ، وهو الذي رثى عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله قاتل علي (عليه السلام)بتلك الابيات ، وقد وثقه العجلي) [1615] . وقال السمعاني في الانساب : (إنه كان مفتي الخوارج) .

وقال عبد الحق الدهلوي في رجال مشكاة المصابيح في ترجمته :

كان من الخوارج ومدح ابن ملجم لعنه الله وروى عن عمرو ، وأبي موسى ، وأبي ذر رضي الله عنه . وروى عن البخاري وأبو داود ، والنسائي ، وهو القائل في مدح ابن ملجم يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا إني لاذكره يوما وأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاناً .

ومنهم : نجدة الحروري الذي ينقل عنه البخاري في كتاب الجهاد . قال الجزري في جامع الاصول : (حروراء قرية في ظهر الكوفة كان أول اجتماع الخوارج فيها ، وكان رئيس الخوارج فيها نجدة الحروري) . ومنهم : جرير بن عثمان الحمصي

المعروف بالنصب ، والعداوة ، والسب لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) [1616] .

القائل لا أحب عليا ، قتل آبائي في صفين ، وهو القائل : لنا إمامنا ـ يعني معاوية لعنه الله ـ ولكم إمامكم ـ يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) . قال الذهبي في لسان الميزان [1617] . (هو من رجال البخاري ، وهو ثقة ، وقالوا إنه ناصبي . ويزيد بن هارون ، رأى الله تعالى في منامه وقال له : لا يكتب حديث جرير بن عثمان كيف يسب علياً) .

ومنهم سمرة بن جندب قال في رجال المشكاة . (كان حروريا خارجيا) .

ومنهم : المغيرة بن شعبة وحاله أعرف ما يكون ، شريب ، فاسق ، معلن بالفسق ، من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) [1618] .

ومنهم : الوليد بن كثير المدني [1619] ،

وإسحاق بن سويد العدوي [1620]والحصين الواسطي [1621] وعبد الله بن سالم الاشعري [1622]وقيس بن أبي حازم [1623] وكل هؤلاء من النواصب والخوارج ، كما نص عليه جماعة ، منهم ابن حجر في التقريب وفتح الباري فراجع . ومنهم : أبو موسى الاشعري المعروف بالكذب . وقد روى مسلم في صحيحه [1624]في باب (الاستئذان ثلاثا) بطرق عديدة أن عمر لم يقبل روايته وطلب منه البينة على إخباره .

قالت عائشة عن الخوارج : قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخوارج : هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم إلى الله وسيلة [1625] .

وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتل ذي الثدية حرقوص بن زهير التميمي [1626] .

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذي الثدية : يخرج من ضئضي هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلهم الله على يدي أحب الخلق إليه من بعدي فقتله أمير المؤمنين علي (عليه السلام) [1627] .

بداية تجمّع الخوارج

إنّ علياً لمّا بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبدالله بن وهب الراسبي ، فحمد الله عبدالله بن وهب وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا ـ التي الرضا بها والركون بها والإيثار إيّاها عناء وتبار ـ آثر عندهم من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بالحقّ ، وإن منّ وضُرّ فإنّه من يمنّ ويُضرّ في هذه الدنيا فاثنّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله عزّوجلّ والخلود في جنّاته . فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها

إلى بعض كور الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلّة .

فقال له حرقوص بن زهير : إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإنّ الفراق لها وشيك ، فلا تدعونّكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنّكم عن طلب الحقّ ، وإنكار الظلم ، فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون .

فقال حمزة بن سنان الأسدي : ياقوم ! إنّ الرأي ما رأيتم ، فولّوا أمركم رجلا منكم ، فإنّه لابدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها ، وترجعون إليها . فعرضوها على زيد بن حصين الطائي ، فأبى ، وعرضوها على حرقوص بن زهير ، فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي ، فأبيا ، وعرضوها على عبدالله بن وهب ، فقال : هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها فَرَقاً [1628] من الموت . فبايعوه لعشر خلون من شوّال ، وكان يقال له : ذو الثفنات .

ثمّ اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقال ابن وهب : اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله ، فإنّكم أهل الحقّ .

قال شريح : نخرج إلى المدائن فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ، ونخرج منها سكّانها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا .

فقال زيد بن حصين : إنّكم إن خرجتم مجتمعين اتُّبعتم ، ولكن اخرجوا وحداناً مستخفين ، فأمّا المدائن فإنّ بها من يمنعكم ، ولكن سيروا حتّى تنزلوا جسر النهروان وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرأي .

وكتب عبدالله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثّهم على اللحاق بهم ، وسيّر الكتاب إليهم ، فأجابوه أنّهم على اللحاق به .

فلمّا عزموا على المسير تعبّدوا ليلتهم ; وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، وساروا يوم السبت ، فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى : (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) [1629]- [1630].

بعد العودة من حرب صفّين خرج الخوارج من جنده (عليه السلام) إلى حروراء ، فنزل بها منهم إثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديهم : إنّ أمير القتال شبث بن ربعي التميمي ، وأمير الصلاة عبدالله بن الكوّا اليشكري ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عزّوجلّ ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

فلمّا سمع علي (عليه السلام)ذلك وأصحابه قامت الشيعة ، فقالوا له : في أعناقنا بيعة ثانية ، نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت .

فقالت الخوارج : استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان [1631]; بايع أهل الشام معاوية على ما أحبّوا وكرهوا ، وبايعتم أنتم علياً (عليه السلام) على أنّكم أولياء من والى ، وأعداء من عادى .

فقال لهم زياد بن النضر : والله ، ما بسط علي (عليه السلام) يده فبايعناه قطّ إلاّ على كتاب الله ، وسنّة نبيّه ، ولكنّكم لمّا خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له : نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت ، ونحن كذلك ، وهو على الحقّ والهدى ، ومن خالفه ضالّ مضلّ [1632].

وقد تفرّق أهل صفّين حين حكّم الحكمان ... فلمّا انصرف علي (عليه السلام) خالفت الحرورية وخرجت ـ وكان ذلك أوّل ما ظهرت ـ فآذنوه بالحرب ، وردّوا عليه أنّ حكم بني آدم في حكم الله عزّوجلّ ، وقالوا : لا حكم إلاّ لله سبحانه ! [1633].

قول النبي (صلى الله عليه وآله) في الخوارج

قال النبي (صلى الله عليه وآله) : لا يقوم بدين الله إلاّ من حاطه من جميع جوانبه [1634].

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) : إيّاكم والتعمّق في الدين فإنّ الله تعالى قد جعله سهلا فخذوا منه ما تطيقون ، فإنّ الله يحبّ ما دام من عمل صالح وإن كان يسيراً [1635].

وخالف الخوارج الإستقامة وعاثوا في الأرض الفساد بجهلهم وطيشهم .

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) عن الخوارج : « كلّما قطع منهم قرن نشأ قرن ثمّ يخرج في بقيّتهم الدجّال » [1636].

لذا هدى الله تعالى إلى العقل قائلا : ما قسّم الله تعالى للعباد شيئاً أفضل من العقل ، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل ، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل » [1637].

مقتل ابن خباب وامرأته وهي حبلى

دخل الخوارج قرية ، فخرج عبدالله بن خبّاب ، ذعراً يجرّ رداءه ، فقالوا : لم تُرَعْ ؟ قال : والله لقد رعتموني !

قالوا : أنت عبدالله بن خبّاب صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

قال : نعم . قالوا [1638]: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدّثه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)تحدّثناه ؟

قال : نعم ، سمعته يحدّث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، قال : فإن أدركت ذلك فكُن عبدالله المقتول ـ قال أيّوب : ولا أعلمه إلاّ قال : ولا تكن عبدالله القاتل ـ .

قالوا : أأنت سمعت هذا من أبيك يحدّثه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

قال : نعم .

قال : فقدّموه على ضفّة النهر ، فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنّه شراك نعل ما ابذقرّ [1639]، وبقروا أُمّ ولده عمّا في بطنها [1640].

زهد الخوارج الخاوي

قال الإمام السجّاد علي بن الحسين (عليهما السلام) : « إذا رأيتم الرجل قد حَسُن سمته وهديه ، وتماوَت في منطقه ، وتخاضع في حركاته ، فرويداً لا يغرنّكم ; فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف نيّته ، ومهانته ، وجبن قلبه ; فنَصَبَ الدين فخّاً لها ، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره ; فإن تمكّن من حرام اقتحمه . وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام فرويداً لا يغرنّكم ; فإنّ شهوات الخلق مختلفة ; فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر ، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرّماً ، فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك فرويداً لا يغرّكم حتّى تنظروا ما عقده عقله ، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ، ثمّ لا يرجع إلى عقل متين ، فيكون ما يفسده بجهله أكثر ممّا يصلحه بعقله ، فإذا وجدتم عقله متيناً ، فرويداً لا يغرّكم حتّى تنظروا : أمع هواه يكون على عقله ، أو يكون مع عقله على هواه ؟ وكيف محبّته للرئاسات الباطلة وزهده فيها ؟ فإنّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا ، ويرى أنّ لذّة الرئاسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنعم المباحة المحلّلة ، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة الباطلة ، حتّى إذا قيل له : اتّق الله ، أخذته العزّة بالإثم ، فحسبه جهنّم ، ولبئس المهاد ; فهو يخبط خبط عشواء ، يقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة ، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه ، فهو يُحلّ ما حرّم الله ، ويُحرّم ما أحلّ الله ، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد شقي من أجلها ، فأُولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً .

ولكن الرجل كلّ الرجل نِعْمَ الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله ، وقواه مبذولة في رضى الله ، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل ، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد ، وأنّ كثير ما يلحقه من سرّائها إن اتّبع هواه يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال ، فذلكم الرجل نِعْم الرجل ، فيه فتمسّكوا وبسنّته فاقتدوا وإلى ربّكم به فتوسّلوا ; فإنّه لا تردّ له دعوة ، ولا تخيب له طلبة » [1641].

فزهد الإنسان لا يدلّ على ماهيته وشخصيته بل للشخصية الحضارية الإسلامية صفات راقية عديدة إذ قال النبي (صلى الله عليه وآله) : الدين المعاملة والدين الأخلاق والخوارج مرقوا من الدين بقتلهم الأبرياء وعدم احترامهم للعقود والعهود ، وبيعتهم لوصي المصطفى من

العقود .

وقال الإمام علي (عليه السلام)فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخرون كأنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [1642]. بلى والله ، لقد سمعوها ووعوها ، ولكنّهم حَلِيَت الدنيا في أعينهم ، وراقهم زِبرِجُها [1643].

ولنا أن نلمس هذه الحقيقة بوضوح في تصوير شامل للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)يتحدّث فيه عن أصناف الناس في عصره ، قال (عليه السلام) :

« ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامَنَ من شخصه ، وقارَبَ من خَطوه ، وشمّر من ثوبه ، وزخرف من نفسه للأمانة واتّخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية » [1644].

وقال مالك الأشتر للخوارج : « ياأصحاب الجباه السود ! كنّا نظنّ صلاتكم زهادة في الدنيا ، وشوقاً إلى لقاء الله عزّوجلّ ، فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت ، ألا قبحاً ياأشباه النِّيْب الجلاّلة » [1645].

آية الخوارج رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ولمّا قاتلهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)أمر بذلك الرجل فالْتمِس ، فأُتي به حتّى نظرت إليه على نعت النبي (صلى الله عليه وآله)الذي نعته [1646].

ويروى أنّ رجلا أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله (صلى الله عليه وآله)وهو يقسّم غنائم خيبر ـ ولم تكن إلاّ لمن شهد الحديبية ـ فأقبل ذلك الأسود على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال : ما عدلت منذ اليوم !

فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى روّي الغضب في وجهه ، فقال عمر بن الخطّاب : ألا أقتله يارسول الله ؟

فقال : إنّه سيكون لهذا ولأصحابه نبأ .

قال أبو العبّاس : وفي حديث آخر : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال له : ويحك ! فمن يعدل إذا لم أعدل ؟

ثمّ قال لأبي بكر : اقتله ، فمضى ثمّ رجع ، فقال : يارسول الله ، رأيته راكعاً .

ثمّ قال لعمر : اقتله ، فمضى ثمّ رجع ، فقال : يارسول الله ، رأيته ساجداً .

ثمّ قال لعلي : اقتله ، فمضى ثمّ رجع ، فقال : يارسول الله ، لم أرَه [1647].

وكان حرقوص على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإذا رجع وحطّ عن راحلته ، عمد إلى مسجد الرسول ، فجعل يُصلّي فيه فيطيل الصلاة ، حتّى جعل بعض أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) يرون أنّ له فضلا عليهم . فمرّ يوماً ورسول الله (صلى الله عليه وآله)قاعد في أصحابه . فقال له بعض أصحابه : يانبي الله ، ذاك الرجل فأرسل إليه نبي الله (صلى الله عليه وآله)، فلمّا رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقبلا قال : والذي نفسي بيده إنّ بين عينيه سفعة [1648]من الشيطان . فلمّا وقف على المجلس قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أقلت في نفسك حين وقفت على المجلس : ليس في القوم خير منّي ؟

قال : نعم [1649]!

رسالة الإمام (عليه السلام) إلى الخوارج

«بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين ، وعبدالله بن وهب ، ومن معهما من الناس .

أمّا بعد ، فإنّ هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله ، واتّبعا أهواءهما بغير هدىً من الله ، فلم يعملا بالسنّة ، ولم يُنفذا للقرآن حكماً ، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون ، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبِلوا ; فإنّا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم ، ونحن على الأمر الأوّل الذي كنّا عليه . والسلام ».

وكتبوا إليه : أمّا بعد ، فإنّك لم تغضب لربّك ، إنّما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلاّ فقد نابذناك على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين .

فلمّا قرأ كتابهم آيس منهم ، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتّى يلقاهم فيناجزهم [1650].

وبعث علي (عليه السلام)إلى الخوارج أن سيروا إلى حيث شئتم ، ولا تفسدوا في الأرض ; فإنّي غير هائجكم ما لم تحدثوا حدثاً .

فساروا حتّى أتوا النهروان ، وأجمع علي (عليه السلام) على إتيان صفّين ، وبلغ معاوية فسار حتّى أتى صفّين .

وكتب علي (عليه السلام)إلى الخوارج ـ بالنهروان ـ : أمّا بعد ، فقد جاءكم ما كنتم تريدون ، قد تفرّق الحكمان على غير حكومة ولا اتّفاق ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه ، فإنّي أُريد المسير إلى الشام .

فأجابوه : أنّه لا يجوز لنا أن نتّخذك إماماً وقد كفرت حتّى تشهد على نفسك بالكفر ، وتتوب كما تبنا ، فإنّك لم تغضب لله ، إنّما غضبت لنفسك .

فلمّا قرأ جواب كتابه إليهم يئس منهم ، فرأى أن يمضي من معسكره بالنخيلة وقد كان عسكر بها حين جاء خبر الحكمين إلى الشام ، وكتب إلى أهل البصرة في النهوض معه [1651].

وصول عسكر الإمام إلى النخيلة

لمّا قرأ علي كتابهم يئس منهم ، ورأى أن يدعهم على حالهم ، ويسير إلى الشام ; ليعاود معاوية الحرب ، فسار بالناس حتّى عسكر بالنخيلة ، وقال لأصحابه : تأهّبوا للمسير إلى أهل الشام ، فإنّي كاتب إلى جميع إخوانكم ليقدموا عليكم ، فإذا وافوا شخَصنا إن شاء الله .

ثمّ كتب كتابه إلى جميع عمّاله أن يخلّفوا خلفاءهم على أعمالهم ، ويقدموا عليه [1652].

ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هُلْكِه ، إلاّ أن يتداركه الله بنعمة ، فاتّقوا الله ، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاول أن يطفئ نور الله ، قاتلوا الخاطئين الضالّين القاسطين المجرمين ، الذين ليسوا بقرّاء للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام . والله ، لو ولَوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل ; تيسّروا وتهيّؤوا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قدموا فاجتمعتم شخَصنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

وكتب علي إلى عبدالله بن عبّاس ـ مع عتبة بن الأخنس بن قيس من بني سعد بن بكر ـ : أمّا بعد ، فإنّا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة ، وقد أجمعنا على المسير إلى عدوّنا من أهل المغرب ، فاشخص بالناس حتّى يأتيك رسولي ، وأقِم حتّى يأتيك أمري . والسلام [1653].

اضطرار الإمام (عليه السلام) لحرب الخوارج

نزل علي (عليه السلام)الأنبار [1654]، والتأمَت إليه العساكر ، فخطب الناس ، وحرّضهم على الجهاد ، وقال : سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قدماً ; فإنّهم طالما سعوا في إطفاء نور الله ، وحرّضوا على قتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن معه .

ألا إنّ رسول الله أمرني بقتال القاسطين ; وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم ، والناكثين ; وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم ، والمارقين ; ولم نلقَهم بعد .

فسيروا إلى القاسطين ; فهم أهمّ علينا من الخوارج ، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ، يتّخذهم الناس أرباباً ، ويتّخذون عباد الله خَولا [1655]، ومالهم دولا .

فأبوا إلاّ أن يبدؤوا بالخوارج ، فسار علي (عليه السلام) إليهم [1656].

وبلغ علياً (عليه السلام)أنّ الناس يقولون : لو سار بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجّهنا من وجّهنا ذلك إلى المحلّين . فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد فإنّه قد بلغني قولكم : لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجّهنا إلى المحلّين ، وإنّ غير هذه الخارجة أهمّ إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ملوكاً ، ويتّخذوا عباد الله خَولا .

فتنادى الناس من كلّ جانب : سِر بنا ياأمير المؤمنين حيث أحببت [1657].

ثمّ قام علي (عليه السلام)فيهم]أهل الكوفة [خطيباً ، فقال : أمّا بعد ، فقد بلغني قولكم : لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا ، فبدأنا بهم ، ألا أنّ غير هذه الخارجة أهمّ على أمير المؤمنين ، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الأرض جبّارين ملوكاً ، ويتّخذهم المؤمنون أرباباً ، ويتّخذون عباد الله خولا ، ودعوا ذكر الخوارج .

فنادى الناس من كلّ جانب : سِر بنا ياأمير المؤمنين حيث أحببت ، فنحن حزبك وأنصارك ; نعادي من عاداك ، ونشايع من أناب إليك وإلى طاعتك ، فسر بنا إلى عدوّك كائناً من كان ، فإنّك لن تؤتى من قلّة ولا ضعف ; فإنّ قلوب شيعتك كقلب رجل واحد في الاجتماع على نصرتك ، والجدّ في جهاد عدوّك ، فأبشر ياأمير المؤمنين بالنصر ، واشخص إلى أيّ الفريقين أحببت ، فإنّا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله ، تخاف من الله في خذلانك والتخلّف عنك شديد الوبال .

فبايعوه على التسليم والرضا ، وشرط عليهم كتاب الله وسنّة رسوله (صلى الله عليه وآله) [1658].

الفصل الثاني:معركة النهروان

الطريق إلى النهروان

وفي تلك الأيّام كان الخوارج يجدُّون في العبادة في جانب وقتل المؤمنين في جانب آخر .

فإراقة الدماء أصبح ديدنهم !! وانتهاك حرمة الإمام (عليه السلام) والمؤمنين أضحى هدفهم !

ذكر أنّ الخوارج قتلوا عبدالله بن خبّاب وامرأته ـ : وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أُمّ سنان الصيداوية ، فبلغ ذلك علياً (عليه السلام) ومن معه من المسلمين من قتلهم عبدالله بن خبّاب واعتراضهم الناس ، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه على وجهه ، ولا يكتمه .

فخرج حتّى انتهى إلى النهر ليسألهم ، فخرج القوم إليه فقتلوه . وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس ، فقام إليه الناس فقالوا : ياأمير المؤمنين علامَ تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا ؟! سر بنا إلى القوم ، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم سرنا إلى عدوّنا من أهل الشام .

وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فكلّمه بمثل ذلك ـ وكان الناس يرون أنّ الأشعث يرى رأيهم ; لأنّه كان يقول يوم صفّين أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله ، فلمّا أمر علياً بالمسير إليهم علم الناس أنّه لم يكن يرى رأيهم ـ فأجمع على ذلك ، فنادى بالرحيل [1659].

كان الأشعث طالباً للدنيا حريصاً عليها لا تهمّه الآخرة ولا تحكمه القوانين غير متورّع ولا متّقي . ويريد القضاء على دولة الإمام علي (عليه السلام) الحازمة في الدين ليصل إلى أهدافه الدنيوية . فكان يساعد الفتنة الخارجية والهجمة الأموية ليصل إلى غاياته !

زمن معركة النهروان

لم يمض على حرب صفّين سنة واحدة واندلعت حرب النهروان بين الخوارج والإمام علي (عليه السلام)واختلف في تاريخ حدوث هذه المعركة .

1 ـ سنة 37هـ [1660].

2 ـ سنة 38هـ [1661].

وأشار غيرهم إلى وقوعها سنة 39هـ [1662].

الرأي الثانى أقرب إلى الصواب ; والمؤرخون يؤيّدون هذا .

فالظاهر أنّها حدثت في شهر صفر [1663]سنة 38هـ ويرى البعض في شهر شعبان سنة 38هـ [1664] وأنّ شهر صفر سنة 38هـ هو الصحيح ; لأنّ التحيكم كان في شهر رمضان ، ثمّ جهّز الإمام جيشاً نحو الشام ، فواجه الإمام التمرّد الخارجي وانتصر عليه [1665].

أرض المعركة

وقعت الحرب في منطقة النهروان وهي أرض سهلية بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي [1666]على بعد أربعة فراسخ من بغداد [1667]. ففي المدائن يقع تجمّع الخوارج .

والمدائن عاصمة الفرس القديمة وفيها قبر العبد الصالح سلمان الفارسي .

تعداد القوّات المشاركة

كان جيش الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أكثر من ثمانية وستين الفاً [1668]. وأمّا جيش الخوارج فكان أربعة آلاف [1669]، أو ألفين وثمانمائة [1670].

جمع]الإمام علي (عليه السلام)[إليه رؤوس أهل الكوفة ، ورؤوس الأسباع ، ورؤوس القبائل ، ووجوه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : ياأهل الكوفة ! أنتم إخواني ، وأنصاري ، وأعواني على الحقّ ، وصحابتي على جهاد عدوّي المحلّين بكم أضرب المدبر ، وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم فلم يأتني منهم إلاّ ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينوني بمناصحة جليّة ، خليّة من الغشّ ، إنّكم مخرجنا إلى صفّين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإنّي أسألكم أن يكتب لي رئيس كلّ قوم ما في عشيرته من المقاتلة ، وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال ، وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثمّ يرفع ذلك إلينا .

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال : ياأمير المؤمنين سمعاً وطاعة ، وودّاً ونصيحة ، أنا أوّل الناس جاء بما سألت وبما طلبت .

وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نحواً من ذلك . وقام عدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك .

ثمّ إنّ الرؤوس كتبوا من فيهم ، ثمّ رفعوهم إليه ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم ، وألاّ يتخلّف منهم عنهم أحد ، فرفعوا إليه أربعين الف مقاتل ، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممّن أدرك ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ، وقالوا : ياأمير المؤمنين أمّا من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممّن قد بلغ الحلم وأطاق القتال فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوّة والجَلَد ، وأمرناهم بالشخوص معنا ، ومنهم ضعفاء وهم في ضياعنا وأشياء ممّا يصلحنا . وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة ، ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف ، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستّين ألفاً وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة ، وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفاً ومائتي رجل [1671].

وكان الخوارج أربعة آلاف ، فبقي مع عبدالله بن وهب منهم الفين وثمانمائة [1672].

زعامة جيش الإمام (عليه السلام)

القائد : الإمام علي (عليه السلام).

على الميمنة : حجر بن عدي الكندي .

على الميسرة : معقل بن قيس الرياحي .

على الخيّالة : أبو أيّوب الأنصاري .

على الرجّالة : أبو قتادة الأنصاري .

على أهل المدينة : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري [1673].

زعامة جيش الخوارج

القائد عبدالله بن وهب .

قائد الميمنة : زيد بن حصين .

قائد الميسرة : شريح بن أوفى العبسي .

قائد الخيّالة : حمزة بن سنان الأسدي .

قائد الرجّالة : حرقوص بن زهير السعدي [1674].

خطبة الإمام (عليه السلام) للخوارج

قال خارجي : لا حكم إلاّ لله . فسكت علي (عليه السلام) ، ثمّ قام آخر وآخر ، فلمّا أكثروا عليه قال : كلمة حقّ يراد بها باطل ، لكم عندنا ثلاث خصال : لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها ، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نبدؤكم بحرب حتّى تبدؤونا به ، وأشهد لقد أخبرني النبي الصادق عن الروح الأمين عن ربّ العالمين أنّه لا يخرج علينا منكم فرقة ـ قلّت أو كثرت إلى يوم القيامة ـ إلاّ جعل الله حتفها على أيدينا ، وأنّ أفضل الجهاد جهادكم ، وأفضل الشهداء مَن قتلتموه ، وأفضل المجاهدين من قتلكم ; فاعلموا ما أنتم عاملون ، فيوم القيامة يخسر المبطلون ، و (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) [1675]- [1676].

إنّ علياً (عليه السلام)خرج ذات يوم يخطب ، فإنّه لفي خطبته إذ حكّمت المحكمة في جوانب المسجد ، فقال علي (عليه السلام): الله اكبر ، كلمة حقّ يراد بها باطل ! إن سكتوا عمّمناهم ، وإن تكلّموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم .

فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال : الحمد لله غير مودّع ربّنا ، ولا مستغني عنه . اللهمّ ، إنّا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة في ديننا ; فإنّ إعطاء الدنيّة في الدين إدهان في أمر الله عزّوجلّ ، وذلّ راجع بأهله إلى سخط الله . ياعلي ، أبالقتل تخوّفنا ؟ أما والله ، إنّي لأرجو أن نضربكم بها عمّا قليل غير مصفحات ، ثمّ لتعلمنّ أيّنا أولى بها صليّاً . ثمّ خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم فأُصيبوا مع الخوارج بالنهر ، وأُصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة [1677].

ومن كلام له (عليه السلام)في الخوارج لمّا سمع قولهم : لا حكم إلاّ لله ـ : كلمة حقّ يراد بها باطل ! نعم ، إنّه لا حكم إلاّ لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلاّ لله ، وإنّه لابدّ للناس من أمير ; برّ أو فاجر ; يعمل في إمرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلّغ الله فيها الأجل ، ويجمع به الفيء ، ويقاتل به العدو ، وتأمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القويّ ، حتّى يستريح برّ ، ويستراح من فاجر [1678].

توبة بعض الخوارج بعد خطبة الإمام (عليه السلام)

الفتوح ـ بعد عودة عبدالله بن عبّاس من حروراء وإخباره الإمام بما جرى بينه وبين الخوارج ـ : ركب علي (عليه السلام)إلى القوم في مائة رجل من أصحابه ، حتّى وافاهم بحروراء ، فلمّا بلغ ذلك الخوارج ركب عبدالله بن الكوّاء في مائة رجل من أصحابه حتّى واقفه .

فقال له علي (عليه السلام): يابن الكوّاء إنّ الكلام كثير ، ابرز إليّ من أصحابك حتّى أُكلّمك .

قال ابن الكوّاء : وأنا آمن من سيفك .

قال علي (عليه السلام): نعم ، وأنت آمن من سيفي .

قال : فخرج ابن الكوّاء في عشرة من أصحابه ودنوا من علي (عليه السلام) . قال : وذهب ابن الكوّاء ليتكلّم فصاح به رجل من أصحاب علي (عليه السلام) وقال : اسكت ; حتّى يتكلّم من هو أحقّ بالكلام منك .

قال : فسكت ابن الكوّاء ، وتكلّم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فذكر الحرب التي كانت بينه وبين معاوية ، وذكر اليوم الذي رفعت فيه المصاحف ، وكيف اتّفقوا على الحكمين ، ثمّ قال له علي (عليه السلام) : ويحك يابن الكوّاء ، ألم أقل لكم في ذلك اليوم الذي رفعت فيه المصاحف : كيف أهل الشام يريدون أن يخدعوكم بها ؟ ألم أقل لكم صحبتمونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتّى تبدؤونا . ثمّ رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته [1679].

تعبّد الخوارج المنحرف

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) ستحارب ثلاثة طوائف الناكثين والقاسطين والمارقين [1680].

فحارب الناكثين لبيعته في معركة الجمل ، وحارب القاسطين في معركة صفّين ثمّ حارب المارقين في معركة النهروان .

ولولا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لم يعرف الناس الحكم الشرعي مع هؤلاء ومع أُسراهم وأموالهم ونساءهم وظهور هذه الفرق الثلاث في فترة قريبة يبيّن الفتنة العظيمة الحاكمة على العالم الإسلامي في حينها ، المتولّدة من رحم السقيفة .

فالسقيفة عطّلت الأخلاق السياسية وأوقفت الكثير من الأحكام الشرعية وأطلقت يد الحاكم في مخالفة الدين باسم الاجتهاد [1681].

وبعد أن فعلوا هذا بعبدالله بن خبّاب ذهبوا إلى نصراني يملك بستاناً بالقرب منهم ، وطلبوا منه أن يبيعهم ثمرات نخلة .

فقال : هي لكم بدون ثمن .

فقالوا : ما كنّا نأخذ إلاّ بالثمن .

فقال : واعجباه ! أتقتلون مثل عبدالله بن خبّاب ، ولا تقبلون جني نخلة إلاّ بثمن !

ومن غرائبهم أنّهم أنكروا على رجل منهم قتل خنزيراً ، وقالوا له : إنّك تسعى في الأرض الفساد ، هذا بعد أن ذبحوا صاحب رسول الله ، ومثّلوا بزوجته الحامل ، وقتلوا ثلاث نسوة مسلمات [1682].

وصول الإمام علي (عليه السلام) إلى النهروان

سار علي (عليه السلام)حتّى نزل على فرسخين من النهروان ، ثمّ دعا بغلامه فقال له : اركب إلى هؤلاء القوم ، وقل لهم عنّي : ما الذي حملكم على الخروج عليَّ ، ألم أقصد في حكمكم ؟ ألم أعدل في قسمكم ؟ ألم أقسم فيكم فيئكم ؟ ألم أرحم صغيركم ؟ ألم أُوقّر كبيركم ؟ ألم تعلموا أنّي لم أتّخذكم خَولا ، ولم أجعل مالكم نفلا ؟ وانظر ماذا يردّون عليك ، وإن شتموك فاحتمل ، وإيّاك أن تردّ على أحد منهم شيئاً .

فأقبل غلام علي (عليه السلام)حتّى أشرف على القوم بالنهروان ، فقال لهم ما أمره به .

فقالت له الخوارج : ارجع إلى صاحبك ; فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبداً ، وإنّا نخاف أن يردّنا بكلامه الحسن كما ردّ إخواننا بحروراء

عبدالله بن الكوّاء وأصحابه ، والله تعالى يقول : (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [1683]، ومولاك علي منهم ، فارجع إليه وخبّره بأنّ اجتماعنا هاهنا لجهاده ومحاربته ، لا لغير ذلك [1684].

علم غيب الإمام (عليه السلام)

وتحرّك الخوارج صوب جسر النهر وكانوا غربه ، فقال لعلي (عليه السلام) أصحابه : إنّهم قد عبروا النهر !

فقال : لن يعبروا .

فأرسلوا طليعة ، فعاد وأخبرهم أنّهم عبروا النهر ، وكان بينهم وبينه نطفة من النهر ، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم ، فعاد فقال : إنّهم قد عبروا النهر .

فقال علي (عليه السلام): والله ما عبروه ، وإنّ مصارعهم لدون الجسر ، ووالله لا يقتل منكم عشرة ، ولا يسلم منهم عشرة .

وتقدّم علي (عليه السلام)إليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه ، وكان الناس قد شكّوا في قوله ، وارتاب به بعضهم ، فلمّا رأوا الخوارج لم يعبروا كبّروا ، وأخبروا علياً (عليه السلام)بحالهم .

فقال (عليه السلام): والله ، ما كذبت ولا كُذّبت [1685].

وقبل معركة النهروان قسّم الإمام (عليه السلام) الخوارج إلى قسمين ممّن شارك في صفّين وممّن لم يشارك فيها ثمّ بدأ بالكلام معهم : ألم تقولوا عند رفعهم المصاحب حيلة وغيلة ومكراً وخديعة إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم ؟

فقلت لكم : هذا أمر ظاهره إيمان ، وباطنه عدوان ، وأوّله رحمة ، وآخره ندامة ، فأقيموا على شأنكم ، والزموا طريقتكم ، وعضّوا على الجهاد بنواجذكم ، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق ; إن أُجيب أضلّ ، وإن تُرك ذلّ .

وقد كانت هذه الفعلة ، وقد رأيتكم أعطيتموها . والله لئن أبيتُها ما وجبت عليَّ فريضتها ، ولا حمّلني الله ذنبها . ووالله ، إن جئتها إنّي للمحقّ الذي يُتّبع ، وإنّ الكتاب لمعي ، ما فارقته مذ صحبته ، فلقد كنّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)وإنّ القتل ليدور على الآباء والأبناء ، والإخوان والقرابات ، فما نزداد على كلّ مصيبة وشدّة إلاّ إيماناً ، ومضيّاً على الحقّ ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مَضَض الجراح [1686].

ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج ، والشبهة والتأويل . فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا ، ونتدانى بها إلى البقيّة فيما بيننا ، رغبنا فيها ، وأمسكنا عمّا سواها [1687].

فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت ، فلِمَ تُضلّلون عامّة أُمّة محمّد (صلى الله عليه وآله)بضلالي ، وتأخذونهم بخطئي ، وتكفّرونهم بذنوبي ؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البُرء والسقم ، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب ! وقد علمتم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجم الزاني المحصن ، ثمّ صلّى عليه ، ثمّ ورّثه أهله ، وقتل القاتل ، وورّث ميراثه أهله ، وقطع السارق ، وجلد الزاني غير المحصن ، ثمّ قسّم عليهما من الفيء ، ونكحا المسلمات ; فأخذهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)بذنوبهم ، وأقام حقّ الله فيهم ، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ، ولم يُخرج أسماءهم من بين أهله .

ثمّ أنتم شرار الناس ، ومن رمى به الشيطان مراميه ، وضرب به تِيهَه ! وسيهلك فيَّ صنفان : محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ ، وخير الناس فيَّ حالا النمط الأوسط ، فالزموه ، والزموا السواد الأعظم ، فإنّ يد الله مع الجماعة ، وإيّاكم والفرقة ; فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان ، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب .

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ، ولو كان تحت عمامتي هذه ، فإنّما حكّم الحكمان ليُحييا ما أحيا القرآن ، ويميتا ما أمات القرآن ،

وإحياؤه الاجتماع عليه ، وإماتته الافتراق عنه . فإن جرّنا القرآن إليه اتّبعناهم ، وإن جرّهم إلينا اتّبعونا . فلم آتِ ـ لا أباً لكم ـ بُجْراً [1688]، ولا خَتَلتكم [1689] عن أمركم ، ولا لبّسته عليكم ، إنّما اجتمع رأي مِلْئكم على اختيار رجلين ، أخذنا عليهما ألاّ يتعديّا القرآن ، فتاها عنه ، وتركا الحقّ وهما يبصرانه ، وكان الجور هواهما فمضيا عليه . وقد سبق استثناؤنا عليهما ـ في الحكومة بالعدل ، والصمد للحقّ ـ سوءَ رأيهما ، وجورَ حكمهما [1690].

فنظر الإمام علي (عليه السلام)إلى الأُمور من كل وجه ليمنع على الخوارج انحرافهم فعاد العقلاء منهم وبقي الحمقى الذين ليس عندهم قرار ولا استقرار .

وفي أرض معركة النهروان لمّا شاهد الإمام جمعهم قال : الله أكبر صدق الله ورسول الله فتصافّ القوم ، ووقف عليهم بنفسه ، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ، فقيل له : قد رمونا .

فقال : كفّوا .

فكرّروا القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكفّ ، حتّى أُتي برجل قتيل متشحّط بدمه .

فقال علي : الله أكبر ، الآن حلّ قتالهم ، احملوا على القوم [1691].

استنطقهم علي (عليه السلام)بقتل عبدالله بن خبّاب ، فأقرّوا به .

فقال : انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة .

فتكتّبوا كتائب ، وأقرّت كلّ كتيبة بمثل ما أقرّت به الأُخرى من قتل ابن خبّاب ، وقالوا : ولنقتلنّك كما قتلناه !

فقال علي (عليه السلام): والله ، لو أقرّ أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم . ثمّ التفت إلى أصحابه فقال لهم : شدّوا عليهم ، فأنا أوّل من يشدّ عليهم [1692].

الهوامش

[1507] كما في نهج البلاغة ، وفي المصدر : « تفرط » .

[1508] البَجَح : الفَرَح ، وتبجّح به : فخر ، وفلان يتبجّح : أني يفتخر ويباهي بشيء ما ، قد بَجِح يبجح (لسان العرب 2 / 405 و406) .

[1509] البادرة : الحِدّة ، وهو ما يبدر من حِدّة الرجل عند غضبه من قول أو فعل (لسان العرب 4 / 48) .

[1510] لي عن هذا الأمر مندوحة : أي مُتّسع (لسان العرب 2 / 613) .

[1511] أدغل في الأمر : أدخل فيه ما يفسده ويخالفه (لسان العرب 11 / 244) .

[1512] النَّهك : التنقّص (لسان العرب 10 / 499) .

[1513] طامن ظهره : إذا حنى ظهره (لسان العرب 13 / 268) والمراد يخفض ويسكن .

[1514] الطِّماح : مثل الجماح ، والطَّماع : الكبر والفخر (لسان العرب 2 / 534) .

[1515] الغَرْب : الحِدّة (لسان العرب 1 / 641) .

[1516] أعزب عنه حلمه وعزب : ذهب (لسان العرب 1 / 596) .

[1517] الإلحاف : شدّة الإلحاح في المسألة (لسان العرب 9 / 314) .

[1518] وَضَح الشيء يَضِحُ : بان (لسان العرب 2 / 634) .

[1519] كذا في المصدر ، وفي نهج البلاغة « فإنّ البخل والجبن » وهو الأنسب .

[1520] نهج البلاغة 33 / 87 ،البحار /33 602 ،شرح النهج 17 /43.

[1521] بِطانة الرجل : خاصّته ، وصاحب سرّه وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله (لسان العرب 13 / 55) .

[1522] الدغل : الفساد (لسان العرب 11 / 244) .

[1523] المُثاقِن : المواظب ، ويقال : ثاقَنتُ فلاناً إذا حابيته تحادثه وتلازمه وتكلّمه (لسان العرب 12 / 79) .

[1524] في المصدر : « طبقة » ، والصحيح ما أثبتناه كما في نهج البلاغة .

[1525] الرفد : العطاء والصلة (لسان العرب 3 / 181) .

[1526] النَّبْو : العلو والارتفاع (لسان العرب 15 / 302) .

[1527] أي لا تعد ما قوّيتم به عظيماً (بحار الأنوار 33 / 604) .

[1528] الخوالف : الذين لا يغزون (لسان العرب 9 / 86) .

[1529] العَين : الذي يبعث ليتجسّس الخبر (لسان العرب 13 / 301) .

[1530] خَلَفتُ الرجل في أهله : إذا أقمت بعده فيهم وقمت عنه بما كان يفعله (النهاية 2 / 66) .

[1531] سلس المُهر : إذا انقاد (لسان العرب 6 / 106) .

[1532] سورة النساء 59 .

[1533] سورة النساء 83 .

[1534] المَحْك : اللَّجاج (لسان العرب 10 / 486) .

[1535] صغا إليه يصغى : مال (لسان العرب 14 / 461) .

[1536] الحِباء : ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به (لسان العرب 14 / 162) أي وأن لا يولّيهم محاباة لهم ولمن يشفع فيهم ولا أثرة ولا إنعاماً عليهم (شرح نهج البلاغة 17 / 69) .

[1537] استأثر فلان بالشيء : أي استبدّ به ، والاسم الأثرة . (الصحاح 2 / 575) .

[1538] العُقدة : كلّ شيء يستوثق الرجل به لنفسه ويعتمد عليه (لسان العرب 3 / 299) .

[1539] الجَمام : الراحة (لسان العرب 12 / 105) .

[1540] أدلّ عليه : وثق بمحبّته فأفرط عليه ، والاسم الدالّة (لسان العرب 11 / 247) .

[1541] استَنام إلى الشيء : استأنس به ، واستنام فلان إلى فلان : إذا أنس به واطمأنّ إليه وسكن (لسان العرب 12 / 598) .

[1542] المضطرب بماله : المتردّد به بين البلدان .

[1543] الزَّمنى : جمع زَمِن ، وهو ذو الزمانة ، والزمانة : العاهة (لسان العرب 13 / 199) .

[1544] سورة الإسراء 79 .

[1545] سورة البقرة 158 .

[1546] الحامّة : خاصّة الرجل من أهله وولده وذي قرابته (لسان العرب 12 / 153) .

[1547] أصحرَ بالأمر وأصحرَه : أظهره (تاج العروس 7 / 79) .

[1548] وَدُع الشيء ، سكن واستقرّ وصار إلى الدعة (تاج العروس 11 / 498) .

[1549] الوبال : الوخامة وسوء العاقبة (مجمع البحرين 3 / 1901) . والمراد : استوخموا من عواقب الغدر والختر .

[1550] أخفَره : نقض عهده وخاس به وغدره (لسان العرب 4 / 253) .

[1551] الختل : تخادع عن غفلة (لسان العرب 11 / 199) .

[1552] زاد في نهج البلاغة : ولا تعقِد عقداً تجوّز فيه العلل ولا تعوّلنّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة .

[1553] خَلق الشيء وأخلق : بَلي ، يقال : ثوب خَلَق ، ودار خَلَق (لسان العرب 10 / 88) .

[1554] سورة الإسراء 33 .

[1555] طَمَحَ به : ذهب به (لسان العرب 2 / 535) .

[1556] النخوة : العظمة والكبر والفخر (لسان العرب 15 / 313) .

[1557] سورة الصفّ 3 .

[1558] القوم أُسوة في هذا الأمر : أي حالهم فيه واحدة (لسان العرب 14 / 35) .

[1559] سَورَة السلطان : سطوته واعتداؤه . والسَّورَة : الوثبة (لسان العرب 4 / 385) .

[1560] الحِدّة : ما يعتري الإنسان من النزق والغضب (لسان العرب 3 / 141) .

[1561] تحف العقول 126 ، نهج البلاغة الكتاب 53 ، دعائم الإسلام 1 / 350 وذكر أنّ هذا العهد هو ممّا عهد به النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) كلاهما نحوه ، بحار الأنوار 77 / 240 ح1 .

[1562] تاريخ الطبري 5 / 95 ، الأمالي للمفيد 79 / 4 نحوه عن هشام بن محمّد وفيه إشارة إلى شهادة محمّد بن أبي بكر ، الغارات 1 / 257 عن المدائني وراجع أنساب الأشراف 3 / 167 والكامل في التاريخ 2 / 410 .

[1563] إبلة : مدينة تقع على شاطئ دجلة في الطريق إلى البصرة .

[1564] وعثمان وغلمانه ومعاوية متخصّصون في الاغتيال بالسموم وغيرها !!

[1565] القلزم : مدينة تقع على شفير البحر ليس بها زرع ولا ماء ، يحمل إليها الماء من آبار بعيدة ، وتقع ما بين الحجاز ومصر على ثلاثة أيّام منها ـ معجم البلدان .

[1566] مالك الأشتر ، محمّد رضا الحكيم 174 - 175 .

[1567] تاريخ الطبري 5 / 95 ، الكامل في التاريخ 2 / 410 نحوه وفيه « الحابسات » بدل « الجايستار » وراجع الأمالي للمفيد 82 / 4 والغارات 1 / 259 - 264 ، بحار الأنوار 33 / 555 ح722 ، شرح نهج البلاغة 6 / 76 ، الاختصاص 81 ، معجم رجال الحديث 14 / 163 ح9796 ، بحار الأنوار 33 / 591 ح734 .

[1568] تاريخ اليعقوبي 2 / 194 ، مروج الذهب 2 / 420 ، عيون الأخبار لابن قتيبة 1 / 201 عن عوانة بن الحكم نحوه .

[1569] الفند : هو المنفرد من الجبال (النهاية 3 / 475) .

[1570] حجر صَلد : صُلب أملس (لسان العرب 3 / 256) .

[1571] أوفى : أشرف وأتى (لسان العرب 15 / 399) .

[1572] نهج البلاغة الحكم 443 ، ربيع الأبرار 1 / 216 وليس فيه « ولو كان حجراً لكان صلداً » وراجع الكامل في التاريخ 2 / 410 ، وتاريخ الإسلام للذهبي 3 / 594 وسير أعلام النبلاء 4 / 34 ح6 ،موسوعة الامام علي ،رى شهرى ج 4 / 42 .

[1573] شرح نهج البلاغة 15 / 98 ، رجال ابن داود 157 / 1254 وفيه ذيله .

[1574] رجال الكشّي 1 / 283 ح118 ، رجال ابن داود 157 / 1254 ، جامع الرواة 2 / 37 ، الغارات 1 / 265 ، الأمالي للمفيد

83 / 4 ، الاختصاص 83 كلاهما نحوه ، بحار الأنوار 82 / 130 ح9 .

[1575] الاختصاص 81 ، بحار الأنوار 33 / 591 ح735 ، تاريخ الطبري 5 / 95 ، الغارات 1 / 264 ، الأمالي للمفيد 83 / 4 نحوه ، شرح نهج البلاغة 6 / 77 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 194 .

[1576] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 2 / 29 .

[1577] الغارات 1 / 264 عن المدائني عن بعض أصحابه ، الاختصاص 81 عن عبدالله بن جعفر ; تاريخ الطبري 5 / 96 عن يزيد بن ظبيان الهمداني ، الكامل في التاريخ 2 / 410 .

[1578] الأمالي للطوسي 174 / 293 ، الغارات 2 / 481 ، شرح نهج البلاغة 2 / 90 .

[1579] هو أسود من فلان : أي أجلّ منه (لسان العرب 3 / 230) . الغارات 1 / 264 ، بحار الأنوار 33 / 556 ح722 ، شرح نهج البلاغة 6 / 77 .

[1580] أنساب الأشراف 5 / 41 ، عيون الأخبار لابن قتيبة 1 / 186 ، شرح نهج البلاغة 2 / 214 كلاهما نحوه .

[1581] شرح نهج البلاغة 2 / 213 .

[1582] آس : أي ساو بينهم .

[1583] محقوق : أي مطالب بمخالفتك شهوة نفسك .

[1584] نهج البلاغة 3 / 516 - 518 .

[1585] تاريخ الطبري 5 / 231 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 2 / 25 .

[1586] الأزل : الضيق والشدّة .

[1587] مروج الذهب 2 / 59 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 3 / 188 - 190 .

[1588] الزاري : العائب .

[1589] أصفى : أي آثره .

[1590] أفلج حجّته : أي أظهرها .

[1591] ابتزّه حقّه : أي سلبه حقّه .

[1592] القسر : الاكراه .

[1593] مروج الذهب 2 / 60 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 1 / 284 .

[1594] النجوم الزاهرة 1 / 110 .

[1595] نهج البلاغة 1 / 117 ، 3 / 60 .

[1596] وَجَدَ عليه يَجِدُ موجدَة : غضبَ (لسان العرب 3 / 446) .

[1597] الغارات 1 / 267 ، نهج البلاغة الكتاب 34 ، بحار الأنوار 33 / 556 ح722 و593 / 739 ، تاريخ الطبري 5 / 96 عن أبي مخنف ، الكامل في التاريخ 2 / 410 ، شرح نهج البلاغة 6 / 78 و16 / 142 .

[1598] الغارات 1 / 269 ، بحار الأنوار 33 / 557 ح722 ، تاريخ الطبري 5 / 97 عن أبي مخنف ، الكامل في التاريخ 2 / 411 .

[1599] البِطانُ : حِزام الرحل والقَتَب (لسان العرب 13 / 56) .

[1600] المِشقص : نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض (النهاية 2 / 490) . خشاشه : هو العَظم الناتِئ خَلْفَ الأُذُن (النهاية 2 / 34) .

[1601] تاريخ الطبري 5 / 100 ، البداية والنهاية 7 / 314 نحوه ، شرح نهج البلاغة 6 / 83 ، الغارات 1 / 277 ، بحار الأنوار 33 / 557 ح722 .

[1602] الغارات 2 / 748 ،شرح النهج 2 / 70 ،ذكر اخبار اصفهان 1 / 77 ،صفين 44، جواهر المطالب 1 / 368،النجوم الزاهرة ، الاتابكي 1/63 .

[1603] تاريخ الطبري 5 / 101 ، البداية والنهاية 7 / 315 نحوه ، شرح نهج البلاغة 6 / 84 ، الغارات 1 / 278 ، بحار الأنوار 33 / 558 ح722 وراجع أنساب الأشراف 3 / 169 و170 .

[1604] تاريخ الطبري 5 / 102 ، شرح نهج البلاغة 6 / 84 ، الغارات 1 / 278 ، بحار الأنوار 33 / 558 / 722 وراجع البداية والنهاية 7 / 315 .

[1605] الجَرْعَة : موضع قرب الكوفة (معجم البلدان 2 / 127) . الحِيْرَة : مدينة جاهلية ، تبعد عن الكوفة على نحو فرسخ ، وكانت منازل آل النعمان بن المنذر (تقويم البلدان 299) .

[1606] لا مخبأ لعطر بعد عروس ، ويروى : لا عطر بعد عروس : أوّل من قال ذلك امرأة من عُذرة يقال لها أسماء بنت عبدالله ، وكان لها زوج من بني عمّها يقال له : عروس ، فمات عنها ... ، فقالت : لا عطر بعد عروس ، فذهبت مثلا يضرب لمن لا يدّخر عنه نفيس (مجمع الأمثال 3 / 151) .

[1607] تاريخ الطبري 5 / 108 ، الغارات 1 / 289 عن جندب بن عبدالله وراجع الكامل في التاريخ 2 / 413 .

[1608] تاريخ ابن الأثير 2 / 356 ، تاريخ الطبري 4 / 554 ، الغارات 1 / 219 .

[1609] الغارات 1 / 276 ، تاريخ ابن الأثير 2 / 410 ، تاريخ الطبري 5 / 95 ، أنساب الأشراف 3 / 167 ، نهج البلاغة الكتاب 34 ، مروج الذهب 2 / 420 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 193 .

[1610] سورة المائدة 47 .

[1611] تاريخ الطبري 5 / 103 ، الكامل في التاريخ 2 / 412 و413 ، الغارات 1 / 282 - 285 كلاهما نحوه وراجع أنساب الأشراف 3 / 171 و172 .

[1612] الغارات 1 / 300 ، نهج البلاغة الخطبة 68 ، تاريخ الطبري 5 / 110 ، أنساب الأشراف 3 / 173 ، مروج الذهب 2 / 420 ، الغارات 1 / 301 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 194 ، نهج البلاغة الحكمة 325 ، موسوعة الإمام علي (عليه السلام) ، ري شهري 6 / 45 ، بحار الأنوار 33 / 592 ح736 .

[1613] ذكره الشهرستاني أوّل اسم تحت عنوان : (ولنختم المذاهب بذكر تتمة رجال الخوارج) 1 / 123 : حيث قال : من المتقدّمين : عكرمة ...

[1614] أوّل اسم ذكره الشهرستاني عندما عدّ شعراء الخوارج انظر 1 / 123 .

[1615] مقدّمة فتح الباري : 597 .

[1616] نهاية الدراية ، حسن الصدر 501 .

[1617] لسان الميزان لابن حجر وأمّا كتاب الذهبي فهو ميزان الاعتدال . لا يوجد في كلا المصدرين .

[1618] صحيح مسلم 7 / 123 ، شواهد التنزيل ، الحسكاني 2 / 414 ، 1 / 187 ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر 2 / 86 ، روضة الواعظين ، النيسابوري 90 ، المسترشد ، الطبري 588 ، شرح الأخبار القاضي المغزي 1 / 104 ، الإرشاد ، المفيد 1 / 175 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب 2 / 224 ، البحار 37 / 188 ، العمدة ، ابن بطريق 100 ، أسباب النزول ، الواحدي 150 ط مصر ،

خصائص الوحي المبين ، ابن بطريق 88 ، بشارة المصطفى ، محمد بن علي الطبري 276 ، مسند أحمد 4 / 281 ، تاريخ بغداد 8 / 290 ، ورواه الترمذي وابن ماجه والنسائي ، الصواعق المحرقة 43 ، سرّ العالمين 1 / 37 ، ذخائر العقبى 82 ، الملل والنحل ، الشهرستاني70 ، تفسير الثعلبي 1 / 217 ، تفسير القمّي ، الآية ، تفسير الفيض الكاشاني 2 / 51 ، تفسير البرهان 1 / 488 ، تفسير السيوطي 2 / 252 ، تفسير الآلوسي 6 / 61 ، مناقب أمير المؤمنين 7 ، الكوفي 2 / 382 ، نزول القرآن ، أبو نعيم الأصبهاني 86 ، فرائد السمطين 1 / 158 ، البداية والنهاية ، ابن كثير 5 / 213 ، ما نزل من القرآن في علي (عليه السلام) ، الحبري 44 ، ما نزل من القرآن في علي (عليه السلام) ، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني 36 ، مجمع الهيثمي 9 / 207 ، كنز العمال 6 / 392 .

[1619] تقريب التهذيب 2 / 335 - 84 . قال : (... رمي برأي الخوارج ...) وانظر مقدمة فتح الباري : 627 .

[1620] تقريب التهذيب 1 / 58 - 404 . قال : (... تكلّم فيه للنصب ...) وانظر مقدمة فتح الباري : 550 ، موسوعة الإمام علي (عليه السلام) ري شهري .

[1621] تقريب التهذيب : 1 / 184 - 524 . قال : (.. رمي بالنصب ...) وانظر مقدمة فتح الباري (حصين بن نمير الواسطي) : 561 .

[1622] تقريب التهذيب 1 / 417 - 322 . قال : (... رمي بالنصب ...) وانظر مقدمة فتح الباري : 580 .

[1623] تقريب التهذيب 2 / 127 - 132 .

[1624] صحيح مسلم ب7 - طبعة دار الفكر 2 / 339 - 2153 ، 2154 .

[1625] الصراط المستقيم كشف الغمّة 1 / 146 ، العاملي 70 .

[1626] سنن البخاري 2 / 139 .

[1627] البحار 16 / 6 ، 31 / 161 .

[1628] الفَرَق : الخوف (لسان العرب 10 / 304) .

[1629] سورة القصص 21 و22 .

[1630] تاريخ الطبري 5 / 74 ، الكامل في التاريخ 2 / 398 ، الأخبار الطوال 202 ، أنساب الأشراف 3 / 137 .

[1631] هما كفرسي رهان : يضرب لاثنين يستبقان إلى غاية فيستويان (تاج العروس 8 / 394) .

[1632] الكامل في التاريخ 2 / 393 ، تاريخ الطبري 5 / 63 و64 عن عمارة بن ربيعة .

[1633] تاريخ الطبري 5 / 57 ، وراجع الكامل في التاريخ 2 / 390 .

[1634] كنز العمّال 2 / 84 ، شرح الأخبار 2 / 389 .

[1635] كنز العمّال 3 / 35 / 5348 .

[1636] المستدرك ، الحاكم 4 / 511 ، مسند أحمد 2 / 209 ، مجمع الزوائد 6 / 330 ، مسند أبي داود 303 ، كنز العمال 11 / 317 ، تاريخ دمشق 1 / 161 .

[1637] الكافي 1 / 12 ، المحاسن 1 / 308 .

[1638] في المصدر : « قال » ، والتصحيح من تاريخ الطبري .

[1639] ما ابذقرّ دمه : ما تفرّق ولا تمذّر (لسان العرب 4 / 51) .

[1640] مسند أحمد بن حنبل 7 / 452 ح21121 ، تاريخ الطبري 5 / 81 ، الطبقات الكبرى 5 / 245 .

[1641] الاحتجاج 2 / 159 ح192 ، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) 53 / 27 كلاهما عن الإمام الرضا (عليه السلام) ، بحار الأنوار 2 / 84 ح10 .

[1642] سورة القصص 83 .

[1643] نهج البلاغة الخطبة 3 ، الارشاد 1 / 289 ، الاحتجاج 1 / 457 ح105 ، الطرائف 418 .

[1644] نهج البلاغة ، الخطبة 32 ، بحار الأنوار 78 / 5 ح54 .

[1645] تاريخ الطبري 5 / 50 ، الكامل في التاريخ 2 / 387 ، وقعة صفّين 491 .

[1646] صحيح البخاري 3 / 1321 ح3414 ، صحيح مسلم 2 / 744 ح148 ، أُسد الغابة 2 / 214 ح1541 كلاهما عن أبي سلمة والضحّاك ، مسند ابن حنبل 2 / 680 ح7059 ، السيرة النبوية لابن هشام 4 / 139 .

[1647] الكامل للمبرّد 3 / 1108 ، دعائم الإسلام 1 / 389 نحوه .

[1648] أي علامة (النهاية 2 / 375) .

[1649] مسند أبي يعلى 4 / 154 ح4113 ، وراجع المناقب لابن شهر آشوب 3 / 187 .

[1650] تاريخ الطبري 5 / 77 ، الكامل في التاريخ 2 / 401 ، الأخبار الطوال 206 نحوه وراجع البداية والنهاية 7 / 287 .

[1651] أنساب الأشراف 3 / 141 .

[1652] الأخبار الطوال 206 .

[1653] تاريخ الطبري 5 / 78 ، الكامل في التاريخ 2 / 401 وراجع الأخبار الطوال 206 .

[1654] الأنبار : من نواحي بغداد على شاطئ الفرات على بعد عشرة فراسخ ، كان بها مقام السفّاح أوّل خلفاء بني العبّاس (تقويم البلدان 301) .

[1655] أي خدماً وعبيداً (لسان العرب 11 / 225) .

[1656] مروج الذهب 2 / 415 ، مسند ابن حنبل 1 / 198 ح706 وفيه « عن زيد بن وهب : لمّا خرجت الخوارج بالنهروان قام علي (عليه السلام) في أصحابه فقال : إنّ هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا في سَرْح الناس ، وهم أقرب العدوّ إليكم ، وإن تسيروا إلى عدوّكم أنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم » .

[1657] تاريخ الطبري 5 / 80 ، الكامل في التاريخ 2 / 402 .

[1658] الإمامة والسياسة 1 / 166 .

[1659] تاريخ الطبري 5 / 82 ، الكامل في التاريخ 2 / 403 ، أنساب الأشراف 3 / 142 ، الإمامة والسياسة 1 / 168 كلاهما نحوه وراجع الأخبار الطوال 207 ، والبداية والنهاية 7 / 288 .

[1660] التنبيه والأشراق 256 ، أُسد الغابة 1 / 714 .

[1661] تاريخ الطبري 5 / 91 ، مروج الذهب 2 / 361 ، تاريخ الذهبي 3 / 588 ، تاريخ ابن الأثير 2 / 407 .

[1662] تاريخ اليعقوبي 2 / 193 .

[1663] أنساب الأشراف 3 / 136 ، تاريخ الإسلام للذهبي 3 / 588 .

[1664] تاريخ الإسلام للذهبي 3 / 588 .

[1665] تاريخ الطبري 5 / 86 وفيه « فأُهمدوا في الساعة » ، الكامل في التاريخ 2 / 406 وفيه « فأُهلكوا في ساعة » . الأخبار الطوال 210 وفيه « وقتلت الخوارج كلّها ربضة واحدة » ، الفتوح 4 / 274 وفيه « لم تكن إلاّ ساعة حتّى قتلوا بأجمعهم » ; تاريخ اليعقوبي 2 / 193 وفيه « التحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس ; فأقامت مقدار ساعتين من النهار » ، كشف الغمّة 1 / 267 وفيه « لم يكن إلاّ ساعة حتّى قتلوا » .

[1666] معجم البلدان 5 / 325 .

[1667] مجمع البحرين 3 / 1689 .

[1668] تاريخ الطبري 5 / 80 ، مروج الذهب 2 / 415 .

[1669] مروج الذهب 2 / 415 ، أنساب الأشراف 3 / 146 ، الفتوح 4 / 270 وفيه « فاستأمن إليه] الإمام علي (عليه السلام)[منهم ثمانية آلاف وبقي على حربه أربعة آلاف » ; تاريخ اليعقوبي 2 / 193 وفيه « فرجع يومئذ من الخوارج ألفان وأقام أربعة آلاف » .

[1670] الكامل للمبرّد 3 / 1105 ، تاريخ الطبري 5 / 86 وفيه بعد رفع راية الأمان بأمر الإمام علي (عليه السلام) « كان الذين بقوا مع عبدالله بن وهب ألفين وثمانمائة » .

[1671] تاريخ الطبري 5 / 79 .

[1672] تاريخ الطبري 5 / 86 ، الإمامة والسياسة 1 / 169 نحوه وراجع أنساب الأشراف 3 / 146 .

[1673] مروج الذهب 2 / 415 ، أنساب الأشراف 3 / 146 ، الفتوح 4 / 270 ; تاريخ اليعقوبي 2 / 193 ، تاريخ الطبري 5 / 85 ، الكامل في التاريخ 2 / 405 ، البداية والنهاية 7 / 289 .

[1674] مروج الذهب 2 / 415 ، أنساب الأشراف 3 / 146 ، الفتوح 4 / 270 ; تاريخ اليعقوبي 2 / 193 ، تاريخ الطبري 5 / 85 ، الكامل في التاريخ 2 / 405 ، البداية والنهاية 7 / 289 .

[1675] سورة الأنعام 67 .

[1676] دعائم الإسلام 1 / 393 ، وراجع تاريخ ابن خلدون 2 / 637 .

[1677] تاريخ الطبري 5 / 72 ، الكامل في التاريخ 2 / 398 .

[1678] نهج البلاغة الخطبة 40 ، بحار الأنوار 33 / 358 ح593 ، وراجع أنساب الأشراف 3 / 135 .

[1679] تاريخ الطبري 5 / 73 ، السنن الكبرى 8 / 319 ح16763 عن كثير بن نمر ، الكامل في التاريخ : 2 / 398 ، البداية والنهاية 7 / 282 ، الإيضاح 474 ، المناقب للكوفي 2 / 341 ح818 عن كثير بن نمر وكلّها نحوه وراجع البداية والنهاية 7 / 285 .

[1680] الفرائد ، الحموييني ، الباب 27 ، 29 ، الكفاية ، الكنجي 69 ، كنز العمال 6 / 154 ، الاستيعاب 3 / 53 ، ميزان الاعتدال ، الذهبي 2 / 263 ، مجمع الزوائد 3 / 239 ، المستدرك ، الحاكم 3 / 139 ، أُسد الغابة 4 / 114 ، تاريخ بغداد 8 / 340 ، فرائد السمطين 1 / 284 ، كفاية الطالب 169 ، البداية والنهاية 7 / 338 .

[1681] سنن البيهقي 6 / 301 ، السقيفة ، الجوهري 104 ، الشافي 4 / 69 ، البحار 29 / 217 ، الأمالي ، المفيد 4 / 8 ، بلاغات النساء ، ابن طيفور 12 ، شرح النهج 16 / 212 ، مروج الذهب 20 / 311 .

[1682] أُسد الغابة 2 / 289 ، تاريخ بغداد 1 / 180 ، سير أعلام النبلاء 2 / 167 ، رسائل المرتضى 2 / 110 ، الكافي ، الحلبي 251 ، الخلاف ، الطوسي 1 / 425 ، ميزان الاعتدال 1 / 467 ، شرائع الإسلام ، الحلّي 1 / 12 ، تاريخ دمشق 43 / 121 ، تهذيب الكمال ، المزي 13 / 229 .

[1683] سورة الزخرف 58 .

[1684] الفتوح 4 / 261 .

[1685] الكامل في التاريخ 2 / 405 ، نهج البلاغة الخطبة 59 ، كشف الغمّة 1 / 267 ، المناقب لابن شهر آشوب 2 / 263 ، اعلام الورى 1 / 338 ، الكامل للمبرّد 3 / 1105 ، وراجع مروج الذهب 2 / 416 ، كنز العمّال 11 / 322 ح31625 .

[1686] مَضَّني الجُرح : آلمني وأوجعني (لسان العرب 7 / 233) .

[1687] نهج البلاغة الخطبة 122 ، الاحتجاج 1 / 439 ح100 ، بحار الأنوار : 33 / 368 ح600 ، وراجع الإرشاد 1 / 270 .

[1688] البُجر : الداهية والأمر العظيم (النهاية 1 / 97) .

[1689] ختله : خدعه عن غفلة (لسان العرب 11 / 199) .

[1690] نهج البلاغة الخطبة 127 .

[1691] مروج الذهب 2 / 416 .

[1692] شرح نهج البلاغة 2 / 282 ، بحار الأنوار 33 / 355 ح587 ، مستدرك الوسائل 18 / 213 ح22534 ، نفس الرحمن في فضائل سلمان 62 وفيهما إلى « لقتلتهم » .

حديث قيس بن سعد مع الخوارج

إنّ قيس بن سعد بن عبادة قال لهم] أهل النهروان [: عباد الله ! أخرجوا إلينا طلبتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم ، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم ، فإنّكم ركبتم عظيماً من الأمر ; تشهدون علينا بالشرك ، والشرك ظلم عظيم ، وتسفكون دماء المسلمين وتعدّونهم مشركين .

فقال عبدالله بن شجرة السلمي : إنّ الحقّ قد أضاء لنا فلسنا نتابعكم ، أو تأتونا بمثل عمر .

كان الخوارج تلاميذ عمر بن الخطّاب وأبي موسى الأشعري فهو الذي وضعهم في قالبهم يقرأون القرآن ولا يعرفون تفسيره .

ويفتون بجهلهم وغيّهم ، ولمّا ظهر فساد الأشعري لهم فى التحكيم تركوه وبقوا على نهج عمر [1693].

والعجيب في أمرهم أنّهم حاربوا معاوية وهو على مسلك عمر وتربيته .

فبقي الخوارج والأمويون يتحاربون فيما بينهم وقدوتهم عمر بن الخطّاب .

فقال سعد : ما نعلمه فينا غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم ؟ وقال : نشدتكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها : فإنّي لأرى الفتنة قد غلبت عليكم .

وخطبهم أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري ، فقال : عبدالله ! إنّا وإيّاكم على الحال الأُولى التي كنّا عليها ، ليست بيننا وبينكم فرقة ، فعلامَ تقاتلوننا ؟

فقالوا إنّا لو بايعناكم اليوم حكمتم غداً .

قال : فإنّي أنشدكم الله أن تعجّلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل [1694].

هداية بعض الخوارج

قال أبو هارون العبدي : كنت أرى رأي الخوارج لا رأي لي غيره حتّى جلست إلى أبي سعيد الخدري فسمعته يقول : أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة ، فقال له رجل : ياأبا سعيد فما هذه الأربع التي عملوا بها ؟

قال : الصلاة والزكاة والحجّ والصوم .

قال : فما الواحدة التي تركوها ؟

قال : ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

قال : وإنّها مفترضة معهنّ ؟

قال : نعم [1695].

وذكر موفّق بن أحمد الخوارزمي في كتاب المناقب قول النبي : لو أنّ الرياض أقلام ، والبحر مداد ، والجنّ حساب والإنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) [1696].

وقال المعتزلي : لو فخر أمير المؤمنين بنفسه وتعديد فضائله وساعده فصحاء العرب كافّة ، لما أحصوا معشار ما نطق به الرسول (صلى الله عليه وآله) في أمره [1697].

خوض الإمام (عليه السلام) القتال

وخرج من الخوارج رجل بعد أن قال علي رضوان الله عليه ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبدالله بن خبّاب .

فقالوا : كلّنا قتله وشرك في دمه ! ثمّ حمل منهم رجل على صفّ علي (عليه السلام)ـ وقد قال علي : لا تبدؤوهم بقتال ـ فقتل من أصحاب علي (عليه السلام) ثلاثة وهو يقول :

أقتلهم ولا أرى عليّا *** ولو بدا أوجرته الخطِّيّا

فخرج إليه علي (عليه السلام)فقتله ، فلمّا خالطه السيف قال : حبّذا الروحة إلى الجنّة !

فقال عبدالله بن وهب : ما أدري أإلى الجنّة أم إلى النار ؟

فقال رجل من بني سعد : إنّما حضرت اغتراراً بهذا ، وأراه قد شكّ !! فانخزل بجماعة من أصحابه ، ومال إلى ناحية أبي أيّوب الأنصاري [1698].

ثمّ خرج منهم آخر ، فحمل على الناس ، ففتك فيهم ، وجعل يكرّ عليهم ، وهو يقول :

أضربهم ولو أرى أبا حسن *** ألبسته بصارمي ثوب غَبن

فخرج إليه علي (عليه السلام)وهو يقول :

ياأيّهذا المبتغي أبا حسن *** إليك فانظر أيّنا يلقى الغَبن

وحمل عليه علي (عليه السلام)وشكّه بالرمح ، وترك الرمح فيه ، فانصرف علي (عليه السلام)وهو يقول : لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره [1699].

عبدالله بن وهب

وهو الذي قاد الخوارج إلى حرب النهروان بعد انسحاب البعض منهم ; فقد كان ابن الكوّاء إمام الصلاة ، وشبث بن ربعي أمير الحرب [1700]. ثمّ انفصلا عن الخوارج فيما بعد [1701]، فبقي زيد بن حصين ، وحرقوص بن زهير ، وحمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى ، فرشّحوا عبدالله بن وهب [1702]. وهو الذي قادهم في الحرب ودعاهم للتعصّب وعدم التحدّث إلى الإمام [1703].

وقال عبدالله بن وهب الخارجي وهو يقاتلهم : ألقوا الرماح وسلّوا سيوفكم من جفونها فإنّي أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء .

ولمّا فشلوا في جواب عبدالله بن عبّاس قالوا : لا تجعلوا احتجاج قريش حجّة عليكم فإنّ هذا من القوم الذين قال الله عزّوجلّ فيهم : (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [1704].

وقالوا له : أمسك عنّا غرِّب لسانك يابن عبّاس فإنّه طلق ذلق غوّاص على موضع الحجّة » .

وقُتِل عبدالله بن وهب في معركة النهروان بعدما طلب من الإمام مبارزته فقتله أمير المؤمنين (عليه السلام) [1705].

اذ كان قائد جيش الخوارج عبدالله بن وهب الراسبي فوقف بين الجمعين ، ثمّ نادى بأعلى صوته : يابن أبي طالب ! حتّى متى يكون هذه المطاولة بيننا وبينك ؟! والله ، لا نبرح هذه العرصة أبداً أو تأبى على نفسك ، فابرز إليّ حتّى أبرز إليك وذر الناس جانباً .

فتبسّم علي (عليه السلام)ثمّ قال : قاتله الله من رجل ما أقلّ حياءه ! أما إنّه ليعلم أنّي حليف السيف وجديل الرمح ، ولكنّه أيّس من الحياة ، أو لعلّه يطمع طمعاً كاذباً .

قال : وجعل عبدالله يجول بين الصفّين وهو يرتجز ويقول :

أنا ابن وهب الراسبي الثاري *** أضرب في القوم لأخذ الثار

حتّى تزول دولة الأشرار *** ويرجع الحقّ إلى الأخيار

ثمّ حمل فضربه علي (عليه السلام)ضربة ألحقه بأصحابه [1706].

حرقوص بن زهير (ذو الثدية)

ثمّ حمل ذو الثُدَيّة ليقتل علياً (عليه السلام) ، فسبقه علي (عليه السلام)وضربه ففلق البيضة ورأسه ، فحمله فرسه فألقاه في آخر المعركة في جُرْف دالية على شطّ النهروان [1707].

وبعث الإمام علي (عليه السلام)الأسود بن يزيد المرادي في ألفي فارس ، حتّى أتى حمزة بن سنان وهو في ثلاثمائة فارس من خيلهم ... وأقبلت الخوارج ، فلمّا أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس فكان يزيد بن قيس على إصبهان فقالوا : يايزيد بن قيس لا حكم إلاّ لله وإن كرهت إصبهان ، فناداهم عبّاس بن شريك وقبيصة بن ضُبيعة العبسيان ياأعداء الله ، أليس فيكم شُريح بن أوفى المسرف على نفسه ؟ هل أنتم إلاّ أشباهه ؟!

قالوا : وما حجّتكم على رجل كانت فيه فتنة وفينا توبة ؟

ثمّ تنادوا : الرواح الرواح إلى الجنّة ! فشدّوا على الناس والخيل أمام الرجال ، فلم تثبت خيل المسلمين لشدّتهم ، وافترقت الخيل فرقتين : فرقة نحو الميمنة ، وأُخرى نحو الميسرة ، وأقبلوا نحو الرجال ، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل ، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فوالله ما لبّثوهم أن أناموهم .

ثمّ إنّ حمزة بن سنان صاحب خيلهم لمّا رأى الهلاك ، نادى أصحابه أن انزلوا ، فذهبوا لينزلوا فلم يتقارّوا حتّى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي ، وجاءتهم الخيل من نحو علي (عليه السلام) فأُهمِدوا في الساعة [1708]كأنّما قيل لهم : موتوا فماتوا [1709].

ثقافة ذي الثدية الاعرابية

كان الخوارج جهلاء بالإسلام وغير عقلاء وغير متحضّرين .

قال ذو الثدية المنافق للنبي (صلى الله عليه وآله) : والله ما تعدل .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله) مغضباً : ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل ؟

وهمَّ الصحابة أن يقتلوه فمنعهم النبي (صلى الله عليه وآله) وحكى لهم صورة عن مستقبله وأنبأهم بأنّه ورفاقه بعيدون عن الحقّ قائلا : « سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتّى يخرجوا منه » .

وقال (صلى الله عليه وآله) : إنّه يخرج هذا في أمثاله وفي أشباهه وفي ضربائه يأتيهم الشيطان من قبل دينهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يتعلّقون من الإسلام بشيء .وبعد حديث الإمام (عليه السلام) مع الخوارج عاد الكثير منهم إلى صفوف جيشه منهم شبث بن ربعي وعبدالله بن الكوّاء وحرقوص هو الذي قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في غزوة حنين : اعدل يامحمّد [1710]!وكان قد أمره عمر بن الخطّاب بقمع التمرّد الذي قام به الهرمزان في خوزستان ، فنجح في مهمّته [1711].

وشارك في الثورة على عثمان . وهمّ أصحاب الجمل بقتله ، لكنّه استطاع الفرار من أيديهم [1712].وان عنصر النفاق والمروق من الدين بارزاً في مظهره فهو بذئ اللسان وسئ السريرة وقبيح الطالع ، يشكّك في الأنبياء والمرسلين ويعتقد بأفضليّته عليهم .

وهو من أصحاب النهروان [1713]، لكنّه كان على رجّالتهم في تلك المعركة [1714]. ثمّ قتله الإمام (عليه السلام)فيها [1715].

العثور على جسد ذي الثدية

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أخبر بهلاكه في النهروان . وبعد معركة النهروان قال الإمام (عليه السلام): اطلبوه ، فلم يجدوه ، فقال (عليه السلام)مؤكّداً : ارجعوا ، فوالله ما كَذبتُ ولا كُذِّبتُ مرّتين أو ثلاثاً ثمّ وجدوه في خربة [1716].

قال أبو كثير مولى الأنصار : كنت مع سيّدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث قتل أهل النهروان ، فكأنّ الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم .

فقال علي (عليه السلام): ياأيها الناس ! إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد حدّثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثمّ لا يرجعون فيه أبداً حتّى يرجع السهم على فوقه ، وإنّ آية ذلك أنّ فيهم رجلا أسود مُخدَج [1717] اليد ، إحدى يديه كثدي المرأة ، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة ، حوله سبع هلبات ، فالتمسوه ، فإنّي أراه فيهم .

فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى ، فأخرجوه .

فكبّر علي (عليه السلام)فقال : الله أكبر ، صدق الله ورسوله ، وإنّه لمتقلّد قوساً له عربية ، فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مُخدجته ويقول : صدق الله ورسوله ، وكبّر الناس حين رأوه واستبشروا ، وذهب عنهم ما كانوا يجدون [1718].

الكل انتظر مقتل ذي الثدية طبقاً لحديث النبي (صلى الله عليه وآله) فكان العثور على جسد ذي الثدية مقتولا بيد رجال الإمام علي (عليه السلام) آية أُخرى من آيات النبوّة العديدة حدثت بعد ثلاثين سنة على شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الفصل الثالث: مرض العصيان

عصيان الخوارج المستمر

واستمرّ الخوارج في العصيان والفوضى وإثارة النعرات الطائفية وقتل المسافرين .

فخرج أشرس بن عوف الشيباني في الدسكرة بمائتين وسار إلى الأنبار .

فوجّه إليه الإمام (عليه السلام)الأبرش بن حسان في ثلاثمائة فقتله في ربيع الأوّل سنة 38هـ .

وخرج بعده هلال بن علّفة من تيم الرباب فأتى ماسبذان (مدينة في محافظة لرستان الايرانية) فوجّه إليه الإمام علي (عليه السلام) معقل بن قيس الرباحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين وذلك في شهر جمادى الأُولى .

ثمّ خرج الأشهب بن بشر في مائة وثمانين رجلا فجاء أرض المعركة التي أُصيب فيها هلال وأصحابه فصلّى عليهم ودفن من قدر عليه منهم .

فوجّه إليهم علي (عليه السلام)جارية بن قدامة السعدي ، وقيل : حجر بن عدي ، فأقبل إليهم الأشهب ، فاقتتلا بجرجرايا [1719]من أرض جوخا [1720]، فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين .

وكان الخوارج يجوبون البلاد لإغفال المسلمين تحت راية لا حكم إلاّ لله .

ثمّ خرج سعيد بن قفل التيمي ـ من تيم الله بن ثعلبة ـ في رجب بالبندنيجين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان [1721]ـ وهي من المدائن على فرسخين ـ فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين .

ثمّ خرج أبو مريم السعدي التميمي ، فأتى شهرزور [1722]، وأكثر من معه من الموالي ، وقيل : لم يكن معه من العرب غير ستّة نفر هو أحدهم ، واجتمع معه مائتا رجل ، وقيل : أربعمائة ، وعاد حتّى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة .

فأرسل إليه علي (عليه السلام)يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة ، فلم يفعل ، وقال : ليس بيننا غير الحرب .

فبعث إليه علي (عليه السلام)شريح بن هانئ في سبعمائة ، فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا ، وبقي شريح في مائتين ، فانحاز إلى قرية ، فتراجع إليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة .

فخرج علي (عليه السلام)بنفسه وقدّم بين يديه جارية بن قدامة السعدي ، فدعاهم جارية إلى طاعة علي (عليه السلام)وحذّرهم القتل فلم يجيبوا ، ولحقهم علي (عليه السلام) أيضاً فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه ، فقتلهم أصحاب علي (عليه السلام) ولم يسلم منهم غير

خمسين رجلا استأمنوا فآمنهم .

وكان في الخوارج أربعون رجلا جرحى ، فأمر علي (عليه السلام) بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتّى برؤوا ، وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين ; وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج ، ولجرأتهم قاربوا الكوفة [1723].

ورغم أعمالهم العبثية وقتلهم الناس على العصبية كان الإمام (عليه السلام) يعتني بجرحاهم ويهديهم إلى الحقّ بأخلاق عالية [1724] .

عصيان الخريت الخارجي

وكان الخرّيت شهد وأصحابه مع علي (عليه السلام) صفّين ، وجاء إلى علي (عليه السلام)في ثلاثين راكباً من أصحابه ، يمشي بينهم حتّى قام بين يدي علي (عليه السلام)فقال له : والله لا أُطيع أمرك ، ولا أُصلّي خلفك ، وإنّي غداً لمفارق لك . قال : وذاك بعد وقعة صفّين ، وبعد تحكيم الحكمين .

فقال له علي (عليه السلام): ثكلتك أُمّك ! إذن تنقض عهدك ، وتعصي ربّك ، ولا تضرّ إلاّ نفسك ! أخبرني لِمَ تفعل ذلك ؟

قال : لأنّك حكّمت في الكتاب ، وضعفت عن الحقّ إذ جدّ الجِدّ ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فأنا عليك رادّ ، وعليهم ناقم ، ولكم جميعاً مباين .

فقال له علي (عليه السلام): ويحك ! هلمّ إليّ أُدارسك الكتاب ، وأُناظرك في السنن ، وأُفاتحك أُموراً من الحقّ أنا أعلم بها منك ، فلعلّك تعرف ما أنت له الآن منكر ، وتستبصر ما أنت به الآن عنه عم وبه جاهل .

فقال الخرّيت : فإنّي عائد عليك غداً ، فقال له علي (عليه السلام) : اغدُ ولا يستهوينّك الشيطان ، ولا يتقحّمنّ بك رأي السوء ، ولا يستخفنّك الجهلاء الذين لا يعلمون ، فوالله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت منّي لأهدينّك سبيل الرشاد ، فخرج الخرّيت من عنده منصرفاً إلى أهله .

قال عبدالله بن قعين : فعجّلت في أثره مسرعاً ، وكان لي من بني عمّه صديق ، فأردت أن ألقى ابن عمّه في ذلك ، فأُعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين ، وما ردّ عليه ، وآمر ابن عمّه ذلك أن يشتدّ بلسانه عليه ، وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته ، ويخبره أنّ ذلك خير له في عاجل الدنيا وآجل الآخرة .

قال : فخرجت حتّى انتهيت إلى منزله وقد سبقني ، فقمت عند باب داره وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على علي (عليه السلام) ، فوالله ما رجع ولا ندم على ما قال لأمير المؤمنين وما ردّ عليه ، ثمّ قال لهم : ياهؤلاء ! إنّي قد رأيت أن أُفارق هذا الرجل ، وقد فارقته على أن أرجع إليه من غد ولا أراني إلاّ مفارقه ، فقال أكثر أصحابه : لا تفعل حتّى تأتيه ، فإن أتاك بأمر تعرفه قبله منه ، وإن كانت الأُخرى فما أقدرك على فراقه ! فقال لهم : نِعْمَ ما رأيتم .

قال : ثمّ استأذنت عليهم فأذنوا لي ، فأقبلت على ابن عمّه وهو مدرك بن الريّان الناجي ، وكان من كبراء العرب ، فقلت له : إنّ لك عليَّ حقّاً لإخائك وودّك ، ولحقّ المسلم على المسلم ; إنّ ابن عمّك كان منه ما قد ذكر لك ، فاخلُ به واردد عليه رأيه ، وعظّم عليه ما أتى ، واعلم أنّني خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته .

ولمّا طلبوا من الإمام (عليه السلام) أن يسجنه قال (عليه السلام) لو فعلنا هذا لكلّ من نتّهمه من الناس ملأنا السجون منهم ، ولا أراني يسعني الوثوب على الناس والحبس لهم وعقوبتهم حتّى يظهروا لنا الخلاف [1725].

وخرج الخرّيت بن راشد الناجي في جماعة من أصحابه ، فجرّدوا السيوف بالكوفة ، فقتلوا جماعة ، وطلبهم الناس ، فخرج الخرّيت وأصحابه من الكوفة ، فجعلوا لا يمرّون ببلد إلاّ انتهبوا بيت ماله حتّى صاروا إلى سيف عمان .

وكان علي (عليه السلام)قد وجّه الحلو بن عوف الأزدي عاملا على عمان ، فوثبت به بنو ناجية فقتلوه ، وارتدّوا عن الإسلام ، فوجّه علي (عليه السلام) معقل بن قيس الرياحي إلى البلد]عمان [، فقتل الخرّيت بن راشد وأصحابه ، وسبى بني ناجية [1726].

السياسة الشرعية في جرحى وغنائم الخوارج

بعد انتصار الإمام علي (عليه السلام) على الخوارج في حرب النهروان طلب الإمام (عليه السلام)من به رمق منهم فوجدوهم أربعمائة رجل .

فأمر بهم علي (عليه السلام)فدفعوا إلى عشائرهم قائلا : احملوهم معكم فداووهم ، فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة وخذوا ما في عسكرهم من شيء .

وأمّا السلاح والدواب وما شهدوا عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين ، وأمّا المتاع والعبيد والإماء فإنّه حين قدم ردّه على أهله [1727].

شمر بن ذي الجوشن

وهو تلميذ المغيرة والاشعرى والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ولاة عمر وعثمان ،أي هو تلميذ عمر وعثمان .

وهو قاسي وظالم يقتل على ابسط الامور .

كان شمر بن ذي الجوشن في جيش أمير المؤمنين يوم صفين ، ونقل صاحب كتاب «سفينة البحار» عن كتاب «المثالب» لهشام بن السائب ان أم شمر المحصنة مرّت براعي معزى فواقعها ، فحملت بشمر .

ثم قال صاحب السفينة : لذا قال له الإمام الحسين (عليه السلام) يوم كربلاء : «يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً» [1728].

شبث بن ربعي

وهو نسخة من الاشعث ورفيقه فى الحياة واحد تلاميذ الأشعري .

وكان شبث علماً للباطل قال صاحب السفينة عن ابن حجر في كتاب «التقريب» ان شبث بن ربعي كان مؤذن سجاح التي ادعت النبوة ، ثم اظهر الإسلام ، واعان على عثمان ، ثم انضم إلى جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم صفين ، وارتد عليه مع من خرج من الخوارج ، ثم بايع الحسين (عليه السلام)ودعاه الى الكوفة ثم انضم إلى جيش ابن زياد يقاتل الحسين (عليه السلام) في كربلاء وهكذا أفعال متضاربة غير مستقرة على قرار .

قول علي (عليه السلام) في الخوارج

قال الإمام علي (عليه السلام): إنّي فقأت عين الفتنة ، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري .

ولمّا قالوا للإمام (عليه السلام)هلك القوم بأجمعهم قال : « كلاّ والله إنّهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء كلّما نجم منهم قرن قطع ، حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلاّبين » [1729].

وقال الإمام عن الجهلة من أمثال الخوارج : « لا ترى الجاهل إلاّ مفرطاً أو مفرِّطاً » [1730].

وقال الإمام (عليه السلام)فيهم : ثمّ أنتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه ، وضرب به تيهه ، وسيهلك فيَّ صنفان ، محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ ، وخير الناس فيَّ حالا النمط الأوسط فالزموه » [1731].

ووصفهم الإمام (عليه السلام): سفهاء الأحلام [1732].

وحينما سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) رجلا من الحرورية الخوارج يتهجّد ويقرأ قال : نوم على يقين خير من صلاة على شكّ » [1733].

وقال الإمام (عليه السلام)فيهم : قطع ظهري إثنان عالم متهتّك وجاهل متنسّك [1734].

الخوارج في نظر الشرع

سئل الإمام (عليه السلام)عن أهل النهروان [1735]أمشركون ؟

قال : من الشرك فرّوا ، فقيل : ياأمير المؤمنين فمنافقون ؟

قال : المنافقون لا يذكرون الله إلاّ قليلا ، فقيل له : فما هم ؟ قال : قوم بغوا علينا ، فنصرنا الله عليهم [1736].

وقالوا للإمام علي (عليه السلام): ياأمير المؤمنين ، هؤلاء الذين نقاتلهم ، أكفّار هم ؟

فقال علي : من الكفر هربوا ، وفيه وقعوا .

قال : أفمنافقون ؟

فقال علي : إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلاّ قليلا . قال : فما هم ياأمير المؤمنين حتّى أُقاتلهم على بصيرة ويقين ؟

فقال علي (عليه السلام): هم قوم مرقوا من دين الإسلام ، كما مرق السهم من الرميّة ; يقرؤون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم ، فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه [1737].

قال الإمام (عليه السلام)سلوني قبل أن تفقدوني ، ولن تسألوا بعدي مثلي .

فقام ابن الكوّاء الخارجي فقال : مَن

(الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) [1738]؟

قال : منافقوا قريش .

قال : فمن (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) [1739]؟

قال (عليه السلام): منهم أهل حَرَوْراء [1740]- [1741].

قرأوا بحضرته (عليه السلام): (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) [1742] فقال علي (عليه السلام): أهل حَرَوْراء منهم [1743].

الأشعري مربّي القرّاء الخوارج

القرّاء السطحيون المعرفة ضغطوا على الإمام (عليه السلام) لوقف الحرب تبعاً لمقولتهم لا حكم إلاّ لله ، وضرورة احترام القرآن المرفوع فوق رماح جند الشام ، وألحّوا على الإمام (عليه السلام) بوجوب تعيين مربّيهم أبي موسى الأشعري حكماً من قبل أهل العراق .

فمربّي القرّاء أبو موسى الأشعري في البصرة والكوفة ومؤسّس مذهبهم عمر بن الخطّاب الذي منع عنهم التفسير وصهرهم بمنهجه .

ولمّا خان أبو موسى الأشعري في قضية التحكيم لم يفطن الخوارج إلى بطلان مذهبهم بل ألحّوا في طغيانهم فقالوا للإمام (عليه السلام) : نحن كفرنا بفعلنا هذا وإنّا تائبون منه ، وأنت كفرت أيضاً فعليك أن تعترف بكفرك وتتوب مثلنا ، وتنكث ما عاهدت عليه معاوية ، وتعود إلى مقاتلته .

فهم في شكّ وجهل رهيبين وهذا واضح في هذه الحادثة : « لمّا هلك أحدهم في النهروان قال : حبّذا الروحة إلى الجنّة .

فقال قائدهم عبدالله بن وهب : ما أدري إلى الجنّة أم النار ؟

فقال رجل من بني أسد كان يرى هذا المشهد : إنّما حضرت اغتراراً بهذا وأراه قد شكّ ، فانعزل بجماعة من أصحابه ومال إلى ناحية أبي أيّوب الأنصاري » .

لذا سمّاهم الإمام الصادق (عليه السلام) بالشكّاك [1744].

وكان قد كثر عدد القرّاء في زمن عمر بن الخطّاب في الشام والكوفة والبصرة والمدينة ويسمّون بالقرّاء أو أصحاب البرانس [1745].

هل كان الأشعري مؤسّساً لفرقة الخوارج ؟

قصّة صبيغ تبيّن منع عمر ورجال الحزب القرشي تفسير القرآن وتقتل الساعي لتفسير القرآن .

فصبيغ قتلته الدولة معنوياً وعذّبته عذاباً لم يفعله النبي (صلى الله عليه وآله) مع طلقاء مكّة ومرتكبي الزنا .

فكانت نظرية رجال السقيفة منع تفسير القرآن المتسبّبة في ظهور طائفة القرّاء الجهلة الذين يقرأون القرآن ولا يفهموه .

فتمكّن عمر من تأسيس فرقة القرّاء الحافظة للقرآن والجاهلة بما فيه .

وكان عمر يعلم بظهور هذه الطائفة مستقبلا كأمر حتمي لهذا الجهل المستشري في صفوفها أوّلا .

وثانياً أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) المنذرة من ظهور طائفة المارقين عن الدين من وسط طبقة القرّاء الذين لا يفهمون تفسير القرآن .

وعن الحسن لمّا قدم أبو موسى الاشعري البصرة كتب إليه عمر يقرأ الناس القرآن ؟

فكتب إليه بعدة ناس قرأوا القرآن فحمد الله عمر . ثمَّ كتب إليه في العام القابل بعدَّة هي أكثر من العدَّة الأولى . ثمَّ كتب إليه في العام الثالث . فكتب إليه عمر يحمد الله على ذلك ، وقال : إنَّ بني إسرائيل إنَّما هلكت حين كثرت قرَّاؤهم [1746] .

لقد أدرك عمر (وهو أحد دهاة العرب) بأنَّ كثرة القراء يؤدي الى إختلاف الأمّة وهلاكها ! وفعلا حدثت فتنة الخوارج !!

ابن الكواء الخارجي

أحد الخوارج العتاة الذين باعوا أنفسهم للشيطان فباعوا دينهم بسعر بخس .

والملاحظ في سيرة ابن الكوّاء الخارجي يلاحظ منهجاً إبليسياً في التعامل مع الأحداث وطرح الأسئلة لا يراد منها الهداية بل يراد بها امتحان الطرف المقابل .

فقال للإمام (عليه السلام): (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [1747].

فيجيبه الإمام الممتحن بقوله تعالى :

(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ) [1748].

وقد جرت بين الإمام (عليه السلام) وابن الكوّاء عدّة مناظرات لم يكن غرض ابن الكوّاء الوقوف على الواقع والتعرّف على الحقّ ، وإنّما غرضه امتحان الإمام وإزعاجه ، ومن بين تلك المناظرات ما يلي :

ابن الكوّاء : أخبرني عن بصير بالليل وبصير بالنهار ؟

وعن أعمى بالليل وأعمى بالنهار .

وعن أعمى بالليل بصير بالنهار .

وعن أعمى بالنهار بصير بالليل ؟

الإمام : « سل عمّا يعنيك ولا تسأل عمّا لا يعنيك . ويلك !

أمّا بصير بالليل وبصير بالنهار : فهو رجل آمن بالرسل والأوصياء الذين مضوا وبالكتب والنبيّين وآمن بالله ونبيّه محمّد (صلى الله عليه وآله) وأقرّ لي بالولاية ، فأبصر في ليله ونهاره .

وأمّا بصير بالليل أعمى بالنهار : فرجل آمن بالأنبياء والكتب ، وجحد النبي (صلى الله عليه وآله)وأنكر حقّاً فأبصر بالليل وعمي بالنهار .

وأمّا أعمى بالليل أعمى بالنهار : فرجل جحد الأنبياء والأوصياء والكتب التي مضت ، وأدرك النبي (صلى الله عليه وآله) فلم يؤمن به ، ولم يقرّ بولايتي ، فجحد الله عزّوجلّ ونبيّه فعمي بالليل وعمي بالنهار .

وأمّا أعمى بالليل وبصير بالنهار ، فرجل جحد الأنبياء الذين مضوا والأوصياء والكتب ، وأدرك محمّداً (صلى الله عليه وآله) فآمن بالله وبرسوله محمّد (صلى الله عليه وآله) ، وآمن بإمامتي ، وقبل ولايتي ، فعمي بالليل وأبصر بالنهار .

ويلك يابن الكوّاء ! نحن بنو أبي طالب ، بنا فتح الله الإسلام ، وبنا يختمه » [1749].

ولم يكن يبغي ابن الكوّاء في هذه المناظرة الوقوف على الواقع والانتهال من نمير علوم الإمام ، وإنّما كان يبغي التبكيت بالإمام وامتحانه .

كان إمام المتّقين [1750]على المنبر يخطب الناس ويوعظهم ، ويرشدهم إلى طريق الحقّ ، فانبرى إليه ابن الكوّاء فقال له :

أخبرني عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً ؟ وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كانا أم من فضّة ؟

فأجابه الإمام : « لم يكن نبيّاً ولا ملكاً ، ولم يكن قرناه من ذهب ولا فضّة ، ولكنّه كان عبداً أحبّ الله فأحبّه الله ، ونصح لله فنصح الله له ، وإنّما سمّي « ذا القرنين » لأنّه دعا قومه إلى الله عزّوجلّ فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً ثمّ عاد إليهم ، فضرب على قرنه الآخر ، وفيكم مثله » [1751].

يعني نفسه الشريفة ، فقد ضربه عمرو بن عبد ودّ على قرنه الأوّل ، وضربه الزنيم الفاجر ابن ملجم ضربة أُخرى على هامته ففلقها ، وكانت بها شهادته .

روى الأصبغ بن نباتة قال : كنت جالساً عند الإمام (عليه السلام) فجاء ابن الكوّاء ، فقال للإمام : مَنِ البيوت في قول الله عزّوجلّ : (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) [1752]؟

فقال الإمام (عليه السلام): « نحن البيوت التي أمر الله بها أن تؤتى من أبوابها ، نحن باب الله وبيوته التي يؤتى منها ، فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ، ومن خالفنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها » .

فقال ابن الكوّاء : (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ) [1753]؟

فأجابه الإمام : « نحن أصحاب الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف يوم القيامة بين الجنّة والنار ، ولا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرنا وأنكرناه ، وذلك بأنّ الله عزّوجلّ لو شاء عرّف للناس نفسه حتّى يعرفوه وحده ، ويأتوه من بابه ، ولكنّه جعلنا أبوابه وصراطه وبابه الذي يؤتى منه ، فقال ـ فيمن عدل عن ولايتنا وفضّل علينا غيرنا فإنّهم (عَنْ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) [1754]» [1755].

كان الإمام (عليه السلام)على المنبر يخطب الناس ، فانبرى إليه ابن الكوّاء فقال له : ياأمير المؤمنين ، ما الذاريات ذروا ؟

قال (عليه السلام): « الرياح » .

ما الحاملات وقراً ؟

قال (عليه السلام): « السحاب » .

ما الجاريات يُسراً ؟

قال (عليه السلام): « السفن » .

ما المقسّمات أمراً ؟

قال (عليه السلام): « الملائكة » .

وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً .

قال (عليه السلام): « ثكلتك أُمّك يابن الكوّاء ! كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً ، ولا ينقض بعضه بعضاً سل عمّا بدا لك » .

سمعته يقول : (بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) [1756].

ويقول : (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) [1757].

وقال في آية أُخرى : (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) [1758].

« يابن الكوّاء ! هذا المشرق وهذا المغرب » . وأومأ إلى جهة المشرق والمغرب .

« وأمّا قوله : (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) فإنّ مشرق الشتاء على حدة ومشرق الصيف على حدة ، أما تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها ؟

وأمّا قوله : (بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) ، فإنّ لها ـ أي الشمس ـ ثلاثمائة وستين برجاً ، تطلع كل يوم من برج وتغيب في آخر ، فلا تعود إليه إلاّ من قابل في ذلك اليوم » .

ابن الكوّاء : كم بين موضع قدمك إلى عرش ربّك ؟

قال (عليه السلام): « ثكلتك أُمّك يابن الكوّاء ! سل متعلّماً ولا تسأل متعنّتاً ، من موضع قدمي إلى عرش ربّي أن يقول قائل ـ مخلصاً ـ : لا إله إلاّ الله » .

ما ثواب من قال : لا إله إلاّ الله ؟

« من قال : لا إله إلاّ الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرقّ الأبيض ، فإن قال ثانية : لا إله إلاّ الله مخلصاً خرقت أبواب السموات وصفوف الملائكة حتّى تقول الملائكة اخشعوا لعظمة الله ، فإذا قال ثالثة : لا إله إلاّ الله ـ مخلصاً ـ تنتهي دون العرش ، فيقول الجليل : لأغفرنّ لقائلك بما كان فيه ، ثمّ تلا قوله تعالى : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [1759]» .

ابن الكوّاء : أخبرني عن قوس قزح ؟

قال (عليه السلام): « لا تقل : قوس قزح ، فإنّ قزحاً اسم شيطان ، ولكن قل : قوس الله إذا بدا يبدو الخصب والريف » .

ابن الكوّاء : أخبرني عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

قال (عليه السلام): « عن أي أصحاب رسول الله تسألنيْ ؟ » .

قال ابن الكوّاء : أخبرني عن أبي ذرّ الغفاري ؟

قال (عليه السلام): « سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء ، ذا لهجة أصدق من أبي ذرّ » .

أخبرني عن سلمان الفارسي ؟

« بخ بخ سلمان منّا أهل البيت ، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم ؟ عَلِمَ عِلْمَ الأوّل والآخر » .

أخبرني عن حذيفة بن اليماني ؟

« ذاك أمرؤ علم أسماء المنافقين ، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عالماً » .

أخبرني عن عمّار بن ياسر ؟

« ذاك امرؤ حرّم الله لحمه ودمه على النار أن تمسّ شيئاً منها » .

أخبرني عن نفسك ؟

« كنت إذا سألت أُعطيت ، وإذا سكت ابتدئت » .

أخبرني عن قول الله عزّوجلّ : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا) [1760]؟

« كفرة أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، وقد كانوا على الحقّ فابتدعوا في أديانهم ، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً » .

ثمّ نزل الإمام عن المنبر ، وضرب بيده على منكب ابن الكوّاء ، وقال له : « يابن الكوّاء ! ما أهل النهروان منك ببعيد ! » .

فقال ابن الكوّاء : ما أُريد غيرك ، ولا أسأل سواك .

ولم تمض الأيّام حتّى كان ابن الكوّاء في مقدّمة المحاربين للإمام يوم النهروان ، فقيل له : بالأمس تسأل أمير المؤمنين وأنت اليوم تقاتله ؟

وانبرى إليه رجل فطعنه برمحه فهلك عدوّ الله [1761].

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لأصحابه :

« سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله عزّوجلّ ، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله في ليل ونهار إلاّ وقد أقرأنيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلّمني تأويلها » .

فقام إليه ابن الكوّاء فقال له : فما كان ينزل عليه وأنت غائب ؟

قال (عليه السلام): « كان رسول الله ينزل عليه من القرآن وأنا غائب عنه حتّى أقدم عليه ، فإذا قدمت عليه فيقرأنيه ، ويقول لي : ياعلي ، أنزل الله عليَّ بعدك كذا وكذا ، وتأويله كذا وكذا ، فيعلّمني تنزيله وتأويله » [1762].

الدلائل والعبر

ابتدع عمر صلاة التراويح جماعة وحرّمها الإمام علي (عليه السلام) رعاية لمدرسة القانون ، وضجّ الناس في الكوفة وبكوا على صلاة التراويح ، فقال علي (عليه السلام): دعوهم وما يريدون [1763].

وقد ضجّ الناس عند اغلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبوابهم وأبقى باب علي (عليه السلام) [1764].

فثقافة صلاة التراويح أوجدها عمر في ليالي شهر رمضان وتعوّد عليها الناس إلى حدّ إصرارهم عليها رغم معرفتهم كونها بأوامر عمرية غير نبوية .

وهؤلاء هم القرّاء الذين أصرّوا على قول لا حكم إلاّ لله ، الذي لا يعرفون مغزاه .

وسمح الامام لهؤلاء باقامة تلك الصلاة البدعة ولم يقتلهم ولم يسجنهم بل أعطاهم حرية كاملة في عباداتهم وأقوالهم .

وهذه الحرية لم تكن موجودة في زمن أبى بكر وعمر وعثمان، اذ ملا رجال السقيفة فم الحباب بن المنذر (أحد زعماء الانصار)تراباً فى السقيفة لمخالفته بيعة أبى بكر .

وعلّم الحزب القرشي الناس على ثقافتهم في عدم احترام محمّد (صلى الله عليه وآله)وعلي (عليه السلام)ومخالفة القانون الإسلامي .

لذا قال علي (عليه السلام): اللهمّ إنّي أستعينك على قريش ومن أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي ، وصغّروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي [1765].

والخوارج حركة خارجة عن الإطار الإسلامي وبعيدة عن جوهره وروحه .

وهي مخالفة لتعاليم النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) وعن وصاياه الخالدة .

فالنبي محمّد (صلى الله عليه وآله) أوصى بتفسير القرآن الكريم وألحّ على هذا الباب ليصل المسلمون إلى غاياتهم في فهم كتاب الله تعالى والحصول على المعارف الإلهية .

لكنّ أبا بكر منع هذا الباب طبقاً لنظرية وضعها رجال السقيفة .

وعندما جاء عمر بن الخطّاب إلى السلطة اشتدّ في هذا الباب فعاقب عقوبات صارمة كلّ من سأل عن تفسير القرآن وعلى رأس هؤلاء صبيغ .

فعقوبة الدولة لصبيغ كانت من الشدّة بمكان بحيث تمنّى الموت على الحياة .

وحذّر عبدالله بن عبّاس عمر من هذا التوجّه الداعي إلى إبقاء القراءة القرآنية ومنع التفسير مستشهداً بما حلّ باليهود في هذا المجال .

لكنّ عمر استمرّ في هذا المجال مع إدراكه لخطورته ، وأوصى الأشعري بإبقاء مسيرة القرّاء كما هي دون تفسير قرآني .

فأصبحت النتيجة ، تجمّع الآلاف من القرّاء في البصرة والكوفة يقرأون القرآن كثيراً ولا يفهمون ما فيه وهذه المجموعة الغوغاء كثر ادّعاؤها في الدين مع فراغ بيّن في المعرفة .

ولمّا رفع عمرو بن العاص المصاحف على الرماح في صفّين أصرّ هؤلاء على التحكيم إلى كتاب الله وعددهم أكثر من عشرين الف مقاتل .

هذا هو إصرارهم الأوّل . وإصرارهم الثاني كان على تولية مربّيهم الأشعري في قضية التحكيم ، لأنّه هو الذي ربّاهم وشجّعهم على هذا الطريق بأمر عمر .

فكان هذا هو الخطأ الثاني لهم في منهجيّتهم المنحرفة .

والجدير بالذكر أنّ أبا موسى الأشعري مثلما ربّاهم على الولع بالقراءة القرآنية بعيداً عن التفسير النبوي للقرآن ربّاهم على بغض أهل بيت محمّد وعدم أهميّتهم .

فنظرية النبي (صلى الله عليه وآله) تمثّلت في : إنّي تارك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

ونظرية عمر وصحبه تمثّلت في : حسبنا كتاب الله .

فنشأ القرّاء على نظرية عرجاء خالية من أهل بيت محمّد (صلى الله عليه وآله) ولطول فترة حكم الفسقة في البصرة والكوفة فقد عظمت المصيبة .

إذ حكم في هذين المصرين المهمّين المغيرة والأشعري والوليد بن عقبة اليهودي وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر الأُموي .

وهؤلاء الزموا الناس هناك بالقراءة الخاوية بعيداً عن الحديث النبوي ، فنشأت طوائف الناكثين والقاسطين والمارقين [1766].

فالناكثون لم يعد عندهم فرق بين حكم عثمان وعلي (عليه السلام) مع أنّ عثمان ارتكب الموبقات وقتل الصحابة دون ذنب ولم يخطأ علي (عليه السلام) .

وعندما خاطب الإمام علي (عليه السلام) الخوارج وبيّن لهم الحقيقة عاد الكثير منهم إلى الصفّ الإسلامي وبقيت آلاف قليلة .

ورغم مقتل هذه العدّة في النهروان بقيت ثقافة الخوارج في المجتمع الإسلامي ، وانتشرت بذور هذه الثقافة في العراق وايران وافريقيا .

وراح ضحيّة هذه الموجات الشاذّة الكثير من الأبرياء وأحدثت عصبيات مقيتة في وسط المسلمين .

وحركة الوهّابية نشأت في ساحة الثقافة الخارجية تلك وإعلانها نفس إعلان السقيفة : حسبنا كتاب الله . وتسير على مشروعها في تكفير الآخرين وتمجيد نفسها .

والمتدبّر في مطاليب الخوارج يدرك عقم غاياتهم وضحالة ثقافتهم وتزلزل إيمانهم . فلم يطالبوا الإمام (عليه السلام) بعزل وال أو إرجاع مال أو معاقبة ظالم .

وعادة الانتفاضات والحروب تقوم لمطاليب مادّية أو معنوية ممكنة وعقلائية .

وفي الثورة الإسلامية المعارضة لأعمال عثمان طالب الثوّار بعزل الولاة الفسقة كسعيد بن العاص وعبدالله بن أبي سرح والي مصر وعبدالله بن عامر والي البصرة وعزل وزيره الفاسق مروان بن الحكم .

ولو استجاب عثمان لبعض مطاليبهم لأنحلّت عرى الثورة ، لكنّه لم يتراجع عن أمر واحد ... فقتله الثوّار .

ومن الأُصول الإسلامية مراعاة الحاكم للرعية في مطاليبها وإعطائها حقوقها وتطبيق العدالة في صفوفها .

ولمّا خطب الإمام علي (عليه السلام) الخوارج وفنّد مزاعمهم وأسقط حججهم تراجع الآلاف منهم إلى صفوف المسلمين .

وفي أيّامنا هذه يرفع الكثير من العلمانيين شعارات الخوارج بصور شتّى وألوان مختلفة بعيداً عن العقل والحكمة .

واستغلّ اليهود والصليبيون هذه الثغرة لقتل كلّ مسلم مطالب بحقوقه تحت راية الإرهاب .

ولا تتمكّن أي مجموعة استغلال الظروف الزمانية والمكانية لتحطيم الشعوب والأُمم الأُخرى تحت عناوين شتّى .

فعلى المسلمين الاتّحاد والتمسّك بالدين والقيادة الإسلامية وعدم السماح للأعداء باللعب بمقدّراتهم مهما كانت الظروف .

ولا يجوز لأي دولة أو جماعة نصب نفسها قيّمة على البلدان والأُمم الأُخرى .

ولا يحيا الاسلام الا بالثقلين القرآن وأهل البيت .

الباب الثالث : الغارات الهمجية

الفصل الاول : غارة ابن الحضرمي على البصرة

وتشجّع معاوية بن أبي سفيان بعد احتلاله مصراً لإرسال الجيوش إلى الولايات التابعة للإمام علي (عليه السلام)لاحتلالها وضمّها إلى مملكته فأرسل ابن الحضرمي إلى البصرة .

وفي البصرة أعداء الإمام علي (عليه السلام) ممّن حاربوا في معركة الجمل في صفوف عائشة .

فنزل ابن الحضرمي في قبيلة بني تميم ، وكان ابن عباس قد ذهب إلى الكوفة ووكل زياد بن أبيه .

فأرسل زياد إلى حصين بن المنذر ومالك بن مسمع فقال : أنتم يامعشر بكر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثقاته وقد نزل ابن الحضرمي حيث ترون فامنعوني حتّى يأتيني رأي أمير المؤمنين (عليه السلام).

فقال حصين نعم ، وتردّد مالك .

فلمّا رأى زياد ذلك أرسل إلى صبرة بن شيمان الحداني طالباً أن يجيره .

قال : بلى إن حملته إليّ ونزلت داري .

قال : فإنّي حامله ، فحمله وخرج زياد حتّى أتى الحدّان ونزل في دار صبرة بن شيمان ، وحوّل بيت المال والمنبر فوضعه في مسجد الحدّان ، وتحوّل مع زياد خمسون رجلا منهم أبو أبي حاضر .

وكان زياد يصلّي الجمعة في مسجد الحدّان ويطعم الطعام .

فقال زيد لجابر بن وهب الراسبي : يأبا محمّد إنّي لا أرى ابن الحضرمي يكفّ ، ولا أراه إلاّ سيقاتلكم ، ولا أدري ما عند أصحابك فآمرهم وانظر ما عندهم ، فلمّا صلّى زياد جلس في المسجد ، واجتمع الناس إليه فقال جابر : يامعشر الأزد ، تميم تزعم أنّهم هم الناس وأنّهم أصبر منكم عند البأس ، وقد بلغني أنّهم يريدون أن يسيروا إليكم حتّى يأخذوا جاركم ويخرجوه من المصر قسراً ، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أجرتموه وبيت مال المسلمين ؟!

فقال صبرة بن شيمان ، وكان مفخّماً : إن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء الحُتات جئت ، وإن جاء شُبّان ففينا شبّان .

فكان زياد يقول : إنّني استضحكت ونهضت ، وما كدت مكيدة قطّ كنت إلى الفضيحة بها أقرب منّي للفضيحة يومئذ لما غلبني من الضحك .

قال : ثمّ كتب زياد إلى علي (عليه السلام) : إنّ ابن الحضرمي أقبل من الشام فنزل في دار بني تميم ، ونعى عثمان ودعا إلى الحرب وبايعته تميم وجلّ أهل البصرة ، ولم يبق معي من أمتنع به ، فاستجرت لنفسي ولبيت المال صبرة بن شيمان ، وتحوّلت فنزلت معهم ،

فشيعة عثمان يختلفون إلى ابن الحضرمي .

فوجّه علي أعين بن ضُبيعة المجاشعي ليفرّق قومه عن ابن الحضرمي ، فانظر ما يكون منه ، فإن فرّق جمع ابن الحضرمي فذلك ما تريد ، وإن ترقّت بهم الأُمور إلى التمادي في العصيان فانهض إليهم فجاهدهم ، فإن رأيت ممّن قِبلك تثاقلا وخفت أن لا تبلغ ما تريد ، فدارهم وطاولهم ثمّ تسمّع وأبصر ، فكأنّ جنود الله قد أظلّتك تقتل الظالمين .

فقدم أعين فأتى زياداً فنزل عنده ، ثمّ أتى قومه وجمع رجالا ونهض إلى ابن الحضرمي ، فدعاهم فشتموه وناوشوه فانصرف عنهم ، ودخل عليه قوم فقتلوه .

فلمّا قتل أعين بن ضبيعة أراد زياد قتالهم ، فأرسلت بنو تميم إلى الأزد : إنّا لم نعرض لجاركم ولا لأحد من أصحابه ، فماذا تريدون إلى جارنا وحربنا ؟ فكرهت الأزد القتال وقالوا : إن عرضوا لجارنا منعناهم ، وإن يكفّوا عن جارنا كففنا عن جارهم فأمسكوا .

وكتب زياد إلى علي (عليه السلام): أنّ أعين بن ضبيعة قدم فجمع من أطاعه من عشيرته ، ثمّ نهض بهم بجدّ وصدق نيّة إلى ابن الحضرمي ، فحثّهم على الطاعة ودعاهم إلى الكفّ والرجوع عن شقاقهم ، ووافقتهم عامّة قوم فهالهم ذلك ، وتصدّع عنهم كثير ممّن كان معهم يمنّيهم نصرته .

وكانت بينهم مناوشة ، ثمّ انصرف إلى أهله فدخلوا عليه فاغتالوه فأُصيب رحم الله أعين ، فأردت قتالهم عند ذلك فلم يخفّ معي من أقوى به عليهم ، وتراسل الحيّان فأمسك بعضهم عن بعض .

فلمّا قرأ علي (عليه السلام)كتابه دعا جارية بن قدامة السعدي فوجّهه في خمسمائة رجل ، وبعث معه شريك بن الأعور وكتب إلى زياد كتاباً يصوّب رأيه فيما صنع وأمره بمعونة جارية بن قدامة والإشارة عليه ، فقدم جارية البصرة ، فأتى زياداً فقال له : احتفز واحذر أن يصيبك ما أصاب صاحبك ، ولا تثقنّ بأحد من القوم .

فسار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب علي (عليه السلام) ووعدهم ، فأجابه أكثرهم ، فسار إلى ابن الحضرمي فحصره في دار سنبيل ثمّ أحرق عليه الدار وعلى من معه ، وكان معه سبعون رجلا وتفرّق الناس ورجع زياد إلى دار الإمارة ، وكتب إلى علي (عليه السلام) مع ظبيان بن عمارة (وكان ممّن قدم مع جارية) :

انّ جارية قدم علينا فسار إلى ابن الحضرمي حتّى اضطرّه إلى دار من دور بني تميم في عدّة رجال من أصحابه بعد الإعذار والإنذار والدعاء إلى الطاعة ، فلم ينيبوا ولم يرجعوا ، فأضرم عليهم الدار فأحرقهم فيها وهدمت عليهم ، فبُعداً لمن طغى وعصى [1767].

وهكذا انتهت غارة معاوية على البصرة بالخيبة والخسران بيد رجال أقوياء مثل جارية بن قدامة [1768].

غارة النعمان بن بشير المنافق

وفي السنة 39هـ فرّق معاوية جيوشه في العراق في أطراف علي (عليه السلام) ، فوجّه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر ، وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلي (عليه السلام)في ألف رجل ، وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه إلاّ مائة رجل ، فلمّا سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين يخبره ويستمدّه .

فخطب علي (عليه السلام)الناس ، وأمرهم بالخروج إليه ، فتثاقلوا .

وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه ، وكتب مالك إلى مخنف بن سليم يستعينه ، وهو قريب منه ، واقتتل مالك والنعمان أشدّ قتال ، فوجّه مخنف ابنه عبدالرحمن في خمسين رجلا ، فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جفون سيفوهم واستقتلوا فلمّا رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء ، وظنّوا أنّ لهم مدداً ، وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر .

ولمّا تثاقل أهل الكوفة عن الخروج إلى مالك ، صعد علي (عليه السلام) المنبر فخطبهم ، ثمّ قال :

يأهل الكوفة ! كلّما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلّكم انجحر كلّ امرئ منكم في بيته ، وأغلق عليه بابه انجحار الضبّ في جحره ، والضبع في وجارها ، المغرور من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان عند النجاء ! ماذا مُنيت به منكم ؟ عُميٌ لا يبصرون ، وبكم لا ينطقون ، وصم لا يسمعون ! إنّا لله وإنّا إليه راجعون [1769].

ويحكم ! اخرجوا إلى أخيكم مالك بن كعب ، فإنّ النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير ، فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ الله يقطع بكم من الظالمين طرفاً ! ثمّ نزل .

فلم يخرجوا ، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم ، فأمرهم أن ينهضوا ويحثّوا الناس على المسير ، فلم يصنعوا شيئاً [1770].

والنعمان بن بشير بن سعد كان أبوه أيضاً من المنافقين المعادين لاهل بيت محمّد (صلى الله عليه وآله)، وسار على نهجه النعمان فباع دينه إلى معاوية بن أبي سفيان بثمن بخس .

غارة سفيان بن عوف الغامدي

أرسل معاوية بن أبي سفيان في سنة 39هـ ستّة آلاف رجل مع سفيان بن عوف الغامدي قائلا :

إنّي باعثك في جيش كثيف ذي أداة وجلادة فالزم لي جانب الفرات حتّى تمرّ بهيت [1771] فتقطعها ، فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم وإلاّ فامض حتّى تغير على الأنبار ، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتّى تغير على المدائن ثمّ أقبل إليّ ، واتّق أن تقرب الكوفة ، واعلم أنّك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنّك أغرت على الكوفة ، إنّ هذه الغارات ياسفيان على أهل العراق ترهب قلوبهم وتجرّئ كلّ من كان له فينا هوىً منهم ويرى فراقهم ، وتدعو إلينا كلّ من كان يخاف الدوائر ، وخرِّب كلّ ما مررت به من القرى ، واقتل كلّ من لقيت ممّن ليس هو على رأيك ،

واحرب [1772]الأموال ، فإنّه شبيه بالقتل وهو أوجع للقلوب [1773].

فأتى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثمّ أتى الأنبار وفيها مسلحة لعلي (عليه السلام) تكون خمسمائة رجل وقد تفرّقوا ولم يبق منهم إلاّ مائتا رجل ، وكان سبب تفرّقهم أنّه كان عليهم كميل بن زياد ، فبلغه أنّ قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار إليهم بغير أمر علي (عليه السلام).

فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها ، فأغضب ذلك علياً (عليه السلام) على كميل ، فكتب إليه ينكر ذلك عليه . وطمع سفيان في أصحاب علي (عليه السلام) لقلّتهم فقاتلهم ، فصبر أصحاب علي (عليه السلام) ثمّ قتل صاحبهم ، وهو أشرس بن حسّان البكري ، وثلاثون رجلا ، واحتملوا ما في الأنبار من أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية . وبلغ الخبر علياً فأرسل في طلبهم فلم يدركوا [1774].

وتبعه سعيد إلى عانات فلم يلحقه وأرسل الإمام علي (عليه السلام) معقل بن قيس التميمي فلم يعد حتّى أُصيب الإمام (عليه السلام) [1775].

غارة عبدالرحمن بن قباث

وفيها سيّر معاوية عبدالرحمن بن قباث بن أشيم إلى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر ـ جدّ الكرماني الذي كان بخراسان ـ وكان شبيب بنصيبين [1776]، فكتب إلى كميل بن زياد ، وهو بهيت ، يعلمه خبرهم . وذلك في سنة 39هجرية .

فسار كميل إليه نجدة له في ستمائة فارس ، فأدركوا عبدالرحمن ومعه معن بن يزيد السلمي ، فقاتلهما كميل وهزمهما ، فغلب على عسكرهما ، وأكثر القتل في أهل الشام ، وأمر أن لا يُتبع مدبر ولا يُجهز على جريح ، وقتل من أصحاب كميل رجلان .

وكتب إلى علي (عليه السلام)بالفتح فجزاه خيراً ، وأجابه جواباً حسناً ورضي عنه ، وكان ساخطاً عليه ... .

وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلا قد أوقع بالقوم فهنّأه بالظفر ، وأتبع الشاميين فلم يلحقهم ، فعبر الفرات ، وبثّ خيله ، فأغارت على أهل الشام حتّى بلغ بعلبك [1777].

فوجّه معاوية إليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ، ورجع شبيب فأغار على نواحي الرقّة [1778]; فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلاّ استاقها ، ولا خيلا ولا سلاحاً إلاّ أخذه ، وعاد إلى نصيبين وكتب إلى علي (عليه السلام) .

فكتب إليه علي (عليه السلام)ينهاه عن أخذ أموال الناس إلاّ الخيل والسلاح الذي يقاتلون به ، وقال : رحم الله شبيباً ، لقد أبعد الغارة وعجّل الانتصار [1779].

فالإمام علي (عليه السلام)لا يريد حملات جاهلية رعناء كما يفعل معاوية لأنّه يريد نشر الأخلاق الإسلامية الفاضلة لا الوصول إلى النصر بالجور والظلم .

غارة عبدالله بن مسعدة

وجّه معاوية في سنة 39هـ أيضاً عبدالله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء [1780]، وأمره أن يُصدِّق من مرّ به من أهل البوادي ، وأن يقتل من امتنع من عطاء صدقة ماله ، ثمّ يأتي مكّة والمدينة والحجاز ، يفعل ذلك ، واجتمع إليه بشر كثير من قومه .

فلمّا بلغ ذلك علياً (عليه السلام)وجّه المسيّب بن نجبة الفزاري ، فسار في ألفي رجل من طي وهمدان حتّى لحق ابن مسعدة بتيماء .

فاقتتلوا ذلك اليوم حتّى زالت الشمس قتالا شديداً ، وحمل المسيّب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات ، كلّ ذلك لا يلتمس قتله ويقول له : النجاء النجاء [1781]!

فدخل ابن مسعدة وعامّة من معه الحصن ، وهرب الباقون نحو الشام ، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة ، وحصره ومن كان معه المسيّب ثلاثة أيّام ، ثمّ ألقى الحطب على الباب ، وألقى النيران فيه ، حتّى احترق .

فلمّا أحسّوا بالهلاك أشرفوا على المسيّب فقالوا : يامسيّب ! قومك ! فرقّ لهم ، وكره هلاكهم ، فأمر بالنار فأُطفئت ، وقال لأصحابه : قد جاءتني عيون فأخبروني أنّ جنداً قد أقبل إليكم من الشام ، فانضمّوا في مكان واحد .

فخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلا حتّى لحقوا بالشام ، فقال له عبدالرحمن بن شبيب : سِر بنا في طلبهم ، فأبى ذلك عليه ، فقال له : غششت أمير المؤمنين ، وداهنت في أمرهم [1782].

ولو قضى المسيّب على جيش الشام بأكملهم لتصدّعت قوّات معاوية وتقوّت قوّات الإمام (عليه السلام).

الغارات التي أرسلها معاوية صوب العراق والحجاز أعادت المسلمين إلى عهد الجاهلية حيث غزوات الأعراب على بعضهم البعض لسبي النساء وقتل الأطفال وحرق البيوت وسلب الأموال وقتل الأبرياء .

وما كان النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) يقوم بهذه الأعمال الدنيئة المخالفة للإسلام والحضارة .

وسار الإمام علي (عليه السلام)على نظرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا المجال فلم يحرق الحقول ولم يقتل الأبرياء ولم يسبِ المؤمنات المحصنات .

وكان الناكثون والقاسطون والمارقون قد ساروا على هذه النظرية العقيمة والكافرة للوصول إلى غاياتهم .

غارة الضحّاك بن قيس

دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري ، وقال له : سِر حتّى تمرّ بناحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحة [1783]أو خيلا فأغر عليهما ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أُخرى ، ولا تقيمنّ لخيل

بلغك أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها ، فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل .

فأقبل الضحّاك يأخذ الأموال ، ويقتل من لقي من الأعراب حتّى مرّ بالثعلبية فأغارت خيله على الحاجّ ، فأخذ أمتعتهم ، ثمّ أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي ـ وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله)ـ فقتله في طريق الحاجّ عند القطقطانة [1784]وقتل معه ناساً من أصحابه .

قال أبو روق : فحدّثني أبي أنّه سمع علياً (عليه السلام) وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر : ياأهل الكوفة ! اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس ، وإلى جيوش لكم قد أُصيب منها طرف ; اخرجوا فقاتلوا عدوّكم وامنعوا حريمكم ، إن كنتم فاعلين .

قال : فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً ، ورأى منهم عجزاً وفشلا فقال :

والله ، لوددت أنّ لي بكلّ مائة منكم رجلا منهم ، ويحكم اخرجوا معي ، ثمّ فِرّوا عنّي إن بدا لكم ، فوالله ما أكره لقاء ربّي على نيّتي وبصيرتي ، وفي ذلك رَوح لي عظيم ، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العَمِدة ، والثياب المتهتّرة ، كلّما خيطت من جانب تهتّكت على صاحبها من جانب آخر ، ثمّ نزل . فخرج يمشي حتّى بلغ الغريين [1785]، ثمّ دعا حجر بن عدي الكندي من خيله فعقد له راية على أربعة آلاف ، ثمّ سرّحه [1786].

فخرج حتّى مرّ بالسماوة ، فلم يزل مغذاً في ملاحقة الضحّاك حتّى لقيه بناحية تدمر فاقتتلوا ساعة . فقتل من أصحاب الضحّاك تسعة عشر رجلا وقتل من أصحاب حجر رجلان فمضى الضحّاك . فلمّا أصبحوا لم يجدو له ولأصحابه أثراً [1787].

غارة بسر بن أرطأة

ثمّ أرسل معاوية بسر بن أرطأة في جيش فساروا من الشام حتّى قدموا المدينة ، وعامل علي (عليه السلام)على المدينة يومئذ أبو أيّوب الأنصاري ، ففرّ منهم أبو أيّوب فأتى علياً بالكوفة .

ودخل بسر المدينة ، فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد ، فنادى على المنبر : يادينار ، ويانجّار ، ويازريق ، شيخي شيخي ! عهدي به بالأمس ، فأين هو ! يعني عثمان . ثمّ قال : ياأهل المدينة ! والله ، لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركت بها محتلماً إلاّ قتلته ، ثمّ بايع أهل المدينة .

وأرسل إلى بني سلمة ، فقال : والله ، ما لكم عندي من أمان ، ولا مبايعة حتّى تأتوني بجابر بن عبدالله . فانطلق جابر إلى أُمّ سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) فقال لها : ماذا ترين ؟ إنّي قد خشيت أن أُقتل ، وهذه بيعة ضلالة .

قالت : أرى أن تبايع ; فإنّي قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع ، وأمرت ختني عبدالله بن زمعة ـ وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبدالله بن زمعة فأتاه جابر فبايعه .

فخافه أبو موسى أن يقتله ، فقال له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله)ذلك ، فخلّى عنه .

وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن : إنّ خيلا مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس ، تقتل من أبى أن يقرّ بالحكومة .

قالت : إذاً فبايع ; فإنّ التقيّة حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصُّلُب ، ويحضرون الأعياد مع قومهم .

وهدم بسر دوراً بالمدينة ، ثمّ مضى حتّى أتى مكّة ، ثمّ مضى حتّى أتى اليمن .

وبلغ علياً الخبر ، فقام خطيباً فقال : أيّها الناس ! إنّ أوّل نقصكم ذهاب أُولي النُّهى والرأي منكم ; الذين يحدّثون فيصدقون ، ويقولون فيفعلون ، وإنّي قد دعوتكم عوداً وبدءاً ، وسرّاً وجهراً ، وليلا ونهاراً ; فما يزيدكم دعائي إلاّ فراراً ، ما ينفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة .

أما والله ، إنّي لعالم بما يصلحكم ، ولكن في ذلك فسادي ، امهلوني قليلا ، فوالله ، لقد جاءكم من يحزنكم ويعذّبكم ويعذّبه الله بكم .

إنّ من ذلّ الإسلام وهلاك الدين أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيبون ، وأدعوكم ، وأنتم لا تصلحون ، فتراعون ، هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مكّة والمدينة .

فقام جارية بن قدامة السعدي فقال : ياأمير المؤمنين ! لا عدمنا الله قربك ، ولا أرانا فراقك ، فنعم الأدب أدبك ، ونعم الإمام والله أنت ، أنا لهؤلاء القوم فسرّحني إليهم !

قال : تجهّز ; فإنّك ما علمتك رجل في الشدّة والرخاء ، المبارك الميمون النقيبة . ثمّ قام وهب بن مسعود الخثعمي فقال : أنا أنتدب ياأمير المؤمنين .

قال : انتدب ، بارك الله عليك .

فخرج جارية في ألفين ، ووهب بن مسعود في الفين ، وأمرهما علي (عليه السلام) أن يطلبا بسراً حيث كان حتّى يلحقاه ، فإذا اجتمعا فرأس الناس جارية .

فخرج جارية من البصرة ، حتّى قدم اليمن ، وقد تنحّى عبيدالله بن عباس عن اليمن ، واستخلف بها عبدالله بن المدان الحارثي ، فأتاه بسر فقتله ، وقتل ابنه مالك بن عبدالله ، وقد كان عبيدالله خلّف ابنيه عبدالرحمن وقثم عند جويرية ابنة قارظ الكنانية ـ وهي أُمّهما ـ وخلّف معها رجلا من كنانة .

فلمّا انتهى بسر إليها دعا ابني عبيدالله ليقتلهما ، فقام الكناني فانتضى سيفه وقال : والله لأُقتلنّ دونهما فأُلاقي عذراً لي عند الله والناس ، فضارب بسيفه حتّى قتل ، وخرجت نسوة من بني كنانة فقلن : يابسر ! هكذا الرجال يقتلون ، فما بال الولدان ؟! والله ما كانت الجاهلية تقتلهم ، والله إنّ سلطاناً لا يشتدّ إلاّ بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء .

فقال بسر : والله ، لقد هممت أن أضع فيكنّ السيف ، وقدّم الطفلين فذبحهما.

وأوصى معاوية بسراً بالقتل والحرق والسطو والتخويف والتدمير ولمّا عاد بسر قَبِل معاوية بن أبي سفيان أعمال بسر وشجّعه قائلا له : الله فعل ذلك لا أنت [1788].

ثمّ جمع بسر أهل نجران فقال : ياإخوان النصارى ! أما والذي لا إله غيره لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأُكثرنّ قتلاكم . ثمّ سار نحو جيشان ـ وهم شيعة لعلي ـ فقاتلهم ، فهزمهم ، وقتل فيهم قتلا ذريعاً ، ثمّ رجع إلى صنعاء .

وسار جارية بن قدامة السعدي حتّى أتى نجران وطلب بسراً ، فهرب منه في الأرض ، ولم يقم له ، وقتل من أصحابه خلقاً ، وأتبعهم بقتل وأسر حتّى بلغ مكّة ، ومرّ بسر حتّى دخل الحجاز لا يلوي على شيء [1789].

وهدف معاوية اعادة الخوف والجاهلية الى المجتمع الاسلامى .

جبن قيادات معاوية وشجاعة قيادات الإمام (عليه السلام)

في كلّ غارات معاوية على المدن الإسلامية كانوا يقتلون الأطفال ويسبون النساء ويقتلون على التهمة والشكّ ويسرقون الدواب والأمتعة ويحرقون الأرض والزرع ، في حين لم يسمح الإمام علي (عليه السلام)لأتباعه بهذه الأفعال البربرية الناجمة من الرحم الجاهلي .

فكانوا لا يقتلون أعداءهم إلاّ إذا قاتلوهم ، فهذه هي الأخلاق الفاضلة الراقية التي يدعو إليها الإسلام العظيم .

وكانت قيادات معاوية الغاشمة الظالمة تهرب من جيوش الإمام (عليه السلام) هرباً مخزياً .

فقد هرب النعمان بن بشير بن سعد .

وهرب الضحّاك بن قيس الفهري .

وهرب بسر بن أرطأة هرباً مضحكاً ينمّ عن جبنهم في الحروب .

لكنّهم يستأسدون على النساء والأطفال والعجزة مثلهم مثل سيّدهم معاوية الجبان عن منازلة الرجال والقدير في الدسائس والمؤامرات .

وأخذ جارية بن قدامة السعدي البيعة من أهالي مكّة والمدينة وطلب أبا هريرة المنافق (والي معاوية على المدينة) ليقتله فهرب منه .

فبايع الناس للإمام (عليه السلام).

وكان بسر بن أرطأة الجبان يهرب من جارية ويحرق ما في طريقه فسمّي محرقاً [1790].

وأوصى الإمام علي (عليه السلام)جارية :بتقوى الله ولا تقاتل إلاّ من قاتلك ولا تجهز على جريح ولا تسخرن دابة ، ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم ولا تشربنّ إلاّ فضلهم عن طيب نفوسهم ولا تشتمنّ مسلماً أو مسلمة ولا تظلمن معاهداً أو معاهدة .

واسفك الدم في الحقّ واحقنه في الحقّ ومن تاب فاقبل توبته والصدق الصدق فلا رأي لكذوب [1791].

بينما قتل بسر بن أرطأة في طريقه ثلاثين الفاً وحرّق قوماً بالنار وسبى نساءً مسلمات وباعهنّ في السوق .

وأوصى معاوية بسراً بالقتل والحرق والسطو والتخويف والتدمير ولمّا عاد بسر قَبِل معاوية بن أبي سفيان أعمال بسر وشجّعه قائلا له : الله فعل ذلك لا أنت [1792].

الفصل الثاني : ثقافة الغزو والغنائم والتجنيد الاجباري
خطاب الامام في كسل الناس وركونهم الى الراحة

قال الإمام علي (عليه السلام)لأهل الكوفة - :

«أيّها الناس ! إنّي استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم] أي أهل الشام [فلم تنفروا ، وأسمعتكم فلم تجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ، شهود كالغُيَّب ، أتلو عليكم الحكمة فتُعرضون عنها ، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها ، كأنّكم حُمُر مستنفرة فرّت من قَسْوَرة ، وأحثّكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبأ ، ترجعون إلى مجالسكم تتربّعون حِلَقاً ، تضربون الأمثال وتناشدون الأشعار ، وتجسّسون الأخبار ، حتّى إذا تفرّقتم تسألون عن الأسعار ، جَهلةً من غير علم ، وغفلةً من غير روع ، وتتبُّعاً في غير خوف ، نسيتم الحرب والاستعداد لها ، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها ، شغلتموها بالأعاليل والأباطيل . فالعجب كلّ العجب ! وما لي لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم ، وتخاذلكم عن حقّكم !

ياأهل الكوفة ! أنتم كأُمّ مجالد ، حملت فأملَصت [1793]، فمات قيّمها ، وطال تأيّمها ، وورثها أبعدها .

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، إنّ من ورائكم للأعور الأدبر ، جهنّم الدنيا ، لا يُبقي ولا يذر ، ومن بعده النهّاس الفرّاس الجموع المنوع ، ثمّ لَيتوارثنّكم من بني أُميّة عدّة ، ما الآخر بأرأف بكم من الأوّل ، ما خلا رجلا واحداً [1794]، بلاء قضاه الله على هذه الأُمّة لا محالة كائن ، يقتلون خياركم ، ويستعبدون أراذلكم ، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم من جوف حجالكم [1795]، نقمة بما ضيّعتم من أُموركم ، وصلاح أنفسكم ودينكم .

ياأهل الكوفة ! أُخبركم بما يكون قبل أن يكون ; لتكونوا منه على حذر ، ولتُنذروا به من اتّعظ واعتبر : كأنّي بكم تقولون : إنّ علياً يكذب ، كما قالت قريش لنبيّها (صلى الله عليه وآله)وسيّدها نبي الرحمة محمّد بن عبدالله حبيب الله ، فياويلكم ! أفعلى من أكذب ؟! أعلى الله ؟ فأنا أوّل من عبده ووحّده ، أم على رسوله ؟ فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره ! كلاّ ، ولكنّها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء.. [1796] (لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين) [1797] .

وذلك إذا صيّركم إليها جهلُكم ، ولا ينفعكم عندها علمكم .

فقبحاً لكم ياأشباه الرجال ولا رجال ، حُلوم [1798]الأطفال ، وعقول ربّات الحِجال ، أم والله أيّها الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، ما أعزّ الله نصر من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، ولا قرّت عين من آواكم ، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوّكم المرتاب .

ياويحكم ! أيّ دار بعد داركم تمنعون ! ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون ! المغرور ـ والله ـ من غررتموه من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، أصبحت لا أطمع في نصركم ، ولا أُصدّق قولكم ، فرّق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم ، وأعقبكم من هو شرّ لكم منّي .

إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، والله لوددت أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم .

والله لوددت أنّي لم أعرفكم ولم تعرفوني ; فإنّها معرفة جرّت ندماً . لقد وَرَيتم صدري غيظاً ، وأفسدتم عليَّ أمري بالخذلان والعصيان ، حتّى لقد قالت قريش : إنّ علياً رجل شجاع لكن لا علم له بالحروب ، لله درّهم ! هل كان فيهم أحد أطول لها مِراساً منّي ! وأشدّ لها مقاساة ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ثمّ ها أنا ذا قد ذرّفت [1799]على الستّين ، لكن لا أمر لمن لا يُطاع .

أم والله ، لوددت أنّ ربّي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه ، وإنّ المنيّة لترصدني ، فما يمنع أشقاها أن يخضبها ـ وترك يده على رأسه ولحيته ـ عهد عهده إليّ النبي الأُمّي ، وقد خاب من افترى ، ونجا من اتّقى وصدّق بالحسنى .

ياأهل الكوفة ! دعوتكم إلى جهاد هؤلاء ليلا ونهاراً وسرّاً وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم ; فإنّه ما غُزي قوم في عُقر دارهم إلاّ ذلّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولي ، واستصعب عليكم أمري ، واتّخذتموه وراءكم ظهريّاً ، حتّى شُنّت عليكم الغارات ، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات تُمسِّيكم وتصبّحكم ، كما فعل بأهل المَثُلات [1800]من قبلكم ، حيث أخبر الله تعالى عن الجبابرة والعتاة الطغاة ، والمستضعفين الغواة ، في قوله تعالى :

(يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاَءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) [1801].

أم والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، لقد حلّ بكم الذي توعدون .

عاتبتكم ياأهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم ، وأدّبتكم بالدرّة فلم تستقيموا ، وعاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعووا ، ولقد علمت أنّ الذي يصلحكم هو السيف ، وما كنت متحرّياً صلاحكم بفساد نفسي ، ولكن سيسلّط عليكم من بعدي سلطان صعب ، لا يوقّر كبيركم ، ولا يرحم صغيركم ، ولا يُكرِم عالمكم ، ولا يقسّم الفيء بالسويّة بينكم ، وليضربنّكم ، ويُذلّنّكم ، ويجمّرنّكم [1802] في المغازي ، ويقطعنّ سبيلكم ، وليحجبنّكم على بابه ، حتّى يأكل قويّكم ضعيفكم ، ثمّ لا يبعد الله إلاّ من ظلم منكم ، ولقلّما أدبر شيء ثمّ أقبل ، وإنّي لأظنّكم في فترة ، وما عليَّ إلاّ النصح لكم .

ياأهل الكوفة ! مُنيت منكم بثلاث واثنتين : صُمّ ذوو أسماع ، وبُكم ذوو ألسن ، وعُمي ذوو أبصار ، لا إخوان صدق عند اللقاء ، ولا إخوان ثقة عند البلاء .

اللهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني ، وسئمتهم وسئموني .

اللهمّ لا تُرض عنهم أميراً ، ولا ترضهم عن أمير ، وأمِث قلوبهم كما يُماث الملح في الماء .

أم والله ، لو أجد بُدّاً من كلامكم ومراسلتكم ما فعلت ، ولقد عاتبتكم في رشدكم حتّى لقد سئمت الحياة ، كلّ ذلك تراجعون بالهزء من القول فراراً من الحقّ ، وإلحاداً إلى الباطل الذي لا يُعِزّ الله بأهله الدين ، وإنّي لأعلم أنّكم لا تزيدونني غير تخسير ، كلّما أمرتكم بجهاد عدوّكم اثّاقلتم إلى الأرض ، وسألتموني التأخير دفاع ذي الدين المَطُول .

إن قلت لكم في القيظ : سيروا ، قلتم : الحرّ شديد ، وإن قلت لكم في البرد : سيروا ، قلتم : القرّ شديد ، كلّ ذلك فراراً عن الجنّة . إذا كنتم عن الحرّ والبرد تعجزون ، فأنتم عن حرارة السيف أعجز وأعجز ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ياأهل الكوفة ! قد أتاني الصريخ يخبرني أنّ أخا غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلا في أربعة آلاف ، فأغار عليهم كما يُغار على الروم والخزَر ، فقتل بها عاملي ابن حسّان وقتل معه رجالا صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة ، بوّأ الله لهم جنّات النعيم ، وأنّه أباحها ، ولقد بلغني أنّ العُصبة من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة فيهتكون سترها ، ويأخذون القناع من رأسها ، والخُرْصَ من أُذنها ، والأوضاح [1803]من يديها ورجليها وعَضُديها ، والخلخال والمئزر من سُوقِها ، فما تمتنع إلاّ بالاسترجاع والنداء : يالله‌المسلمين فلا يُغيثها مغيث ، ولا ينصرها ناصر .

فلو أنّ مؤمناً مات من ودن هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً ، بل كان عندي بارّاً محسناً .

واعجباً كلّ العجب ، من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حقّكم ! قد صرتم غرضاً يُرمى ولا ترمون ، وتُغْزَون ولا تَغزون ، ويعصى الله وترضون ، تَربت أيديكم ياأشباه الإبل غاب عنها رعاتها ، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب [1804]».

ثقافة العصا والمال

أثّر النفاق الداخلي وسط جيش الإمام عليه فضعفت عزيمتهم وخارت قواهم وتوجّهوا للراحة والترف ، وسئموا من فقدان الغنيمة .

قال علي (عليه السلام): يامعشر المهاجرين :

(ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) [1805].

فتلكّؤوا ، وقالوا : البرد شديد ، وكان غزاتهم في البرد .

فقال (عليه السلام): إنّ القوم يجدون البرد كما تجدون .

فلم يفعلوا وأبوا ، فلمّا رأى ذلك منهم قال : أُفٍّ لكم ! إنّها سنّة جرت عليكم [1806].

إذ لمّا كره القوم المسير إلى الشام عقيب واقعة النهروان أقبل بهم أمير المؤمنين ، فأنزلهم النُّخيلة ، وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يُقِلّوا زيارة النساء وأبنائهم حتّى يسير بهم إلى عدوّهم ، وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه ، لكنّهم لم يفعلوا ، وأقبلوا يتسلّلون ويدخلون الكوفة ، فتركوه (عليه السلام) وما معه من الناس إلاّ رجال من وجوههم قليل ، وبقي المعسكر خالياً ، فلا مَن دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة .

قال نصر بن مزاحم : فخطب الناس بالكوفة ، وهي أوّل خطبة خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج ، فقال :

« أيّها الناس ! استعدّوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله عزّوجلّ ، ودرك الوسيلة عنده ; قوم حيارى عن الحقّ لا يبصرونه موزَعين [1807]بالجور والظلم لا يعدلون به ، جفاة عن الكتاب ، نُكْب عن الدين ، يعمهون [1808]في الطغيان ، ويتسكّعون في غمرة الضلال ، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل وتوكّلوا على الله ، وكفى بالله وكيلا .

قال : فلم ينفروا ولم ينشروا ، فتركهم أيّاماً ، ثمّ خطبهم فقال [1809]: أُفٍّ لكم ! لقد سئمت عتابكم ! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ، وبالذلّ من العزّ خلفاً ؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم ، كأنّكم من الموت في غمرة ، ومن الذهول في سكرة . يُرتَج عليكم حِواري فتعمهون ، فكأنّ قلوبكم مألوسة ، فأنتم لا تعقلون ، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي ، وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر [1810]عزّ يفتقر إليكم . ما أنتم إلاّ كإبل ضلّ رعاتها ، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر .

لبئس ـ لعمر الله ـ سَعْر نار الحرب أنتم ! تكادون ولا تكيدون ، وتُنْتَقص أطرافكم فلا تمتعضون ، لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، غُلب والله المتخاذلون ! وايم الله إنّي لأظنّ بكم أن لو حَمِس الوغى ، واستحرّ الموت ، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس .

والله إنّ امرأً يمكّن عدوّه من نفسه يعرُق لحمه ، ويهشِم عظمه ، ويفري جلده ، لعظيم عجزُه ، ضعيف ما ضمّت على جوانح صدره . أنت فكن ذاك إن شئت ; فأمّا أنا فوالله دون أن أُعطي ذلك ضربٌ بالمشرفيّة تطير منه فراش الهام ، وتطيح السواعد والأقدام ، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

أيّها الناس ، إنّ عليكم حقّاً ، ولكم عليَّ حقٌّ ، فأمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كي لا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا . وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيب ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم .

أنتم أُسود الشرى في الدَّعة ، وثعالب روّاغة حين البأس . إنّ أخا الحرب اليقظان ، ألا إنّ المغلوب مقهور ومسلوب » [1811].

فكان جواسيس معاوية في داخل الجيش من أمثال الأشعث يعتذرون بأعذار شتّى طلباً للراحة ومنه أخذ الكثير فالأشعث سعى في جانب النفاق الداخلي وتفتيت الجبهة الداخلية فأولد الخوارج .

ولأنّهم يعيشون في الكوفة فلقد أثّر هذا على الجبهة الداخلية لجيش الإمام (عليه السلام)والأمر الآخر الذي سعى له الأشعث وأضرابه هو الراحة وطلب السلم . الذي يمنع الناس من الجهاد وتحمّل الحرّ والبرد في سبيل ذلك [1812].

شعب لا يصلح إلاّ بالسيف

وقال الإمام علي (عليه السلام): إنّكم والله لكثير في الباحات ، قليل تحت الرايات ، وإنّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ، ولكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يقول للناس بالكوفة : ياأهل الكوفة ، أتروني لا أعلم ما يُصلحكم ؟! بلى ، ولكنّي أكره أن أُصلحكم بفساد نفسي .

وقال الإمام علي (عليه السلام): أيّها الناس ! إنّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أُممهم ، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى مَن بعدهم ، وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا ، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا [1813]. لله أنتم ! أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ، ويرشدكم السبيل [1814]؟

وأضاف (عليه السلام): قد عاتبتكم بدرّتي التي أُعاتب بها أهلي فلم تبالوا ، وضربتكم بسوطي الذي أُقيم به حدود ربّي فلم ترعووا [1815]، أتريدون أن أضربكم بسيفي ؟! أما إنّي أعلم الذي تريدون ويقيم أوَدَكم ، ولكن لا أشتري صلاحكم بفساد نفسي ، بل يسلّط الله عليكم قوماً فينتقم لي منكم ! فلا نديا استمتعتم بها ، ولا آخرة صرتم إليها ، فبُعداً وسُحقاً لأصحاب السعير [1816].

وقال (عليه السلام): ولقد علمت أنّ الذي يصلحكم هو السيف ، وما كنت متحرّياً صلاحكم بفساد نفسي ، ولكن سيُسلّط عليكم من بعدي سلطان صعب [1817].

وقالوا للإمام (عليه السلام): إنّ أهل العراق لا يصلحهم إلاّ السيف ! فقال : إن لم يصلحهم إلاّ فسادي فلا أصلحهم الله [1818]!

موعظة الإمام (عليه السلام) لأهل الكوفة

واستمرّ الإمام (عليه السلام)في تقريعهم ووعظهم إذ قال الإمام (عليه السلام) : أما والذي نفسي بيده ، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم ; ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم ، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم ، وإبطائكم عن حقّي . ولقد أصبحت الأُمم تخاف ظلم رعاتها ، وأصبحت أخاف ظلم رعيّتي .

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا ، وأسمعتكم فلم تسمعوا ، ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ، أشهود كغيّاب ، وعبيد كأرباب ! أتلوا عليكم الحِكَم فتنفرون منها ، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها ، وأحثّكم على جهاد أهل البغي فما آتي على

آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبأ [1819]، ترجعون إلى مجالسكم ، وتتخادعون عن مواعظكم ، أُقوّكم غُدوة ، وترجعون إليّ عشيّة ، كظهر الحَنِيّة [1820]، عجز المقوّم ، وأعضل المقوَّم .

أيّها القوم الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، المبتلى بهم أُمراؤهم ، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، لوددت الله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ; فأخذ منّي عشرة منكم ، وأعطاني رجلا منهم !

ياأهل الكوفة ! مُنيت منكم بثلاث واثنتين : صُمٌّ ذوو أسماع وبكمٌ ذوو كلام ، وعُميٌ ذوو أبصار ، لا أحرار صدق عند اللقاء ، ولا إخوان ثقة عند البلاء ! تَربت أيديكم ! ياأشباه الإبل غاب عنها رعاتها ! كلّما جُمعت من جانب تفرّقت من آخر ، والله لكأنّي بكم فيما إخالُكم [1821]أن لو حَمِس الوغى ، وحمي الضراب ، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قُبُلِها ، وإنّي لعلى بيّنة من ربّي ، ومنهاج من نبيّي ، وإنّي لعلى الطريق الواضح أَلقُطَه لَقْطاً [1822].

وأضاف (عليه السلام): ألا ترون يامعاشر أهل الكوفة ، والله لقد ضربتكم بالدرّة التي أعظ بها السفهاء ، فما أراكم تنتهون ، ولقد ضربتكم بالسياط التي أُقيم بها الحدود ، فما أراكم ترعوون ، فما بقي إلاّ سيفي ، وإنّي لأعلم الذي يقوّمكم بإذن الله ، ولكنّي لا أُحبّ أن ألي تلك منكم .

والعجب منكم ومن أهل الشام ، أنّ أميرهم يعصي الله وهم يطيعونه ، وأنّ أميركم يطيع الله وأنتم تعصونه ! إن قلت لكم : انفروا إلى عدوّكم ، قلتم : القرّ يمنعنا ! أفترون عدوّكم لا يجدون القرّ كما تجدونه ؟ ولكنّكم أشبهتم قوماً قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) : انفروا في سبيل الله ، فقال كبراؤهم : لا تنفروا في الحرّ ، فقال الله لنبيّه : (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) [1823].

والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا بحذافيرها على الكافر ما أحبّني ، وذلك أنّه قضى ما قضى على لسان النبي الأُمّي أنّه لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبّك كافر ، وقد خاب من حمل ظلماً وافترى .

يامعاشر أهل الكوفة ! والله لتصبرُنّ على قتال عدوّكم ، أو ليسلّطن الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحقّ منهم ، فليعذبنّكم ، وليعذبنّهم الله بأيديكم أو بما شاء من عنده ، أفمن قتلة بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش ؟! فاشهدوا أنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول : موتة على الفراش أشدّ من ألف ضربة بسيف [1824].

ما أظنّ هؤلاء القوم ـ يعني أهل الشام ـ إلاّ ظاهرين عليكم ، فقالوا له : بماذا ياأمير المؤمنين ؟

قال : أرى أُمورهم قد علت ونيرانكم قد خبت ، وأراهم جادّين وأراكم وانين ، وأراهم مجتمعين وأراكم متفرّقين ، وأراهم لصاحبهم مطيعين وأراكم لي عاصين .

أم والله لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي لكم ، لكأنّي أنظر إليهم وقد شاركوكم في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم فيئكم ، وكأنّي أنظر اثليكم تِكِشّون [1825]كشيش الضباب ; لا تأخذون حقّاً ولا تمنعون لله حرمة ، وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحيكم ، ويُخيفون قرّاءكم ، ويحرمونكم ويحجبونكم ، ويُدنون الناس دونكم ، فلو قد رأيتم الحرمان والأثرة ، ووقع السيف ، ونزول الخوف ، لقد ندمتم وخسرتم على تفريطكم في جهادهم ، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخَفْض [1826] والعافية حين لا ينفعكم التذكار [1827].

قال الإمام (عليه السلام): أيّها الناس ! فإنّكم دعوتموني إلى هذه البيعة فلم أردّكم عنها ، ثمّ بايعتموني على الإمارة ولم أسألكم إيّاها ، فتوثّب عليَّ متوثّبون ، كفى الله مؤونتهم ، وصرعهم لخدودهم ، وأتعس جدودهم ، وجعل دائرة السوء عليهم .

وبقيت طائفة تُحدِث في الإسلام أحداثاً ; تعمل بالهوى ، وتحكم بغير الحقّ ، ليست بأهل لما ادّعت ، وهم إذا قيل لهم : تقدّموا قدماً ، تقدّموا ، وإذا قيل لهم : أقبِلوا أقبَلوا ، لا يعرفون الحقّ كمعرفتهم الباطل ، ولا يُبطلون كإبطالهم الحقّ .

أما إنّي قد سئمت من عتابكم وخطابكم ، فبيّنوا لي ما أنتم فاعلون ; فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي فهو ما أطلب وأُحبّ ، وإن كنتم غير فاعلين فاكشفوا لي عن أمركم أرى رأيي . فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوّكم فتقاتلوهم حتّى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لأدعونّ الله عليكم ، ثمّ لأسيرنّ إلى عدوّكم ولو لم يكن معي إلاّ عشرة .

أأجلاف أهل الشام وأعرابها أصبر على نصرة الضلال ، وأشدّ اجتماعاً على الباطل منكم على هداكم وحقّكم ؟ ما بالكم ؟ ما دواؤكم ! إنّ القوم أمثالكم لا يُنشرون إن قتلوا إلى يوم القيامة [1828].

وأضاف الإمام علي (عليه السلام): اتّقوا الله عباد الله وتحاثّوا على الجهاد مع إمامكم ; فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر ; إذا أمرتهم أطاعوني ، وإذا استنهضتم نهضوا معي ، لأستغنيت بهم عن كثير منكم ، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه ; فإنّه الجهاد المفروض [1829].

وأضاف الإمام علي (عليه السلام): وددت والله أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلا من أهل الشام وأنّي صرفتكم كما يُصرَف الذهب ، ولوددت أنّي لقيتهم على بصيرتي فأراحني الله من مقاساتكم ومداراتكم كما يُدارى البِكارُ العَمِدة والثياب المنهرئة كلّما خِيطت من جانب تهتّكت من جانب [1830].

وقال : أيّها القوم الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، المبتلى بهم أُمراؤهم . صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، لوددت والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ; فأخذ منّي عشرة منكم ، وأعطاني رجلا منهم [1831].

أسباب التقاعس في جيش الكوفة

هناك دواعي كثيرة لهذا التهاون :

1 ـ تربية البطش السابقة .

إذ ربّى ابو بكر وعمر وعثمان الناس على القوّة في أخذهم للحرب وسحبهم للجهاد ومن يتخامل منهم يتعرّض للعقوبة .

ولم يرغب الإمام (عليه السلام)في إجبارهم على السيف والعصا لهذا الباب من الجهاد ، واكتفى بالنصيحة والوعظ .

في حين تعوّد جيش العراق على هذه الثقافة غير الإسلامية ! فسلطان الروم يبطش وسلطان المسلمين يبطش كذلك فما الفرق بين الاثنين ؟

2 ـ ثقافة الغنائم وسبي النساء .

تعوّد المسلمون على ثقافة الغنائم فهم فتحوا العراق وغنموا الكثير فيه وفتحوا مصر وغنموا الأموال الطائلة وفتحوا ايران وغنموا كنوز الفرس وهكذا .

في حين كانت حروب الجمل وصفّين والنهروان ليس فيها غنائم لأنّهم مسلمون .

فألحّ جيش الإمام (عليه السلام)عليه في حرب الجمل لسبي نساء وأطفال وأموال أهالي البصرة المسلمين .

ولمّا بيّن لهم الإمام (عليه السلام) بطلان رغبتهم شرعاً أثّر هذا في نفوسهم .

وهذا التأثير العميق تبيّن في الحروب اللاحقة :

ففي حرب صفّين والنهروان لم يحصل أهالي الكوفة على غنائم ولم يتعرّضوا للقوّة لإجبارهم على الحرب أيضاً .

وهذا يختلف عن ثقافتهم السابقة في حروبهم للفتح الإسلامي فلو قسّم الإمام علي (عليه السلام)نساء البصرة ونساء الخوارج على عسكره لفرحوا كثيراً وتحرّكوا نحو الحروب اللاحقة .

فبدأوا يفكّرون في السلم أكثر من تفكيرهم في الحرب الخالية من الغنائم .

ولماذا لا يفكّرون في السلم ما دام الإمام علي (عليه السلام) لا يستخدم السيف في إجبارهم على الحرب . فالإمام يستخدم المشروع الإسلامي بتمامه في حرّية كاملة ودعوة للثواب الأُخروي ومراعاة الشرع وحبس النعرات الجاهلية البالية .

أمّا جيش معاوية فبقيت ثقافته كما هي :

فحملة الضحّاك بن قيس إلى الثعلبية والواقصة وأطراف الكوفة فيها غنائم ، لأنّ معاوية لا يفرّق بين مسلم وكافر في حروبه وغارات النعمان بن بشير على المدائن والأنبار وهيت فيها غنائم مفرحة للجند الغازي . وأباح معاوية المسلمات لهم .

وغارات بسر بن ارطأة على المدينة ومكّة والطائف واليمن واليمامة فيها غنائم كثيرة . كما فيها أفراح دنيوية جاهلية تتمثّل في قتل أعدائهم والثأر من أهليهم كأفعال الجيوش الرومية والكسروية . فلقد قتل بسر بن ارطأة طفلي عبيدالله بن عباس !!

فجيش معاوية ينهض للحرب لهذه الأغراض الدنيوية ويتحمّس لها .

والمتخلّف عن جيش الشام يتعرّض لعقوبات صارمة لا رحمة فيها ولا شفقة .

لذا فجيوش الشام لا تحتاج إلى موعظة للسير للحروب .

العطاء الاسلامي للناس لماذا ؟

كان الناس في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) قد عاصروا نظرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) الجديدة المتمثّلة في العطاء فكانوا يأخذون العطاء السنوي الكافي لمعيشتهم مقابل أهبتهم للحرب وطاعتهم للجهاد .

وكانوا يكسبون في الحروب الغنائم أيضاً فتوزّع عليهم وأهالي الكوفة كانوا يأخذون العطاء السنوي ويرفضون الطاعة للجهاد !!

وهذا أمر غريب وعجيب فهؤلاء يحبّون الراحة والرفاهية مع العطاء ويريدون الحروب مع الغنائم وأعمال النهب والسلب ولمّا منعهم الإمام (عليه السلام) من الأعمال المحرّمة خلدوا للراحة .

دعاء الإمام (عليه السلام) على أهالي الكوفة

وقف علي (عليه السلام)يخطب وقد وضع المصحف على رأسه حتّى تقعقع على رأسه .

فقال : اللهمّ قد منعوني ما فيه فأعطني ما فيه ، اللهمّ قد أبغضتهم وأبغضوني ، ومللتهم وملّوني ، وحملوني على غير خلقي وطبيعتي وأخلاق لم تكن تعرف لي ، اللهمّ فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شرّاً منّي ، اللهمّ مثّ [1832] قلوبهم كما يُماثّ الملح في الماء [1833].

أمَ والله لوددت أنّ ربّي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه ، وإنّ المنيّة لترصدني ، فما يمنع أشقاها أن يخضبها ؟ ـ وترك يده على رأسه ولحيته ـ عهد عهده إليّ النبي الأُمّي ، وقد خاب من افترى ، ونجا من اتّقى وصدّق بالحسنى [1834].

وقال (عليه السلام): ياأهل الكوفة ! خذوا أُهبّتكم لجهاد عدوّكم معاوية وأشياعه .

قالوا : ياأمير المؤمنين ، أمهلنا يذهب عنّا القرّ [1835].

فقال : أمَ والله الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم » .

الملاحظ إنّ السلاطين قبل الإمام (عليه السلام) وبعد الإمام (عليه السلام)كانت تأخذ الرجال للحرب في الشتاء والصيف والجبال والسهول تجنّدهم بالقوّة وتوعدهم الغنائم فكانوا يلتحقون بجيوشهم بسرعة كبيرة .

لكنّ هؤلاء استكانوا إلى الحرّية الكاملة التي أعطاها لهم الإمام وعدم إقدامه على قتلهم فلم يطيعوه في خطبه [1836].

آخر خطبة للإمام (عليه السلام)

خطب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف ، وفي رجليه نعلان من ليف ، وكأنّ جبينه ثفنة بعير . فقال (عليه السلام) :

« الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق ، وعواقب الأمر . نحمده على عظيم إحسانه ونيّر برهانه ، ونوامي فضله وامتنانه ، حمداً يكون لحقّه قضاء ، ولشكره أداءً ، وإلى ثوابه مقرّباً ، ولحسن مزيده موجباً . ونستعين به استعانة راج لفضله ، مؤمّل لنفعه ، واثق بدفعه ، معترف له بالطول ، ومذعن له بالعمل والقول . ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً ، وأناب إليه مؤمناً ، وخنع له مذعناً ، وأخلص له موحّداً ، وعظّمه ممجّداً ، ولاذ به راغباً مجتهداً .

لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً ، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً . ولم يتقدّمه وقت ولا زمان . ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان ، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم .

فمن شواهد خلقه خلق السموات موطّدات بلا عَمَد ، قائمات بلا سَنَد . دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات ، غير متلكّئات ولا مبطِئات . ولولا إقرارهنّ له بالربوبية وإذعانهنّ بالطواعية لما جعلهنّ موضعاً لعرشه ، ولا مسكناً لملائكته ، ولا مصعداً للكلم الطيّب والعمل الصالح من خلقه . جعل نجومها أعلاماً يستدلّ بها الحيران في مختلف فِجاج [1837]الأقطار . لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم . ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر .

فسبحان من لا يخفى عليه سواد غَسَق داج ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطأطئات ، ولا في يفاع السُّفع [1838]المتجاورات . وما يتجلجل به الرعد في أُفق السماء ، وما تلاشت عنه بروق الغمام ، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء ، ويعلم مسقط القطرة ومقرّها ، ومسحب الذرة ومجرّها ، وما يكفي البعوضة من قوتها ، وما تحمل الأُنثى في بطنها .

الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش ، أو سماء أو أرض أو جانّ أو إنس ، لا يدرك بوهم ، ولا يقدّر بفهم . ولا يشغله سائل ، ولا ينقصه نائل ، ولا ينظر بعين ، ولا يحدّ بأين . ولا يوصف بالأزواج ، ولا يخلق بعلاج . ولا يدرك بالحواس . ولا يقاس بالناس . الذي كلّم موسى تكليماً ، وأراه من آياته عظيماً . بلا جوارح ولا أدوات ، ولا نطق ولا لهوات .

بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلّف لوصف ربّك فصف جبرائيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين في حجرات القدس مرجحنّين [1839]، متولّهة عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين . فإنّما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات ، ومن ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء ; فلا إله إلاّ هو ، أضاء بنوره كلّ ظلام ، وأظلم بظلمته كلّ نور .

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش . ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سُلّماً ، أو إلى دفع الموت سبيلا ، لكان ذلك سليمان بن داود (عليه السلام)الذي سخّر له ملك الجنّ والإنس مع النبوّة وعظيم الزلفة ، فلمّا استوفى طعمته ، واستكمل مدّته ، رمته قِسِيّ الفناء بنبال الموت ، وأصبحت الديار منه خالية ، والمساكن معطّلة ، وورثها قوم آخرون ، وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة ! أين العمالقة وأبناء العمالقة ! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة ! أين أصحاب مدائن الرسّ الذين قتلوا النبيّين ، وأطفؤوا سنن المرسلين ، وأحيوا سنن الجبّارين ! وأين الذين ساروا بالجيوش وهزموا بالألوف . وعسكروا العساكر ومدّنوا المدائن .

ومنها : قد لبس للحكمة جنّتها ، وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها ، والمعرفة بها ، والتفرّغ لها ; فهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها ، وحاجته التي يسأل عنها ; فهو مغترب إذا اغترب الإسلام ، وضرب بعسيب [1840]ذنبه ، وألصق الأرض بِجِرانه [1841]. بقية من بقايا حجّته ، خليفة من خلائف أنبيائه .

ثمّ قال (عليه السلام): أيّها الناس ! إنّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أُممهم ، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم ، وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا . وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا [1842]. لله أنتم ! أتتوقّعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ، ويرشدكم السبيل ؟ ألا إنّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا ، وأقبل منها ما كان مدبراً ، وأزمع [1843]الترحال عباد الله الأخيار ، وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى .

ما ضرّ إخواننا الذين سُفكت دماؤهم وهم بصفّين ألاّ يكونوا اليوم أحياء ؟ يسيغون الغصص ويشربون الرَّنق [1844]. قد ـ والله ـ لقوا الله فوفّاهم أُجورهم ، وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم .

أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ ؟ أين عمّار ؟ وأين ابن التَّيِّهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة ، وأُبرد برؤوسهم إلى الفجرة .

قال : ثمّ ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء ، ثمّ قال (عليه السلام): أوِّه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه ، وتدبّروا الفرض فأقاموه ، أحيوا السنَّة وأماتوا البدعة . دُعوا للجهاد فأجابوا ، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه .

ثمّ نادى بأعلى صوته : الجهاد الجهاد عباد الله ! ألا وإنّي معسكر في يومي هذا ; فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج ! » .

قال : وعقد للحسين (عليه السلام)في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف ، ولأبي أيّوب الأنصاري في عشرة آلاف ، ولغيرهم على أعداد أُخر وهو يريد الرجعة إلى صفّين ، فما دارت الجمعة حتّى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله ، فتراجعت العساكر ، فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كلّ مكان [1845].

معاوية ابن مَنْ ؟

الفصل الثالث :عمرو بن العاص

نسبه

ولد عمرو في سنة 40 قبل الهجرة الشريفة التي هاجرها رسول الله بصحبه رفيقه عبدالله بن بن بكر الديلي [1846].

وقد ذكر ابن الكلبي (هشام بن محمد) المُتَوَفَّى في سنة 204 هجرية نسبه في كتابه مثالب العرب [1847]قائلا : وأمَّا النابغة أمّ عمرو بن العاص ـ هي حبشية ـ فإنها كانت بغيَّة ، قدمت مكّة ومعها بنات لها فوقع عليها العاص بن وائل في عدَّة من قريش ، منهم : أبو لهب ، وأميَّة بن خلف ، وهشام بن المغيرة ، وأبو سفيان ، فولدت عمراً فتخاصم القوم جميعاً فيه ، كل يزعم أنَّه ابنه .

ثمَّ أضرب عنه ثلاثه ، وأكبَّ عليه اثنان وهما : العاص بن وائل وأبو سفيان ابن حرب ، فحكَّما أمَّه فيه ، فقالت : للعاص . فقيل لها بعد ذلك : ما حملك على ما صنعت ؟ وأبو سفيان أشرف من العاص ؟

فقالت : إنَّ العاص كان ينفق على بناتي ، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق عليَّ العاص شيئاً ، وخفت الضيعة .

وزعم ابنها عمرو بن العاص أنَّ أمَّه من عنزه بن أسد بن ربيعة ، كما ذكره سبط بن الجوزي ! [1848]

وروى معظم المفسرين أنَّ آية

الهوامش

[1693] مروج الذهب 2 / 415 ، أنساب الأشراف 3 / 146 ، الفتوح 4 / 270 ; تاريخ اليعقوبي 2 / 193تاريخ الطبري 5 / 85 ، الكامل في التاريخ 2 / 405 ، البداية والنهاية 7 / 289 .

[1694] تاريخ الطبري 5 / 83 ، الكامل في التاريخ 2 / 404 ، الأخبار الطوال 207 نحوه .

[1695] إثبات الهداة 2 / 215 محمّد بن الحسن الحرّ العاملي .

[1696] إثبات الهداة 2 / 245 ، مناقب أمير المؤمنين محمّد بن سليمان الكوفي 1 / 557 ، الاختصاص ، المفيد 94 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب 3 / 508 ، ينابيع المودّة ، القندوزي 1 / 364 ، المناقب ، الخوارزمي 32 .

[1697] شرح النهج 2 / 449 ، عمدة الطالب ، ابن عنبة 379 ، الصواعق المحرقة 72 .

[1698] الكامل للمبرّد 3 / 1105 ، شرح نهج البلاغة 2 / 272 ، وراجع شرح الأخبار 2 / 55 ح416 .

[1699] مروج الذهب 2 / 416 ، وراجع بحار الأنوار 34 / 450 .

[1700] تاريخ الطبري 5 / 63 ، مروج الذهب 2 / 405 ، الكامل في التاريخ 2 / 393 ، أنساب الأشراف 3 / 127 وفيه « عليهم ابن الكوّاء » ولم يذكر شبث بن ربعي .

[1701] أنساب الأشراف 3 / 136 ، الفتوح 4 / 254 .

[1702] أنساب الأشراف 3 / 134 و137 ، تاريخ الطبري 5 / 75 ، الكامل في التاريخ 2 / 399 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 191 ، كشف الغمّة 1 / 265 .

[1703] السنن الكبرى 8 / 295 ، العمدة 464 / 972 ، صحيح مسلم 2 / 748 ، سنن أبي داود 4 / 245 .

[1704] سورة الزخرف .

[1705] الفتوح 4 / 274 ، كشف الغمّة 1 / 267 ، كشف اليقين 205 ، المناقب ، ابن شهر آشوب 3 / 190 .

[1706] الفتوح 4 / 274 ، كشف اليقين 205 / 206 ، كشف الغمّة 1 / 267 كلاهما نحوه وراجع المناقب لابن شهر آشوب 3 / 190 .

[1707] كشف اليقين 205 / 205 ، كشف الغمّة 1 / 266 ، المناقب لابن شهر آشوب 3 / 190 ، الفتوح 4 / 273 كلاهما نحوه .

[1708] تاريخ الطبري 5 / 86 ، الكامل في التاريخ 2 / 406 ، البداية والنهاية 7 / 289 كلاهما نحوه من « ثمّ تنادوا » .

[1709] الإمامة والسياسة 1 / 169 .

[1710] تاريخ الطبري 4 / 76 ، أُسد الغابة 1 / 714 ح1127 و2 / 214 ح1541 وفيه « اسمه الآخر : ذو الخُوَيصرة ، وذو الثدية » ، الإصابة 2 / 44 ح1666 وفيه « عدّ هذين اسمين لشخصين » . ولمزيد الاطّلاع على مختلف الأقوال في هذه المسألة راجع فتح الباري 12 / 292 ، صحيح البخاري 3 / 1321 ح3414 ، صحيح مسلم 2 / 744 ح148 .

[1711] أُسد الغابة 1 / 714 ح1127 ، الإصابة 2 / 44 ح1666 ، تاريخ الطبري 4 / 76 .

[1712] تاريخ الطبري 4 / 472 .

[1713] تاريخ الطبري 5 / 72 .

[1714] تاريخ الطبري 5 / 85 ، الكامل في التاريخ 2 / 405 ، الأخبار الطوال 210 ، البداية والنهاية 7 / 289 .

[1715] كشف الغمّة 1 / 266 ، الفتوح 4 / 273 .

[1716] صحيح مسلم 2 / 749 ح157 ، تاريخ بغداد 10 / 305 ح5453 ، البداية والنهاية 7 / 292 .

[1717] مُخدَج اليد : ناقص اليد (لسان العرب 2 / 248) .

[1718] مسند ابن حنبل 1 / 191 ح672 ، البداية والنهاية 7 / 294 ، وراجع تاريخ بغداد 1 / 199 ح38 .

[1719] جَرْجَرايا : بلدة قريبة من دجلة بين بغداد وواسط ، من توابع النهروان السفلى (راجع تقويم البلدان 305) .

[1720] جُوخا : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، وهو بين خانقين وخوزستان (معجم البلدان 2 / 179) .

[1721] كذا في المصدر ، والصحيح كما في أنساب الأشراف ومعجم البلدان « دَرْزِيْجان » : وهي قرية كبيرة تحت بغداد على ثلاثة فراسخ منها على دجلة بالجانب الغربي ، وهي من مدن الأكاسرة ، وإحدى المدائن السبع . وأصل اسمها درزبندان (راجع معجم البلدان 2 / 450) .

[1722] شَهْرُزُور : بلدة بين الموصل وهمدان بناها زور بن الضحّاك ، وتعرف اليوم باسم زوردر جنوب شرقي السليمانية قرب الحدود العراقية الإيرانية (راجع تقويم البلدان 413) .

[1723] الكامل في التاريخ 2 / 423 ، أنساب الأشراف 3 / 239 - 248 .

[1724] مروج الذهب 2 / 415 ، أنساب الأشراف 3 / 146 ، الفتوح 4 / 270 ; تاريخ اليعقوبي 2 / 193 ، تاريخ الطبري 5 / 85 ، الكامل في التاريخ 2 / 405 ، البداية والنهاية 7 / 289 .

[1725] تاريخ الطبري 5 / 113 - 116 ، الغارات 1 / 332 ، تاريخ ابن الأثير 2 / 417 .

[1726] تاريخ اليعقوبي 2 / 194 ، مروج الذهب 2 / 418 نحوه وفيه « الحارث بن راشد الناجي » بدل « الخرّيت بن راشد الناجي » .

[1727] تاريخ الطبري 5 / 88 ، تاريخ ابن الأثير 2 / 407 ، مروج الذهب 2 / 418 ، الإمامة والسياسة 1 / 169 .

[1728] الإرشاد 2 / 96 ، البحار 45 / 5 ط لبنان ، تاريخ الطبري 6 / 242 .

[1729] نهج البلاغة 1 / 108 ، البحار 33 / 433 ، شرح النهج 5 / 14 .

[1730] تهذيب الأحكام 2 / 368 ، الكافي 2 / 405 ، من لا يحضره الفقيه 1 / 257 .

[1731] البحار 33 / 373 ، نهج البلاغة ، خطبة 127 .

[1732] تاريخ الطبري 5 / 85 .

[1733] نهج البلاغة الحكمة 97 ، عيون الحكم والمواعظ 497 ، غرر الحكم 9958 .

[1734] منية المريد 181 ، غرر الحكم 9665 ، تنبيه الخواطر 1 / 82 .

[1735] نهروان : هي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدّها الأعلى متّصل ببغداد ، وفيها عدّة بلاد متوسّطة ، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع الخوارج مشهورة (معجم البلدان 5 / 324) .

[1736] الجعفريات 234 ، مسند زيد 410 وفيه « أهل الجمل وصفّين وأهل النهروان » بدل « أهل النهروان » ، السنن الكبرى 8 / 302 ح16722 عن شقيق بن سلمة ، المصنّف لابن أبي شيبة 8 / 743 ح62 عن طارق بن شهاب ، تفسير القرطبي 16 / 323 عن الحارث الأعور وفيه « أهل البغي من أهل الجمل وصفّين » بدل « أهل النهروان » ، البداية والنهاية 7 / 290 عن علقمة بن عامر والأربعة الأخيرة من دون إسناد إلى المعصوم وكلّها نحوه .

[1737] الفتوح 4 / 272 .

[1738] سورة إبراهيم 28 .

[1739] سورة الكهف 104 .

[1740] حَرَوْراء : قيل : هي قرية بظاهر الكوفة ، وقيل : موضع على ميلين منها ; نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، فنسبوا إليها (معجم البلدان 2 / 245) .

[1741] المستدرك على الصحيحين 2 / 383 ح3342 ، السنّة لابن أحمد بن حنبل 278 / 1443 نحوه ، المناقب لابن المغازلي 58 / 84 وفيه « ويلك هم أهل حَرَورا » ، العمدة 461 / 967 كلّها نحوه ، وراجع تفسير الطبري 9 / الجزء16 / 34 .

[1742] سورة الكهف 103 و104 .

[1743] الكامل للمبرّد 3 / 1107 ، المعيار والموازنة 299 ، تفسير الطبري 9 / الجزء 16 / 34 عن أبي الطفيل نحوه ; بحار الأنوار 33 / 352 .

[1744] تهذيب الأحكام 6 / 145 .

[1745] الطبقات الكبرى ، ابن سعد 2 / 354 ، شرح النهج 8 / 123 ، تاريخ الطبري 3 / 99 ، جوامع السيرة النبوية ، ابن حزم 203 ، البحار 68 / 289 .

[1746] كنز العمال 10 / 268 حديث 29403 .

[1747] سورة الزمر 65 .

[1748] سورة الروم 60 .

[1749] الاحتجاج 1 / 329 .

[1750] المستدرك ، الحاكم 3 / 137 ، كنز العمّال 3 / 157 ، 6 / 157 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي 9 / 121 ، حلية الأولياء 1 / 63 - 64 ، تاريخ بغداد 11 / 112 ، 13 / 122 ، الإصابة ، ابن حجر 4 / 170 - 171 .

[1751] المصدر السابق 1 / 341 .

[1752] سورة البقرة 189 .

[1753] سورة الأعراف 46 .

[1754] سورة المؤمنون 74 .

[1755] الاحتجاج 1 / 337 - 338 .

[1756] سورة المعارج 40 .

[1757] سورة الرحمن 17 .

[1758] سورة المزمّل 9 .

[1759] سورة فاطر 10 .

[1760] سورة الكهف 103 .

[1761] الاحتجاج 1 / 386 - 388 .وفي رواية أنّه ترك الخوارج وعاد إلى الكوفة وهو الصحيح .

[1762] الاحتجاج 1 / 386 - 388 .

[1763] السرائر ، ابن إدريس 3 / 638 ، الحدائق الناضرة 11 / 85 .

[1764] علل الشرائع 1 / 202 .

[1765] المعيار والموازنة ، الاسكافي 47 .

[1766] الفرائد ، الحمويني ، الباب 27 ، 29 ، الكفاية ، الكنجي 69 ، كنز العمال 6 / 154 ، الاستيعاب 3 / 53 ، ميزان الاعتدال ، الذهبي 2 / 263 ، مجمع الزوائد 3 / 239 ، المستدرك ، الحاكم 3 / 139 ، أُسد الغابة 4 / 114 ، تاريخ بغداد 8 / 340 ، فرائد السمطين 1 / 284 ، كفاية الطالب 169 ، البداية والنهاية 7 / 338 .

[1767] تاريخ الطبري 5 / 110 ، الكامل في التاريخ 2 / 415 نحوه وراجع الغارات 2 / 373 - 412 .

[1768] الغارات 2 / 373 ، البحار 8 / 676 ، تاريخ الطبرى 6 / 63 ، تاريخ ابن الاثير 3 / 143 .

[1769] تاريخ اليعقوبي 2 / 195 ، شرح النهج 2 / 303 ، الكامل في التاريخ 2 / 425 ، تاريخ الطبري 5 / 133 ، البداية والنهاية 7 / 320 ، الغارات 2 / 447 - 457 كلّها نحوه وراجع أنساب الأشراف 3 / 205 - 207 ونهج البلاغة الخطبة 69 .

[1770] الغارات 2 / 451 وراجع نهج البلاغة الخطبة 69 .

[1771] هِيْت : مدينة على الفرات فوق الأنبار (تقويم البلدان 299) .

[1772] الحَرَب : نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له (النهاية 1 / 358) .

[1773] الغارات 2 / 464 ، شرح نهج البلاغة 2 / 85 .

[1774] الكامل في التاريخ 2 / 425 ، تاريخ الطبري 5 / 134 ، البداية والنهاية 7 / 320 وزاد في آخرهما « بلغ الخبر علياً (عليه السلام) فخرج حتّى أتى النخيلة ، فقال له الناس : نحن نكفيك ، قال : ما تكفونني ولا أنفسكم ، وسرّح سعيد بن قيس في أثر القوم ، فخرج في طلبهم حتّى جاز هيت ، فلم يلحقهم فرجع » ، الفتوح 4 / 225 كلّها نحوه وراجع أنساب الأشراف 3 / 231 ودعائم الإسلام 1 / 390 ، الكافي 5 / 4 ، البيان والتبيين 2 / 53 .

[1775] الأمالي ، الطوسي 173 / 293 ، الغارات 2 / 479 .

[1776] نصيبين : مدينة عامرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام على تسعة فراسخ من سنجار . وقد بنيت هذه المدينة على أيدي الروم ، وافتتحها أنوشيروان (راجع معجم البلدان 5 / 288) .

[1777] بعلبك : مدينة قديمة من مدن لبنان ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيّام (معجم البلدان 1 / 453) .

[1778] الرقّة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام (معجم البلدان 3 / 59) .

[1779] الكامل في التاريخ 2 / 428 ، أنساب الأشراف 3 / 231 ، الفتوح 4 / 227 و228 كلاهما نحوه .

[1780] تيماء : بليدة في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القرى على طريق حاجّ الشام . ولمّا سيطر رسول الله (صلى الله عليه وآله)على قلاع خيبر ووادي القرى رضي أهل تيماء بدفع الجزية . وفي الزمان الحاضر توجد قرية بين دمشق ومكّة تعرف بـ « تيماء » (راجع معجم البلدان 2 / 67) .

[1781] أي انجو بنفسك (انظر النهاية 5 / 25) .

[1782] تاريخ الطبري 5 / 134 ، الكامل في التاريخ 2 / 426 ، البداية والنهاية 7 / 320 .

[1783] المسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو . والجمع : مسالح (النهاية 2 / 388) .

[1784] القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البريّة (معجم البلدان 4 / 374) .

[1785] الغَرِيّان : تثنية الغريّ ، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة (معجم البلدان 4 / 196) .

[1786] سرّحت فلاناً إلى موضع كذا : إذا أرسلته (لسان العرب 2 / 479) .

[1787] الغارات 2 / 421 ، أنساب الأشراف ، البلاذري 3 / 197 ، الإرشاد 1 / 271 ، تاريخ ابن الأثير 2 / 426 ، تاريخ الطبري 5 / 135 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 195 .

[1788] الغارات 2 / 639 ، شرح النهج 2 / 17 .

[1789] الغارات 2 / 607 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 197 ، الفتوح 4 / 231 .

[1790] الغارات 2 / 607 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 197 ، الفتوح 4 / 231 .

[1791] الغارات 2 / 607 - 628 ، 639 ، تاريخ اليعقوبي 2 / 197 ، الفتوح 4 / 231 ، الاستيعاب 1 / 243 ، شرح النهج 2 / 17 .

[1792] الغارات 2 / 639 ، شرح النهج 2 / 17 .

[1793] إملاص المرأة الجنين : هو أن تُزلق الجنين قبل وقت الولادة . وكلّ ما زلق من اليد فقد مَلص (النهاية 4 / 356) .

[1794] قال المجلسي : المراد بالنهّاس الفرّاس إمّا هشام بن عبدالملك ; لاشتهاره بالبخل ، أو سليمان بن عبدالملك ، والأوّل أنسب . والمراد بالرجل الواحد هو عمر بن عبدالعزيز (بحار الأنوار 34 / 140) .

[1795] الحِجال : جمع الحَجَلة ; وهي بيت كالقبّة يُستر بالثياب ، وتكون له أزرار كبار (النهاية 1 / 346) .

[1796] الغارات 2 / 639 ، شرح النهج 2 / 17 .

[1797] سورة ص 88 .

[1798] الحُلوم : جمع الحِلْم وهو الاناة والعقل (لسان العرب 12 / 146) .

[1799] أي زدت عليها (النهاية 2 / 159) .

[1800] المَثُلَة : العقوبة والجمع المَثُلات (الصحاح 5 / 1816) .

[1801] سورة البقرة 49 .

[1802] تجمير الجيش : جمعهم في الثغور ، وحبسهم عن العود إلى أهلهم (النهاية 1 / 292) .

[1803] الخُرْص : الحلقة الصغيرة من الحلي ، وهو من حلي الأُذُن (النهاية 2 / 22) . الأوضاح : نوع من الحُلي يعمل من الفضّة ، سمّيت بها لبياضها (النهاية 5 / 196) .

[1804] الإرشاد 1 / 278 ، الاحتجاج 1 / 409 ح89 نحوه ، بحار الأنوار 34 / 135 ح956 .

[1805] سورة المائدة 21 .

[1806] الغارات 1 / 26 ، شرح نهج البلاغة 2 / 193 نحوه .

[1807] موزَع به : أي مولع به ، وقد أُوزع بالشيء : إذا اعتاده ، وأكثر منه (النهاية 5 / 181) .

[1808] من العَمَه : التحيّر والتردّد . والعَمَه في الرأي ، والعمى في البصر (لسان العرب 13 / 519) .

[1809] يقال : جاء القوم نُشَراً ; أي منتشرين متفرّقين (النهاية 5 / 55) .

من هنا إلى آخر الخطبة نقلناه من نهج البلاغة الخطبة 34 .

[1810] زوافر : جمع زافرة ، وزافرة الرجل : أنصاره وخاصّته (النهاية 2 / 304) .

[1811] شرح نهج البلاغة 2 / 193 و189 ، تاريخ الطبري 5 / 90 ، أنساب الأشراف 3 / 153 ، الكامل في التاريخ 2 / 408 ، الإمامة والسياسة 1 / 170 ، الغارات 1 / 29 و33 كلّها نحوه ، نهج البلاغة الخطبة 34 ، بحار الأنوار 34 / 48 .

[1812] شرح نهج البلاغة 2 / 193 و189 ، تاريخ الطبري 5 / 90 ، أنساب الأشراف 3 / 153 ، الكامل في التاريخ 2 / 408 ، الإمامة والسياسة 1 / 170 ، الغارات 1 / 29 و33 كلّها نحوه ، نهج البلاغة الخطبة 34 ، بحار الأنوار 34 / 48 .

[1813] الأمالي للمفيد 207 / 40 عن هشام ، استوسق عليه أمرهم : أي اجتمعوا على طاعته (النهاية 5 / 185) .

[1814] نهج البلاغة الخطبة 182 ، ينابيع المودّة 3 / 443 ح12 و2 / 28 ح1 .

[1815] الإرعواء : الكفّ والانزجار ، وقيل : هو الندم والانصراف عن الشيء (النهاية 2 / 236) .

[1816] الكافي 8 / 361 ح551 ، بحار الأنوار 77 / 364 ح33 .

[1817] الإرشاد 1 / 281 ، الاحتجاج 1 / 414 ح89 .

[1818] عيون الحكم والمواعظ 164 / 3488 ، غرر الحكم 3758 .

[1819] أيادي سبأ : مثل يضرب للمتفرّقين وأصله قوله تعالى عن أهل سبأ : (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّق) (شرح نهج البلاغة 7 / 74) .

[1820] الحَنِيّة : القوس (لسان العرب 14 / 203) .

[1821] إخالُكَ : أظنّك (لسان العرب 11 / 226) .

[1822] انفراج المرأة عن قبلها يكون عند الولادة أو عندما يُشرع عليها سلاح . وفيه كناية عن العجز والدناءة في العمل . نهج البلاغة الخطبة 97 .

[1823] سورة التوبة 81 .

[1824] الغارات 1 / 42 عن فرقد البجلي ، شرح نهج البلاغة 2 / 195 عن رفيع بن فرقد البجلي نحوه .

[1825] الكَشيش : الصوت يشوبه خَوَر مثل الخشخشة وكشيش الأفعى : صوتها من جلدها لا من فمها . يقرّع (عليه السلام)أصحابه بالجبن والفشل ويقول لهم لكأنّي أنظر إليكم وأصواتكم غمغمة بينكم من الهلع الذي قد اعتراكم فهي أشبه شيء بأصوات الضباب المجتمعة (شرح نهج البلاغة 7 / 304) .

[1826] الخَفْض : الدَّعة والسكون (النهاية 2 / 54) .

[1827] الإرشاد 1 / 274 ، الغارات 2 / 511 عن عمرو بن محصن ، الإمامة والسياسة 1 / 172 كلاهما نحوه .

[1828] أنساب الأشراف 3 / 235 .

[1829] الإرشاد 1 / 263 ، الاحتجاج 1 / 408 ح88 ، بحار الأنوار 32 / 390 ح360 .

[1830] البكار : جمع بَكْر ; وهو الفتيّ من الإبل . العَمِدة : من العَمَد : الورم والدَّبَر . وقيل : العَمِدة : التي كسرها ثقل حملها (النهاية 3 / 297) . أنساب الأشراف 3 / 198 ، وراجع تاريخ دمشق 1 / 321 وكنز العمّال 11 / 356 ح31727 .

[1831] نهج البلاغة الخطبة 97 ، الاحتجاج 1 / 411 و412 / 89 نحوه .

[1832] ماث : ذاب (مجمع البحرين 3 / 1734) .

[1833] الغارات 2 / 458 ، أنساب الأشراف 3 / 156 ، تاريخ دمشق 42 / 534 ، نهج البلاغة الخطبة 180 ، تاريخ الطبري 5 / 107 ، الكامل في التاريخ 2 / 413 ، الفتوح 4 / 237 .

[1834] الإرشاد 1 / 280 ، الاحتجاج 1 / 413 ح89 ، تاريخ الإسلام للذهبي 3 / 606 ، الطبقات الكبرى 5 / 93 .

[1835] البحار 8 / 701 ، الإرشاد ، المفيد 277 .

[1836] أنساب الأشراف 3 / 235 .

[1837] الفِجاج : جمع فجّ ; وهو الطريق الواسع (النهاية 3 / 412) .

[1838] اليفاع : المرتفع من كلّ شيء . والمراد بها الجبال .

[1839] ارجحنّ الشيء : إذا مال من ثقله وتحرّك (النهاية 2 / 198) .

[1840] عسيب الذنب : منبته من الجلد : العظم (لسان العرب 1 / 599) .

[1841] الجِران : مقدّم عنق البعير من المذبح إلى المنحر ، والبعير أقلّ ما يكون نفعه عند بروكه ، وإلصاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف .

[1842] استوسق : استجمع وانضمّ . واستوسق عليه أمرهم : أي اجتمعوا على طاعته (النهاية 5 / 185) .

[1843] أزمع : عدا وخفّ (لسان العرب 8 / 143) .

[1844] مارنق : كدر (لسان العرب 10 / 127) .

[1845] نهج البلاغة الخطبة 182 ، بحار الأنوار 4 / 313 ح40 .

[1846] راجع كتاب صاحب الغار أبو بكر أم رجل آخر للمؤلّف .

[1847] مثالب العرب ، باب تسمية ذوي الرايات ، هشام بن محمد الكلبي .

[1848] التذكرة 117 ، السيرة الحلبية 1/47 ، العقد الفريد 1/164 .